المسلمون في الصين
في العصر الحديث

دكتور
السعيد رزق حجاج
المدرس بقسم التاريخ - كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

على سبيل
١٩٨٦/١١/٢٦

المسلمون في الصين
في
العصر الحديث

4
1
3

7
5
6

دكتور
السعيد رزق مجاج
المدرس بقسم التاريخ - كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

نانسي تعبله

مطبعة حسان
٢٤"أ" شارع الجيش
ت ٤ ، ٨٣٢٥٤٠ - القاهرة

الإهداء

الى والدى الكريمين تقديرا لهما واعترافا بفضلهما ..

الى استاذى الجليل والذى كان لتوجيهات سيادته اكبر الأثر فى حياتى كلها ..

الاستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى ..

اهدى هذا الجهد العلمى .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وذريته وتابعيه وتابعى تابعيه الى يوم الدين .

وبعـــــد . . . . . .

فان تاريخ المسلمين فى الصين جزء من تاريخ المسلمين فى العالم ، وهو ما يزال بكرا ، على الرغم من ظهور بعض الكتابات غير المتخصصة التى عالجت جوانب متعددة تتصل بأحوال المسلمين فى الصين فى ماضيهم وحاضرهم ، وتبقى الحاجة الماسة الى مزيد من الكتابات التاريخية فى هذا الميدان .

وترجع بداية التفكير فى تاليف هذا الكتاب الى اكثر من خمس سنوات خلت ، قمت خلالها بتدريس بعض المواد المرتبطة بتاريخ المسلمين فى العالم واحوالهم ومشاكلهم ، وقد القى شطر من هذه المحاضرات على طلاب اقسام التاريخ بجامعة الأزهر ، والشطر الآخر على طلاب الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ومن بين القضايا العديدة التى نالت قدرا من الاهتمام واثارت كثيرا من التساؤلات قضية المسلمين فى الصين ، وما لحق بهم من اضطهاد وارهاب ومحاولات لابادتهم على يد الحكم الشيوعى الذى سيطر على الصين فى عام ١٩٤٩ .

وقبل البدء فى كتابة هذا الموضوع اطلعت على عدة مقالات نشرت بالصحف والمجلات العربية والاسلامية تتعلق باحوال المسلمين فى الصين ، كذلك رجعت الى عدد من المراجع التى كتبت باقلام

عدد من اهل الصين المسلمين ونشرت فى بعض العواصم الاسلامية ، بعضها يمكن القول بانه عبارة عن مقالات صحفية جمعت فى كتاب ، وبعضها عا لجفترة معينة من تاريخ المسلمين فى الصين ، او اعتمد على اللهجة الخطابية الدعائية دون الغوص فى اعماق الموضوع ، ولكن والحق يقال هناك بعض الكتابات الطيبة فى هذا الميدان ، منها ما كتبه بدر الدين و ل٠ ج ونشر فى جدة ومنها ما كتبه عيسى يوسف عن تاريخ تركستان الشرقية ، وكذلك الكتاب الذى نشره احد زعماء المسلمين فى الصين وهو ابراهيم شيونغ وغير هؤلاء ٠

وهناك كتابات اخرى حاولت عن عمد تشوية تاريخ المسلمين فى الصـــين بصورة او باخرى كدائرة المعارف الاســـلامية وما كتبه توماس ارنولد فى كتابه الدعوة للاســلام ، ولو انه سجل كثيرا من الاحداث الهامة فيما يتعلق بنشر الاسلام فى الصين لكن هناك بعض المآخذ على ما كتب٠٠

واما عن المسلمين فى الصين فقد بلغ عددهم فى عام ١٩٤٧ اكثر من خمسين مليونا ، واشار البعض الى انهم بلغوا ثمانين مليونا فى تلك الفترة وكان عـــــدد سكان الصين كلها حينذاك ٤٥٠ م (١) ٠ اما اليوم وقد بلغ عدد سـكان الصين اكثر من الف مليون نسمة فمن المتوقع ان يكون عدد المسلمين قد تجاوز المائة مليون على الرغم من هجرة الكثيرين منهم الى دول جنوب شرق آســيا او اخفاء البعض منهم اسلامه خشية الاضطهاد الشيوعى ٠

والمسلمون فى الصين موزعون فى كل المناطق تقريبا مع تباين فى نسبة هذا التوزيع فهم فى التركستان يمثلون اغلبية تصل الى ٩٤ ٪ ، وفى شمال غربى الصين يبلغون نحو ٥٠ ٪ وفيما عدا ذلك يعتبرون اقلية فى مختلف المقاطعات ٠ وهم على الرغم من وسائل الابادة والتعذيب التى تعرضوا لها على ايدى الشيوعية فى الصين متمسكون بعقيدتهم ويتطلعون الى اخوانهم فى العالم الاسلامى لمد يد العون لهم ٠

---

(١) انظر : محمد تواضع ، الصين والاسلام ، القاهرة فى جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ ، ص ٦٣ ٠

وفى معالجتنا لموضوع كهذا تم التركيز على انتشار الاسلام فى الصين وكيفية انتشاره ، والوسائل التى اتبعها المسلمون لنشر دينهم فى هذا المجتمع الذى كان يعلن العداء لأى دين غريب يأتى الى بلاد الصين ، كما تحدثت عن احوال المسلمين فى عهد الأسر الصينية المختلفة وكذلك الأسر الوافدة على الصين كاسرة يوان « المغول » والتى وصل المسلمون فى عهدها الى ارفع مستوى حتى اصبح اكثر من ٨٠ ٪ من حكام المقاطعات فى الصين مسلمين ووصل عدد كبير منهم الى اسمى المراتب فى الجيش الصينى وانتشر الاسلام فى عهدها انتشارا كبيرا .

وقد اتت على المسلمين فى الصين فترة حالكة واجهوا فيها الاضطهاد هى فترة الحكم المانشورى التى جعلت المسلمين لأول مرة فى تاريخهم بالصين يقومون بثورات عارمة انتهت بعضها بتكوين دولة اسلامية اعترفت بها كثير من الدول .

ومن ناحية اخرى عالجت موقف المسلمين من قيام الجمهورية فى الصين واحوالهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية ويبقى الجانب الهام فى هذا البحث والمتعلق باحوال المسلمين فى الصين وثوراتهم ضد الحكم الشيوعى الذى ابتليت به الصين فى عام ١٩٤٩ ولاسيما سنوات الهوان المعروفة بسنوات الثورة الثقافية (١٩٦٦ - ١٩٧٦).

ويلاحظ احيانا الاعتماد على النصوص المأخوذة من بعض المصادر التى انفردت بتناول قضية معينة ، وذلك لأنها تصور بأمانة وموضوعية احوال المسلمين فى الصين ، واستميح القارىء عذرا ان هو وجد اخطاء فى بعض النصوص فقد تكون موجودة فى الأصل او فى نقلها ولكن الذى اهدف اليه هو ما تنقله من صورة لتلك المآسى التى عاشها المسلمون فى تلك الفترة لا التحقيق الدقيق فى معانيها ومدلولاتها .

ومن المؤكد ان مطالعة هذا الكتاب تطرح فى الناهية الكثير من التساؤلات حول أوضاع المسلمين فى الصين بعد انتهاء فترة حكم

ماو تسى تونج و « عصابة الاربعة » لاسيما وقد اغرق البعض فى عالمنا الاسلامى فى التفاؤل وراح يؤكد ان المسلمين يعيشون اليوم فى ظل تسامح دينى وان مساجدهم قد اعيد فتحها من جديد ، ومدارسهم قد فتحت ابوابها مرة اخرى للراغبين فى العلم .

ولسنا مع هؤلاء المغرقين فى التفاؤل فما يزال الحكم الشيوعى فى الصين قائما وهو امتداد لسابقه ، والمساجد التى سمح بفتحها تعد على اصابع اليد بينما كان عدد المساجد فى الصين عام ١٩٤٧ اكثر من ٤٢ر٣٠٠ مسجد ، كما ان حرية الالحاد ومحاربة الاديان ما تزال قائمة فى الصين حتى اليوم ، وفى اعتقادنا انه لو وفق المسلمون فى اتخاذ موقف موحد من معالجة قضاياهم ومشاكل الاقليات الاسلامية فى العالم ونظموا علاقاتهم مع الدول المختلفة من منطلق مواقفها من المسلمين فى تلك البلاد لكان هذا اجدى وانفع .

وختاما ارجو ان يعين هذا الكتاب على فتح الميدان واسعا امام عدد من الباحثين فى الدراسات العليا والمهتمين باحوال المسلمين فى العالم ليقدموا دراسات شاملة تتناول احوال المسلمين فى الصين والاتحاد السوفيتى والفلبين وتايلند ويوغسلافيا وبلغاريا وغيرها من الدول التى يعانى فيها المسلمون من اضطهاد وارهاب .

هذا وبالله التوفيق .

دكتور السعيد رزق حجاج

المدينة المنورة فى : ٦ رمضان ١٤٠٥ هـ
٢٥ مايو ١٩٨٥ م

الفصل الأول

انتشار الاســـلام فى الصين

الصين دولة آسيوية ، واسعة المساحة تاتى فى الترتيب الثالث بين دول العالم بعد الاتحاد السوفيتى وكندا حيث تزيد مساحتها على ٩½ مليون كم٢ ٠ وتتفوق على كل دول العالم فى عدد سكانها الذين وصلوا الى ١٠٠٠ مليون نسمة تقريبا ٠

ونسبة المسلمين فى الصين قد تصل الى ١٠ ٪ على الرغم من كل البيانات الرسمية التى تنفى ذلك بشـــدة ، وتزعم انهم اقل من ذلك بكثير (١) ٠

والصين دولة ذات حدود طبيعية وتاريخيـــة ، وضعت اطارا حول شعبها قرونا طويلة وحصرته فى بيئة شبه منعزلة ، ساعدت على ابراز خصائصـــه الذاتيـــة ، من حيث الجنس واللغـــة والمظاهر الحضارية والتقاليد المتوارثة ، فالصين (الأصلية) تطل شرقا على البحـــر المســـمى باسمها ، وهو جزء من المحيط الهـــادى ، وتفصلها جبال هيمالايا ومرتفعات التبت عن جنوب القارة ، وتحدها صحراء جوبى ومرتفعات اتيان شان غربا ، واما حدودها الشمالية المفتوحة فقد اقام عليها الامبراطور (ينج تونج) ســـورا عظيما يمتد مئات الأميال ، اعتبر من عجائب الدنيا القديمة وعلى الرغم من اقامة هذا السور ، فقد انسابت جحافل المغول لتغزو قلب الصين من خـــلال ثغرات فى هذه الحدود الصناعية ، وتمكن هؤلاء المغول من اقامـــة اسرة مغولية حكمت الصين من عام ١٢٧٧ م الى عام ١٣٦٧ م (٢) ٠

---

(١) د٠ محمد السيد غلاب ، محمود شاكر وآخر ، البلدان الاســـلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، من مطبوعات جامعـــة الامام محمـــد ابن سعود ١٤٠١ هـ ، ص ٦١٣ ٠

(٢) أحمد عطية الله : القاموس الاســـلامى ، المجلد الرابع ط ١٩٧٦ القاهرة ، ص ٣٨٦ ٠

اما المحاولات الاستعمارية المعاصرة التى تتمثل فى الأطماع الأوربية واطماع اليابان (الآسيوية فلم تمتد الى اكثر من الأطراف .

المناطق الاسلامية فى الصين :

ينتشر المسلمون فى انحاء الصين ، وان كانت نسبتهم تختلف من مقاطعة الى اخرى ، فهناك مناطق يغلب عليها الاسلام ، واخرى يندر فيها اتباعه ، هذا التوزيع ناتج عن الطرق العديدة التى انتشر بها الاسلام فى تلك الأرجاء الواسعة ، وعن سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة ، ومواقف هذه الحكومات من الاسلام والمسلمين فى الصين .

لقد كان دخول الاسلام عن طريق الفتح فى تركستان الشرقية جعل نسبة المسلمين فيها تصل الى ٩٥ ٪ ، بينما كان دخول الاسلام عن طريق التجارة البحرية فى المناطق الساحلية جعل نسبة المسلمين ترتفع فى موانىء (كانتون) و (شانغهاى) ومدن (شانتونغ) ودخول الاسلام الى المناطق الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية وتنقل الدعاة فى تلك الفيافى ، لذا فهم يقلون فى هذه الأنحاء ، عدا يونان التى حكمها بعض المسلمين فانتشر الاسلام فيها انتشارا كبيرا وميسورا .

واما المناطق الغربية من الصين فقد كثر المسلمون فيها نتيجة لقربها من المناطق الاسلامية واتصالها مع تلك الأمصار التى فتحها المسلمون ايام فتوحاتهم الواسعة ، مثل (كانسو) و (ينغ هسيا) (١) .

ويمكن اضافة اسباب اخرى لهذا التوزيع ، وهو ان حكام الصين كانوا احيانا يخشون من زيادة اعداد المسلمين فى بعض المناطق واقامتهم حكومة مستقلة ، لذلك عمدوا الى توزيعهم فى مختلف مناطق الصين بشتى الطرق كالتوظيف والنقل والاكراه فى اكثر الأحايين .

---

(١) محمود شاكر : الأقليات ، ص ٦١٩ .

وهناك حقيقة هامة وهى ان الاسلام الذى دخل الى الصين فى مطلع القرن الهجرى الأول حسبماتدل الشواهد والآثار ، لم يجد من الدعاة الأكفاء المتجردين - باستثناء قلة قليلة منهم - ما يكفل له الانتشار الهائل والاكتساح ، كما حدث فى اندونيسيا وبلاد اخرى ، فظل متقوقعا فى مناطق محدودة تحاصره انظمة دكتاتورية متزمتة ، لم يتم لها ان ترتقى الى سمو مفاهيمه ورقى حضارته ، مما ادى الى عدم انتشاره بالصوره التى تكفل له الغلبة على غيره من النحل والأفكار الوثنية فى الصين (١) .

وعلى هذا يمكن القول بان اهم المناطق الاسلامية فى الصين هى :

١ - تركستان الشرقية التى اطلق عليها حديثا اسم « سينكيانغ » وتزيد مساحتها على ١ر٥ مليون كم٢ ، وفيها مليون نسمة ٩٥ ٪ منهم مسلمون . وقد ابيد منهم عدد كبير فى الثورات المتعددة التى قاموا بها فى وجه الاستعمار الشيوعى الصينى ، وفى اعمال السخرة التى فرضت عليهم ، وفى المجاعات المتكررة التى نكبت بها تركستان الشرقية بعد الاستعمار الصينى ، حتى بلغ تعداد التركستانين حاليا حوالى ثمانية ملايين بينما زاد المستوطنون الصينيون الى عدة ملايين تماما ، مثلما فعلت اسرائيل فى فلسطين المحتلة ، عندما قتلت وشردت سكانها العرب واحلت محلهم اشتات اليهود من مختلف اصقاع الأرض (٢) .

ومن اشهر مدن تركستان الشرقية :

← اورومجى وهى العاصمة وتسمى اليوم تيهوا . وكاشغر واسمها الحديث شوفو .

---

(١) عبد الفتاح سعيد : البعث الاسلامى ، العدد الثانى ، المجلد التاسع والعشرون ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) محى الدين القضمانى : حاضر العالم الاسلامى ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م ، ص ٩٤ .

٢ - ومن المناطق التى يعيش فيها المسلمون فى الصين كانسو وعدد سكانها ١٣ مليون ، عشرة ملايين منهم مسلمون ، ومن اشهر مدنها « لان تشو » العاصمة وتسمى اليوم كاولان .

٣ - نينغ سيا وكانت جزءا من ولاية كانسو ، وسكانها مليونان ٥ر١ مليون منهم مسلمون .

٤ - يونان ، وهى منطقة جبلية كثيرة المياه ، سكانها ٢٣ مليون نسمة ، فيهم اكثر من سبعة ملايين مسلم ، وعاصمتها مدينة يونان . وقد انتشر الاسلام فى هذه المنطقة على يد شمس الدين عمر المعروف باسم « السيد الأجل » والذى جعلته حكومة الصين واليا على يونان ، وتمتع هو وأسرته من بعده بمركز مرموق .

٥ - سنشوان ، وهى تجاور ولاية كانسو ، وقد فصل جزء من الاخيرة وضم الى هذه الولاية فاصبح عدد المسلمين فيها حوالى خمسة ملايين .

٦ - شانس ، ومساحتها حوالى ١٥٧ر٠٠٠ كم٢ ، وعدد سكانها ١٨ مليونا ، نسبة المسلمين فيها ٢٠ ٪ يعيشون داخل المدن الكبرى بالمقاطعة .

٧ - شى ، ومساحتها ١٩٦ر٠٠٠ كم٢ وسكانها ٢١ مليو نسمة ، يشكل المسلمون فيها حوالى ٤٠ ٪ ، واهم مراكز تجمعهم مدينة « سنجان » (١) .

العلاقات العربية الصينية قبل الاسلام :

تشير المصادر التاريخية العربية ، والصينية ان العرب قد عرفوا بلاد الصين قبل الاسلام وان الصلات التجارية بين العرب وتلك البلاد قد توطدت قبل الاسلام بزمن طويل فكانت حاصلات الشرق

---

(١) محمد السيد غلاب : الأقليات ، مرجع سابق ، ص ٦١٩ .

التى تتلقاها بلاد الشام وموانى البحر المتوسط تمر بنسبة هائلة عن طريق بلاد العرب ٠

وفى القرن السادس الميلادى كانت التجارة بين الصين وبلاد فارس وبلاد العرب ، لا تزال واسعة الانتشار ؛ حيث كانت مدينة سيراف الواقعة على الخليج العربى هى السوق الرئيسية للتجار الصينين (١) ٠

ويؤكد بعض المؤرخين ان عرب جنوب شبه الجزيرة هم اول من مخروا عباب المحيط الهندى وقبل قرون من ظهور الاسلام ، كما كان التجار العرب يعملون كوسطاء بين التجار الأوربيين والتجار الآسويين من الهند وغرب ماليزيا والصين ٠

وعلى الرغم من ان الرومان وبعدهم الفرس (من نهاية القرن الخامس الى القرن السابع) كانوا ينافسون العرب فى محاولة السيطرة على تجارة المحيط الهندى والصين ، على الرغم من هذه المنافسة اصبح العرب مع غيرهم من المسلمين فى القرن التاسع الميلادى سادة التجار هناك ، واستاثروا وحدهم بعد ذلك بدون منازع بتجارة الصين وشرق آسيا حتى قدوم البرتغاليين فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ٠

كانت السفن العربية تبحر فى مواسم معينة فهى تترك الموانى المصرية على البحر الأحمر فى اول يوليو وتبحر جنوبا لتحملها الرياح الموسمية الغربية فى الوقت المناسب الى شواطىء الهند فى سبتمبر ٠ وفى اواخر نوفمبر واوائل ديسمبر تهب رياح موسمية جنوبية شرقية فتعود المراكب العربية الى موانى الجنوب العربى ومنها تدخل المراكب البحر الأحمر مرة اخرى لترسو على شواطئه المصرية (٢) ٠

---

(١) د٠ قيصر اديب : الاسلام فى الشرق الأقصى ، تعريب د٠ نبيل صبحى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ١٦ ٠

(٢) د٠ قيصر اديب : مرجع سابق ، ص ١٧ ٠

وتكشف السجلات الصينية القديمة انه كان للعرب فى الصين سنة ٣٠٠ م اماكن استيطانية ومراكز محاسبة فى « كانتون » بحيث يمكن القول بصورة عامة بان العرب ملكوا زمام التجارة البحرية بين مصر وفارس والهند من جهة وبين الهند وشرقى وجنوب شرقى آسيا من جهة اخرى .

ويؤكد الشيخ عبد الرحمن تاجونج - والذى نال العالمية من الأزهر وعمل بالتدريس وما يزال فى الصين ، وله كتاب يدرس فى معهد اللغات الأجنبية ببكين عن « تاريخ العرب فى العصور الوسطى » - بأن علاقات الصين بالعرب سابقة على ظهور الاسلام وان الامبراطور « وودى » بعث فى عام ١٣٩ ق.م تشانج تشيه سفيرا متجولا الى الممالك القائمة فى آسيا لاقامة علاقات ودية معها ، وزار فى سفرته تلك ٣٦ مملكة صغيرة شملت بلاد فارس والجزيرة العربية وغيرها من المناطق . وانه قد جاء الى المنطقة مبعوث آخر هو « جان منج » الذى عاد هو الآخر بأخبار وافرة عن الجزيرة العربية ، كما فتحت هاتان الرحلتان الطريق البرى للسفر بين الصين وبلاد فارس وبلاد العرب (١) .

ويتضح لنا من خلال هذه الروايات ان بلاد الصين لم تكن مجتمعا مجهولا للعرب فى العصر الجاهلى ، وان كان تاريخ هذه الفترة يمتزج احيانا بالأساطير او المبالغات ، ولا يقتصر ذلك على مجرد المعرفة العادية ، بل كان يتضمن قيام علاقات على مستوى الدولة فيذكر الاخباريون « ان الملك الحميرى شمر برعش » خرج غازيا حوالى سنة ٣٠ ميلادية ، حتى انتهت الى اذربيجان ، فلقى الترك بها وهزمهم ، ثم انكفأ راجعا الى اليمن فاقام بها بضع سنوات حتى قدم عليه ملك الهند بالهدايا والتحف ، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصوبتها وكثرة طرقها فصمم على غزوها . ثم سار حتى دخل الصين فقتل كثيرا من اهلها ، واكتسح ما وجد فيها ، ويزعمون

---

(١) فهمى هويدى : المسلمون فى الصين ، مجلة العربى الكويتية ، العدد ٢٦٤ ، ذو الحجة ١٤٠ هـ - نوفمبر ١٩٨٠ ، ص ٨١ .

انه خلف بالتبت ١٢ الف فارس من حمير ، فهم اهل التبت اليوم ، اى انهم عرب او من اصل عربى .

وتذكر رواية اخبارية اخرى ان ابناء هذا الملك الحميرى عاود الدخول (دخول الصين) وان جماعة عربية اخرى استقرت بها(١) .

وايا كان راى المؤرخين فى هـــذه الروايات التى يغلب عليهـا الجانب الأسطورى والمبالغة الى حد كبير فان الحقيقة شبه المؤكدة ان العرب كانوا على صلة ببلاد الصين قبل الاسلام وان هذه العلاقات زادت واتسعت بعد الاسلام بصورة لا ينكرها احد .

الاســـلام فى الصين :

وصل الاسلام الى بلاد الصين عن طرق ثلاثة :

(أ) عن طريق الفتح بالنســـبة لمقاطعة تركســـتان الشرقية (سنكيانج) .

(ب) عن طريق الدعوة فى المناطق الداخلية وبخاصة المجاورة لتركســـتان .

(جـ) عن طريق الدعوة والتجارة معا فى المناطق الساحلية .

وقد اختلف الباحثون فى ابتداء دخول الاسلام بلاد الصين ، كما اختلفوا فى كيفية وصوله اليها ، بحرا بطريق الهند ، ام برا بطريق تركستان وبلاد ما وراء النهر .

ويعتقد بعض المسلمين من ابناء الصين ان اول ظهور الاسلام بين ظهرانيهم ، كان لعهد الامبراطور « تاى تسونج » ، وذلك فى القرن السابع الميلادى ، وان اول من دخل الى الصين من المسلمين

---

(١) أحمد عطية الله : مصدر سابق ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

كان رجلا من عترة النبى ﷺ ، يقال له « ابن حمزة » قدم الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ، ونزلوا فى سنغافورة ، وانه جاء على اثرهم مسلمون آخرون عن طريق البحر ، واقاموا بجهة يونان (١) ، ولكن المصادر العربية لم تذكر هذه الرواية مما يجعلها لا ترقى الى مستوى الحقيقة التاريخية .

ويرى البعض ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الأسود وصل الى الصين ، وحاول الاتصال بحاكمها مدعيا بانه من اهـــل بيت النبى ﷺ ، وبعد أن تحقق الملك من صحة نسبه ، اذن له بالوصول اليه ، ووصله بمال واسع ، وسمح له بالدعوة للاسلام فى بلاده ، ثم عاد هذا الرجل الى العراق بعد ذلك (٢) .

وهناك روايات اخرى للمسلمين من اهل الصين اشبه ما تكون بالقصص الأسطورى منها ما يدور حول الصحابى الجليل ســـعد ابن ابى وقاص الذى قيل بانه وصل الى بلاد الصين وتوفى فيها ، وقبره مايزال موجودا فى الصين . والحقيقة المؤكدة ان سعدا لم يزر الصين قط ولم يدفن بها وان الزعم بوجود قبره هناك هى محاولة من مسلمى الصين التباهى بدخولهم فى الاسلام فى وقت مبكر وبزيارة هذا الصحابى الجليل لبلادهم .

وتحدثنا رواية اخـــرى بأن امبراطور الصين وهو الامبراطور الثانى من اسرة تانج (Tang) والملقب بتايستونج (Taitsung) راى فى منامه حيوانا مفترسا يهاجمه ، وبينما هو لا يجد مخلصا اذ راى رجلا وقورا يرتدى طيلسانا ويلبس عمامة بيضاء ، وبيده مسبحة ، واخه يدافع عنه ، فجمع الامبراطور وزرائه ومستشاريه فى الصباح وقص عليهم رؤياه ، وطلب منهم تفسيرها ، فقال احدهم ان الحيوان المفترس رمز لثائر سيثور فى البلاد ، والرجل الوقور نبى من الأنبياء قد ولد فى بلاد العرب وان هذه الرؤيا تعنى ان بلاد الصين لا يدوم

---

(١) حامد عبد القادر : الاسلام ظهوره وانتشاره ، نهضة مصر ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م ، ص ٢٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦٨ .

امنها وصلاحها الا ببركة هذا النبى الكريم وقد اوفد الامبراطور وفدا الى النبى عليه الصلاة والسلام ، وطلب منه ان يبعث اليه بعضا من صحابته لنشر الاسلام فى الصين ، فاجابه النبى ﷺ الى طلبه ، وبعث مع الوفد الصينى ثلاثة من اصحابه رضوان اللـه عليهم ، وقد توفى اثنان منهم فى الطريق لمتاعب السـفر ، ولما قابل ثالثهم امبراطور الصين اكرم وفادته وبنى له مسجدا فى العاصمة الصينية (١) .

وعلى هذه الرواية يكون الاسلام قد وصل الى بلاد الصين فى آخر عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فان الامبراطور تايتسونج قد حكم الصين من سنة ٦٢٧ الى ٦٤٤ م :

ولكن المؤرخين الثقاة لا يقيمون وزنا لهذه الرواية كسابقتها ففيها من نقاط الضعف ما لا يخفى على احد واسلوب الوضع فيها صريح ، كما ان كتب السيرة والتاريخ الاسلامى لم تشر اليها من قريب او بعيد .

وتاتى رواية اسطورية اخرى فتذكر ان امبراطور الصين قد بعث يدعو النبى عليه الصلاة والسلام لزيارة الصين ، وانه عليه الصـلاة والسلام اوفد بعثة لنشر الدعوة فى الصين وصلت فى العام السـابع الهجرى (٦٢٨ م) (٢) واليها ينتسب بناء اول مسجد فى الصين وهو موجود حتى الآن وفيه منارة رائعـة عليها مسحة من جمال الفن العربى .

ويميل صاحب كتاب « تاريخ المسلمين فى الصين » الى الاعتقاد بان اسم مبلغ الاسلام الأول فى الصين سيظل مجهولا الى ما شاء الله لأن احدا من العلماء او المؤرخين الصينين او العرب لم يستطع القول بأن فلانا من الصحابة قد ذهب الى الصين فى سنة كذا .

كذلك من الصعب على الباحثين ان يحددوا اسم المؤسس لأى من

---

(١) محمد مكين : تاريخ المسلمين فى الصين واحوال المسلمين فيها ، القاهرة ١٣٥٥ هـ ، ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦ .

المسجدين الأقدمين فى الصين ، واحدهما فى مدينة كانتون (ذكرى النبى) بجنوب الصين ، والثانى مسجد (سى - آن) عاصمة الصين القديمة (١) ٠

واما الروايات القريبة من الصحة فتشير احداها الى ان يزدجرد آخر ملوك الدولة الساسانية الفارسية بعد ان منيت جيوشه بالهزيمة فى معركة نهاوند سنة ٢٢ هـ (٦٤٣ م) قد التجا الى بلاد ما وراء النهر ثم الى امبراطور الصين الذى دهش لسقوط الامبراطورية الفارسية على ايدى جماعات مجهولة من سكان الصحراء حتى بعث الى يزدجرد كتابا يقول فيه « صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى اراك تذكر قلة عددهم وكثرتكم وفى النهاية يرد حاكم الصين معتذرا عن تقديم معونة عسكرية بقوله : « انما يمنعنى ان ابعث اليك بجيش اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق لك على ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك صفتهم لو يحاولون هد الجبال لهدوها ٠ ومهما اختلف حول تفاصيل هذا الحدث ، فمن المؤكد ان هزيمة الفرس والروم على ايدى المسلمين قد وجدت صدى عميقا لها فى الصين ٠

واما ما يقترب من التحقيق التاريخى ، ويقرره كثير من المؤرخين فهو ان ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضى الله عنه أرسل فى سنة ٣٠ هـ (٦٥١ م) مبعوثا او وفدا الى الصين فى صحبة السفير الذى اوفده امبراطور الصين الى المدينة المنورة للتوسط بشان الأمير الساسانى فيروز بن يزدجرد وفى الوقت ذاته لير بعينه حقيقة هذه الدولة العربية الناشئة ، ويذكر ان ملك الصين اكرم وفادة هذا المبعوث (او الوفد) وسمح باقامة مسجد فى خانقو (كانتون) (٣) ٠ ويؤكد هذا ما جاء فى تاريخ اسرة « تانج » الملكية التى حكمت الصين حوالى ٣ قرون (٦١٨ - ٩٠٧ م) ويتضمن

(١ بدر الدين و ل٠ جى : تاريخ المسلمين فى الصين ٠ جده ١٣٩٤ هـ ، ص : ج ٠

(٢) احمد عطية الله ، مصدر سابق ، ص ٣٨٧ ٠

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٨ ٠

فصلا يعرف باسم « تاشيه » او سجل العرب يصف جغرافية ومنتجات العالم العربى ويشير الى الدين الاسلامى ويذكر بانه (يختلف عن البوذية وان معابد المسلمين تخلو من التماثيل والصور) كما يذكر بان وفدا وصل فى ٢٥ اغسطس سنة ٦٥١ م الى تشانجان (شيان) كاول مبعوث مسلم من الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث التقى وامبراطور الصين .

وفى تاريخ اسرة تانج الرسمى جاء كذلك « ان الوفد قادم من ارض بعيدة جـــدا وانه نقل الى الامبراطور انباء بلاد العرب التى شهدت ظهور نبى بعثه الله من العرب داعيا الى التوحيـــد ، وان ملكهم يدعى (هنجى مووى) اى امير المؤمنـين وان حكومتهم اسست منـــذ اربع وعشرين ســـنة ، وقد مضى منهم ثلاثة ملوك (خلفاء)

ويلاحظ هنا ان المصادر الصينية تتجاهل الأسباب التى دعت الخليفة عثمان بن عفان لارسال وفده للقاء امبراطور الصين كعادتها فى ابراز (ابن السماء) وهو اللقب الذى كان يطلق على اباطرة الصين ، لاظهاره باعتباره القبلة التى يتوجه اليها الآخرون بالسؤال والتحية . لكن الحقيقة غير ذلك ، حيث تذكر المصادر العربية بان ملك الصين هو الذى بادر بارسال مبعوثيه الى الخليفة وذلك انه بعد هزيمة الفرس والروم على ايدى المسلمين فان حكام الدولتين ارسلوا يستنجدون بامبراطور الصين ، ويهولون فى خطر المسلمين مؤكدين بانهم ســـوف يسيطرون تماما على طريق التجـــارة الذى يهم الصين (١) .

وقد جاء ذكر المسلمين فى المصادر الصينية لأول مرة فى مستهل القرن السابع الميلادى حيث ذكرت بانه وفد الى ميناء كانتون عنـد افتتاح حكم اسرة تانج جماعات من المسلمين حصلوا على اذن من الامبراطور فى البقاء وانهم اقاموا (بيوتا جميلة تختلف عن البيوت الصينية فى طرازها ، وكانوا ينتخبون رئيسا من بينهم يطيعون اوامره

---

(١) هويدى ، مصدر سابق ، ص ٧٧ .

ويؤكد هذه الحقيقة المؤرخ الشـــهير جين يوان والمستشرق اسحق ماسون استنادا الى فصل عن التاشى فى تاريخ تانج القديم وان اول مبعوث عربى وصل الى الصين كان فى عام ٦٥١ م ٠

وقد تواردت البعثات العربية على الصين واحدة بعـد اخرى حتى ذكر بان عددها ٢٨ بعثة من عام ٦٥١ الى ٨٠٠ م من هـــذه البعثات ١٦ بعثة منسوبة الى التاشى اللابســين الملابس البيضـــاء (الامويون) و١٢ مسجلة باسم التاشى اللابسين الملابس السوداء (العباسيون) (١) ٠

والنظرة الخاطفة على هذه البعثات تكشـــف انها قد وردت لاغراض شتى منها سياسية للاستطلاع وجمع المعلومات ، ومنها تجارية للاتصال بالأسواق الصينية ، وعرض الســـلع العربية على التجـــار الصينين ٠ وهناك احتمال كبير فى ان تكون بعض هـــذه البعثات التجارية قد وردت مع البعثات الرسمية او فى جماعات خاصة وبهذه الطريقة اخذت الهجرة تزداد بمرور السنين من بلاد العرب الى الصين لا سيما اذا كان الطريق مأمونا والسفر ميسرا ٠

وكان من اثر ذلك تزايد عدد المسلمين من العرب والفرس فى الموانى الصينية بمرور الأيام وطول اقامتهم فيها مما ادى الى تقوية مراكزهم فى مدينة خانقو (كانتون) فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وفى مدينة تشـــانغ آن عاصمة الصين حينذاك ٠ وكذلك فى مدينة (خوتان) وسماها الصينيون (هونين) و (آقصو) وحملت اسم (وتسوه) وواحة (حامى) وعرفت باسم (كومول) هذا اضافة الى واحة (طرفان) (٢) ٠

انتشار الاسلام فى تركستان الشرقية :

تركستان منطقة واسعة المساحة فى وسط آسيا ويقصد بها بلاد

---

(١) محمود شاكر وآخرون ، مصدر سابق ، ص ٦١٦ ٠

(٢) بدر الدين و ل٠ ج : مصدر سابق ، ص ١٧ ٠

الترك ، اذ كانت مجال انتقالهم وموطن قبائلهم ، وهى منطقة سهلية فى الغرب وهضبة فى الشرق وبينهما منطقة جبلية عالية ضمن البلاد التركستانية تغذى كلا الطرفين بالمياه وتصل بينهما بممراتها الشهيرة وتقع تركستان فى أواسط آسيا وتحدها شمالا سيبيريا ومنغوليا . وجنوبا افغانستان وكشمير والتبت وشرقا الصين وغربا ايران وبحر قزوين (١) .

وبذلك تكون مساحة التركستان قرابة خمسة ملايين كم٢ . وهى تنقسم الى قسمين :

١ ـ تركستان الشرقية : وتخضع حاليا لحكم الصين الشيوعية وقد اسمتها سنكيانج اى « المستعمرة الجديدة » .

٢ ـ تركستان الغربية : وتخضع لحكم روسيا وهى مقسمة الى جمهوريات خمس هى جمهورية اوزبكستان ، جمهورية طادجكستان ، جمهورية قازاقستان ، وجمهورية تركستان ، وجمهورية قيرقيزيا (٢) .

وقد كان مفهوم التركستان فى التاريخ الاسلامى يقتصر على تركستان الشرقية واما تركستان الغربية فقد عرفت ببلاد ما وراء النهر وكانت تحت اشراف حاكم خراسان المعين من قبل الخليفة فى دمشق او بغداد .

وتركستان الشرقية تبلغ مساحتها ـ كما اسلفنا ـ اكثر من مليون ونصف كم٢ ، وعدد سكانها كانوا خمسة عشر مليونا ومن الصعب تقديم احصاء دقيق لهم الآن بعد الحكم الشيوعى وكل ما يمكن قوله هو ان الكثافة السكانية قليلة بالنسبة لمساحة تركستان الشرقية كما ان قلة الكثافة يعود الى الأحداث التى مرت بها البلاد بعد الاحتلال والنكبات

---

(١) د. محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ دار الشروق جده ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢) محمود شاكر : خراسان ، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ، ص ٤٣ .

السياسية التى اجتاحتها ، فقلبت العهد الزاهر يوم كان الاسلام يحكم فى تلك الأرجاء الى اطلال وخرائب ، ومن يقيم اليوم على هذه البقعة من الأرض لا ينتمى الى جنس واحد ، اذ جعلها موقعها عرضة لمرور اجناس كثيرة ولدخول اقوام اتوا للسيطرة عليها ، وللتحكم فى طرقها التجارية ، ثم يستقرون فيها وتركستان الشرقية من المناطق الغنية بالبترول واليورانيوم والقصدير ، والذهب والحديد ، والفحم والزئبق وغير ذلك من الثروات الهائلة التى اسالت لعاب كل من الصين والاتحاد السوفيتى لكنها بعد عام ١٩٤٩ خضعت وما تزال للاحتلال الصينى (١) .

واما عن انتشار الاسلام فى تركستان الشرقية فيقول البعض بانهم كانوا يعتنقون الشامانية ، وكانت البوذية تجد لها اتباعا ، وكثير من المذاهب الوثنية لأنهم عاشوا حياة رعوية بشكل عام ، وكذلك لأنهم أمة محاربة تقابلت مع الأمم المختلفة بحكم التجارة والمنافسة ، كما أن البعثات البوذية والنصرانية والشامانية صرفت جهدا دعائيا كبيرا بين الأتراك ، كما يمكن القول بان الشامانية كسبت مكانة اكبر اثناء ذلك النشاط الدعائى ، كما انه من المسلم به انها فقدت تأثيرها بعد مجىء الاسلام .

قتيبة بن مسلم وفتح تركستان :

تبدا المرحلة التاريخية فى العلاقات الصينية والعربية ابان خلافة الوليد بن عبد الملك عام ٩٦ هـ (٧١٥ م) بغزو قتيبة بن مسلم للتركستان الشرقية ، وهى احدى المقاطعات الأربع المتحدة مع الصين الآن بحكم الاحتلال والقهر . وكان قتيبة قد عين واليا على خراسان فى أخريات عهد عبد الملك بن مروان ، وطيلة مدة حكم الوليد ، وقد نجح قتيبة فى فتح بلاد ما وراء النهر ، فعبر نهر سيحون ، وشرع فى سلسلة من الحملات الناجحة ، اخضع فيها على التوالى بخارى وسرقند ومدنا اخرى ، ومضى قدما فى فتوحاته حتى وصل الى الحدود الشرقية

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية : تركستان الشرقية ، العدد ٣٣٥ ، صفر ١٣٩٧ فبراير ١٩٧٧ ، عيسى يوسف الب : تركستان الشرقية ، القاهرة ١٩٥٢ .

للامبراطورية الصينية (١) فاحتل كاشـــغر وتوغل الى ما ورائها ، حتى بات الاصطدام بين جيش المشرق والصين وشيكا ، وبعد مفاوضات مثل فيها الجانب الاسلامى وفد برئاسة « هبيرة بن مشمرج الكلابى » الذى اخبر امبراطور الصين مطالب القائد المجاهد قتيبة بن مسلم والتى اقسم الا ينصرف حتى تحقق وهى :

« ان يطا بلادهم ويختم ملوكهم ويجبى خراجهم » وقد وافق امبراطور الصين على هذه المطالب بعد ان تاكد من قوة المسلمين وبعث الى قتيبة بهدية رمزية وبدات مرحلة جـــديدة بين الصين والدولة الاسلامية الأموية ، وقد اغفلت المصادر الصينية ذكر الاتصالات التى دارت بين قتيبة والامبراطور الصينى ، لنفس السبب الذى اغفلت من اجله سفارة امبراطور الصين الى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه . ودواعى الاغفال هنا اشد ، لأن الموقف اكثر حرجا ، فثمة قائد عربى زاحف بجحافله يدك الحصون وتعسكر قواته على ابواب الصين ، ويسترضيه ملك الصين بما يشبه الجزية دفعها اليه .

وربما كان قتيبة يفكر فى ان يوغل بجيوشه اكثر ولكن اوقفه خبر موت الخليفة الوليد بن عبد الملك (٢) .

واذا كان الاسلام قد انتشر فى تركســتان الغربية بعـــد الفتح الاسلامى عام ٨٦ هـ الا انه فى تركستان الشرقية وبعد فتح كاشغر عام ٩٦ هـ لم ينتشر بنفس الطريقة ولم يدخل فى الاسلام من الأتراك الا اعـــداد قليلة حتى عام ٣٢٣ هـ عندما اســـلم خاقان الامبراطورية القراخانية المسمى « ستوق بوغراخان » ليبدأ انتشار الاســـلام بشكل جماعى وكبير (٣) .

---

(١) صالح مهدى عماش : قتيبة بن مسالم الباهلى ، العراق ط ١٩٧٨ ، ص ١١ - ١٣ .

(٢) هويدى : ٢٦٤ ، ص ٧٧ ، محمود شاكر ، التاريخ الاسلامى ، ج ٤ المكتب الاسلامى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٢٢٦ .

(٣) محمد على البار : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

وعلى الرغم من فتح كاشغر على يد قتيبة بن مسلم الا ان سلطة المسلمين على تركستان الشرقية كانت ضعيفة جدا حتى دخول ستوق الاسلام كما تقدم (١) .

ولقد كان اتراك تركستان الشرقية قبل الاسلام مجموعة القبائل اليدوية القوية الشكيمة التى تعيش على الرعى والسطو والنهب وخاصة الغارات المتكررة على المناطق الخصبة من تركستان الغربية وقد شكلت هذه القبائل خطرا على المدن الاسلامية الزاهرة مثل بخارى وسمرقند وغيرها (٢) .

وفى عهد العباسين وانتظام دولتهم وبلوغها شاوا بعيدا انتقل المسلمون من الدفاع الى الهجوم فكانت الغزوات تذهب ضد هذه القبائل وتفتح ارضهم كما كانت تتصدى للقوا تالصينية التى كانت تتحالف مع هذه القبائل ضد المسلمين . وفى عام ١٣٤ هـ (٧٥١ م.) دارت معركة طاحنة بين القوات الاسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينية وذلك بعد مقتل عامل الشاشى الذى استنجد بالمسلمين ، وقد انضمت قوات ابى مسلم الخراسانى الى قوات زياد ابن صالح لتلقن القوات الصينية درسا قاسيا وكانت النتيجة مقتل اكثر من خمسين الفا من القوات الصينية وحوالى عشرين الفا من قوات المسلمين .

وكان هذا النصر سببا فى ابتعاد الصين عن التدخل فى شئون تركستان الشرقية وبعد اسلام القراخانيون اتجهوا صوب نهر «الفولجا» لنشر الاسلام والدعوة اليه ، كما اظهروا خضوعهم للخليفة العباس واتخذوا القاب موالى امير المؤمنين (٣) .

واستمرت تركستان الشرقية بعد ذلك بحكمها خانات من الاتراك حتى ثار الشيخ هداية الله خوجة واستولى على الحكم عام ١١١١ هـ

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح الى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٣٠٣ .

(٢) عيسى يوسف : مصدر سابق ، ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(١٦٩٩) م ثم انتشرت بعد ذلك الفتن الداخلية حتى استولى الماتشوريون على الحكم فى تركستان وضموها الى الامبراطورية الصينية حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) (١) .

انتشار الاسلام فى المناطق الداخلية من الصين :

اذا كان الاسلام قد انتشر فى المناطق الساحلية عن طريق الدعوة والتجارة ، فانه قد انتشر فى المناطق الداخلية من الصين عن طريق الدعوة ولا سيما فى المناطق المجاورة لتركستان ، كما وصل الى الصين عدد من الدعاة من العرب والفرس قاموا بالدعوة للاسلام فى كثير من الولايات الداخلية .

ومن اهم المناطق الداخلية التى انتشر فيها الاسلام كانسو وينح هسيا ، وستشوان وولاية بوتان ، وشالز ، وكوانج سى ، وهيونان ، وهونان ، وهيوبه ومنغوليا الداخلية وآن هوى وكيانج سى واخيرا كوى شو .

ويفسر البعض انتشار الاسلام فى المناطق الساحلية بالصين قبل المناطق الداخلية بأن المسلمين قد تفادوا فى حرص وحذر القيام بأى محاولة للتقدم نحو الداخل .

وتلك سمة من سمات انتشار الاسلام ، فهو اذا جاء البحر لزم السواحل واذا جاء بالبر لزم الداخل ، ولقد كان المسلمون بوجه عام يتحاشون اثارة غضب الحكومة الصينية فلم يبذلوا من الجهد فى ميدان الدعوة الاسلامية بالصين الا بقدر حتى كان عصر اسرة يوان (المغول) فظهر عدد من الدعاة كان لهم دور بارز فى نشر الاسلام بالداخل (٢) .

---

(١) عبد العزيز جنكيز خان : تركستان قلب آسيا ، ص ٣٤ .

(٢) دائرة المعارف ، جـ ١٤ ، ص ٤٧٩ - ٤٧٧ .

استمرار الاتصالات السياسية بين الصين والدولة الاسلامية :

فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك اوفد فى عام ٧٢٦ م الى الامبراطور الصينى هزوان تسنج Hswn Tsung سفيرا يدعى سليمان لتحسين العلاقات السياسية بين الصين والدولة الاسلامية وقد اثمرت تلك السفارة تحسنا كبيرا فى العلاقات بين الدولتين وتوافد كثير من المسلمين على بلاد الصين . ثم توترت العلاقات بعض الشىء فارسل الجراح الحكمى عامل خراسان فى مبدأ حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز جيشا الى الصين بقيادة عبد الله بن معمر اليشكرى ، ولكنه لم يكد يسير بضعة ايام حتى وقع بين ايدى قبائل الاتراك فى هذه الجهات فلم ينج الا يدفع جزية جسيمة (١) .

وكتب احد كتاب الفرس المسمى (نور الدين محمد) عن ابتداء دخول المسلمين الصين فقال ما مؤداه : « انه لما كثر اضطهاد الاشراف العلوين مدة الدولة الأموية هاجر البعض منهم الى الحدود الصينية وهناك على شواطىء نهر لعله نهر التاريم بالتركستان الصينية اقاموا لهم بيوتا سكنوها ، وهادنوا امبراطور الصين ، وخضعوا لحكومته فمد لهم يد المساعدة » .

ولا يخفى ان تاثر هذا الكاتب الشيعى بمذهبه واضح تمام الوضوح مما جعله يفسر البدايات الأولى لانتشار الاسلام فى الصين من هذه الزاوية ، وليس هناك ما يمنع من هجرة عدد كبير من المسلمين فى عهد الدولة الأموية الى بلاد الصين وبينهم بعض العلوين لكن سبب هجرتهم كان الدعوة للاسلام وليس فرارا من الاضطهاد الأموى كما يزعم نور الدين محمد (٢) .

والشىء الذى لا ريب فيه ان عصر العباسين لم ينته حتى كان للاسلام شأن عظيم فى الصين .

---

(١) احمد عطية : مصدر سابق ، ٣٨٨ ، محمد فريد وجدى ، سابق ، ص ٦٠١ .

(٢) محمد فريد وجدى ، ص ٦٠٢ .

V (f) ٢٧
Diaye Mali

الاتصالات بين امبراطور الصين والخليفة العباسى المنصور :

فى عام ١٣٧ هـ (٧٥٥ م) قامت ثورة فى الصين ضد الامبراطور « هزوان تسنج » الذى تنازل بدوره عن العرش لابنه « سوتسنج » Su Tsung فطلب هذا الأخير من الخليفة العباسى المنصور ان يرسل اليـــه نجدة عاجلة ، وقد امده الخليفـة بقوة من الرجال اعادته الى عرشه واسترجع عاصمته سنينفو وهونينفو من ايدى المتمردين وبعـد انتهاء الحرب وعودة الهدوء الى الصين بقيت هذه القوات الاســلامية واستقرت فى الصين وتزوج افرادها من صينيات وانضموا الى اخوانهم فى الدين من تجار العرب والفرس فى مدينة كانتون ، ولم يلبثوا ان امتزجوا بالسكان وبذلوا جهدا كبيرا فى الدعوة للاسلام (١) .

ويفسر البعض سبب بقائهم فى الصـــين ورفضـــهم العودة الى بلادهم بانهم رجعوا الى بلادهم ولكنهم لما لم يسمح لهم بالبقاء بعـد ان مكثوا مدة طويلة فى بلاد تاكل لحم الخنزير ، عادوا ثانية الي الصين ، وســـمح لهم الامبراطور بالاقامة فعاشـوا آمنين فى كانتون وغيرها .

وتقول رواية اخرى بانهم كانوا فى كانتون وعلى اهبة الابحار الى بلاد العرب ، وفى ذلك الوقت عيرهم البعض بانهم اكلوا لحـــم الخنزير فى اثناء تواجدهم فى الصين ، وكان من اثر ذلك انهم رفضوا ان يعودوا الى وطنهم ويعرضوا انفسهم لخطر مثل هذه الاتهامات من قومهم وحينما حاول حاكم كانتون ان يجبرهم على الرحيل ، انضموا الى اخوانهم فى الدين وقاموا بثورة فى المدينة ، مما اضطر الحاكم الى الانسحاب منها ، ولم يتمكن من العودة الى كانتون الا بعـد ان حصل على اذن من الامبراطور بالسماح لهذه القوات العربية بالاقامة فى هذه البلاد ، وخصصوا لهم اراضى ، ودورا فى مدن مختلفة حيث استقروا وتزاوجوا مع الأهالى (٢) .

---

(١) د. حسين مؤنس ، مصدر سابق ، ص ٦٥ .
(٢) توماس ارنولد ، سابق ، ص ٣٣٣ .

وما يهمنا فى هذا الميدان ان هـذه النجدة ، ادت الى تعميق الصلات بين الصين والدولة الاسلامية وان كثيرا من مسـلمى جنوب ووسط الصين يؤكدون بانهم احفاد جنود قتيبة فاتح كاشغر ، وهـذه المجموعة التى اوفدها المنصور .

وهناك بعض التحفظات على هذه الرواية ، اذ كيف يمنـع هؤلاء الجنود المسلمين من العودة الى بلادهم ، انهم عاشوا فى بلد تاكل لحم الخنزير ، وهل كانت الدولة العباسـية فى هذا الوقت تستغنى عن هذا العدد من الجنود وتقف فى طريق عودتهم الى بلادهم

وهناك رواية اخرى تقول بانه فى حوالى عام ١٤١ هـ أو ٧٥٨ م اى فى خلافة المنصور اقبل من البحر جماعة من العرب ، اكتسـحوا ضواحى كانتون ، واستولوا على بعض المناطق الحكومية فيها (٢).

ويقال تبعا لرواية ثالثة بأن هجرة المسـلمين الى الصين كانت لمعاضدة حاكم مخلوع من حكام الصين وبعد معاضدته آثروا الاقامة فى الصين على العودة الى بلادهم ، وصاروا يشتغلون بالتجارة ، ويخدمون فى الجيش الصينى ، وفى قصور الحكام الصين قوادا ، واجنادا .

وقد بقى ذلك منهم حتى هذا القرن الذى نعيشه ، وكانت هناك فرقا كاملة يقودها امراء مسلمون فى دولة الصين ، وكثيرا ما كان القواد ينتهزون الفرصـة فيبذلون جدهم فى حمل مرؤسـيهم على الاسلام (٢) .

ويلاحظ ان هذه الروايات اتفقت على وصول قوات اسلامية الى بلاد الصين فى خلافة المنصور ، واتفقت اثنتان منها على ان هـذا الجيش ارسل لمعاونة احد اباطرة الصين ، وان هذه القوات استقرت فى كانتون ، وان هذه النجدة كانت فى سنة ٧٥٦ ، ورواية اخرى بانها كانت فى ٧٥٨ وتستطيع ان تستخلص من هـذه الروايات ان

---

(١) حامد عبد القادر ، مصدر سابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٠ ، هويدى العربى ، ٢٦٤ ، ص ٨٠ .

الحادث فى عهد المنصور وبداية وصول القوات فى ٧٥٦ م ، وان هذه القوات قاتلت وانتهت من عملها الرسمى ، وصارت تتردد بين العودة الى بلادها والبقاء فى الصين حتى مر عليها عامان ببلاد الصين ، واثناء وجودهم فى كانتون بلا عمل ، حدثت ثورتهم فى كانتون ، ضد حاكم الولاية ، الذى حاول ان يطردهم ولما اذن لهم الامبراطور كان هذا فى عام ٧٥٨ م وبذلك يمكن الجمع بين الروايات السابقة .

ويذكر المؤرخ الفرنسى (كوروين) فى كتابه مسلمو يونان بان التجار المسلمين بمدينة كانتون ثاروا على الحكومة عام ٧٥٨ م لسبب ضريبة ارهقتهم بها ، فنهبوا البلدة واحرقوها وخرجوا عنها على زعمه - ولكنهم رجعوا بعد ذلك مرة ثانية لان العلاقات التجارية لم تنقطع بين الموانى الاسلامية وكانتون (١) .

واتهام المسلمين بتخريب المدينة وحرقها لا يتفق مع مسلك المسلمين فى تلك البلاد فهم لم يحاولوا الاستيلاء عليها ليجعلوها خاضعة لوطنهم الأم . كما فعل البرتغاليون فى (مالاكا) على سبيل المثال والأسبان فى الفلبين وثورة المسلمين فى مدينة كانتون بسبب مظالم واليها والدليل على ذلك انه بعد ان اجيبت مطالبهم بتعليمات من الامبراطور نفسه هدات الأمور تماما (٢) .

وهناك راى آخر جدير بالاعتبار يؤكد بان الامبراطور « تاريخ سو تشونج » الذى خلف اباه ، سنة ٧٥٦ على الحكم بعث برسول الى الولاة العرب الذين كانوا يتولون الأمور نيابة عن الخليفة المسلم فى آسيا الوسطى التى كانت ضمن ولاية خراسان ، ليستنجد بهم لانقاذ عرشه فارسلوا الى امبراطور الصين فى تشانغ - آن وحدة عسكرية مكونة من اربعة آلاف جندى من جيوش المسلمين المختلطين من الاتراك والفرس والعرب لقمع الثورة فى الصين . فلما انتهوا من مهمتهم وردوا الأمن الى نصابه فى شمال الصين عام (٧٥٧) ، اذن

---

(١) بدرالدين : مصدر سابق ، ص ١٨ ، قيصر اديب ، سابق ص ١٧ .
(٢) هويدى ، سابق ، ص ٨٠ .

لهم الامبراطور بالبقاء فى تشانغ ـ آن والاستيطان فيها وتزوج هؤلاء الرجال بالصينيات وانجبوا منهن ومن ذرية هؤلاء انتشر المسلمون فى شمال الصين الغربى ومناطق اخرى من بلاد الصين (١) .

ونظرا لتزايد المسلمين فى كانتون وغيرها من مدن الصين الجنوبية اصبحت لهم محلات خاصة لسكناهم واصبح لهم قاض يولى عليهم من بينهم ويصلى بهم العيد ، ويدعو لحاكم الصين فى خطبته وكذلك سلطان المسلمين .

وقد اتخذوا بعد ذلك محلات خاصة بهم فى غرب كانتون عرفت هذه المحلات باسم (فانغ فنغ) اى محلة الاجانب واحيانا سماها الصينيون بسوق الاجانب ، وكانت تجارة المسلمين فى الصين تزدهر تارة وتضمحل اخرى ، باختلاف سياسة الحكومة المحلية .

ويتضح لنا أن التجارة كانت وسيلة هامة لنشر الاسلام فى الصين، كما تدل كثرة الآثار الاسلامية فى كانتون ، وتشو وهانغ حون دلالة واضحة على ان الاسلام وصل الى الصين بحرا من طريق الهند ، وكثرة المسلمين فى الصين الغربية تدل ايضا على ان الاسلام وصل الى الصين برا عن طريق ما وراء النهر والوصول الأول اقدم عهدا وهذه حقيقة تؤكدها الأدلة التاريخية (٢) .

وهناك ملاحظة اخرى جديرة بالاعتبار وهى ان الاسلام لم ينتشر بين الصين فى البداية الا بصورة فردية وان مسلمى الصين كانوا من المهاجرين العرب او الفرس ويرجع السبب فى ذلك الى ان الصين كانت ترفع شعارا تمسكت به الاسر الصينية مهما كان ضعفها وهذا الشعار « لا دين غريب فى الصين » . واذا كانت البوذية قد تغلبت على المقاومة الشديدة ، التى قامت فى سبيل دخولها الى الصين فان مرجع ذلك فى المحل الأول الى ان البوذية كانت شبيهة بعض الشىء بمذهب « لى » الفلسفى الذى كان منتشرا هناك ، كما

---

(١) بدر الدين : تاريخ المسلمين فى الصين ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) محمد مكين : سابق ، ص ١٠ .

ان البوذية تأخذ بمبـــادىء توافق الخرافات التى كانت منتشرة فى الصـــين .

اما الاسلام فعقيدته التى تنادى بالوحدانية ولا تقبل هـــــذه الخرافات الموجودة فى البوذية او غيرها من المذاهب الفلسفية ، قـد وجدت اعراضا من بعض الصينين ولم تتهيأ الفرصة للمسلمين لنشر دينهم بين الصينيين بصورة جماعية الا فى عهد ولاة الامبراطورية المغولية الذين فتحوا المجال امام المسلمين لتولى الوظائف الكبرى فى الولايات الصينية .

ومن وسائل انتشار الاسلام فى الصين الدعوة الاسلامية وابرز من قام بها فى الصين السيد شمى الدين عمر والمعروف بالسيد الأجل الذى كان سببا فى اسلام اعداد كبيرة وخصوصـــا فى ولاية اليونان وكذلك وجود عدد من الدعاة تحمسوا لنشر تعاليم الاســـلام فى كل مكان بالصين (١) والى مثل هذا النشاط المباشر فى الدعوة يعزى اسلام عدد من اليهود والصينيين ، بدا استيطانهم لهذه البلاد من عصر مبكر وشغلوا وظائف فى الحكومة ، وامتلكوا ضياعا واسـعة ، ولكن جزءا كبيرا تحول الى الاسلام فى نهاية القرن السابع عشر .

ومن بين الوسائل الكثيرة التى انتشر بها الاسلام فى الصـــين التحالف مع الصينيين والزواج منهم ، مما ادى الى اسلام اسر باكملها عن هذا الطريق ، ويمثل هذه الوسيلة وغيرها تضاعف عدد المسلمين الى حد كبير .

وهناك ـ كما يذكر توماس ارنولد(٢) ـ عادة شراء الاطفال الوثنين وادخالهم فى الاسلام ، وكان آباء هؤلاء الاطفال لا يجـــدوا غضاضة فى بيعهم ، لعجزهم دائما عن توفير القوت لهم .

ففى اثناء المجاعة التى وقعت فى ولاية « تشنتنج » اشـــترى

---

(١) ارنولد : الدعوة للاسلام ، سابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) الدعوة للاسلام : سابق ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الاطفال . وكذلك ما حدث فى المجاعة التى اجتاحت ولاية كوبختنج Kwangtung سنة ١٧٩٠ ، اذ اشترك المسلمون فيما قيل عددا كبيرا بمبلغ عشرة آلاف طفل ، كان آباؤهم من الفقر بحيث لم يستطيعوا الانفاق عليهم ، فرغبوا فى التخلص منهم انقاذا لأبنائهم من الهلاك جوعا ، وقد تربى كل هؤلاء على الاسلام .

وفى عام ١٩٠٠ واثناء الثورة المعروفة فى الصين « بثورة البوكسر » قتل الوف من النصارى ، ونهبت اموالهم ، وسبيت نساؤهم فاشترى المسلمون عددا من اطفالهم كذلك (١).

واخيرا نرى ان الاسلام قد انتشر فى ربوع الصين بعوامل شتى من اهم هذه العوامل .

- اشتمال تعاليم الكتاب والسنة على خير الدين والدنيا فنزل الاسلام من نفوس العقلاء منهم منزلة سامية ، وكثر المسلمون فى الصين وانتشروا فى ارجائها بعد القرن الثامن الميلادى ، وازدهر الاسلام فيها ازدهارا ادهش الكثير من المؤرخين حتى ذهبوا فى تاويله كل مذهب ، ودل ذلك دلالة واضحة على بطلان دعوى الذين يزعمون ان الاسلام لم ينتشر فى مشارق الارض ومغاربها فى مدة وجيزة الا بقوة السيف .

- ومن عوامل انتشار الاسلام فى الصين ، ما كان فى انحائها من الجالية الاسلامية العربية ، والفارسية ، التركية ، فقد كانت اكثر عددا من الجالية الافرنجية ، واعظم منهم شانا ، فانها كانت تقبض على ناحية التجارة الدولية بين الشرق الاقصى والشرق الادنى ، بل كانت واسطة بين الشرق والغرب .

- كذلك نبغ فى مختلف العصور من بين المسلمين ساسة محنكون وقادة باسلون ، وعلماء محققون ، وادباء بارعون ، وارتقى الى مناصب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

الوزارة والولاية منهم كثير ، ولا تزال تلك الكتب القيمة التى الفها علماء المسلمين وادباؤهم فى الصين باللغات الصينية والعربية والفارسية تشهد لاصحابها بفضلهم ودقتهم ، وعلو كعبهم فى الثقافين الاسلامية والصينية (١) .

- كذلك من عوامل انتشار الاسلام فى بلاد الصين ، التسامح الذى اظهره كثير من الاباطرة تجاه المسلمين ، مما كان سببا فى اتاحة الفرصة لهم فى الدعوة الى الاسلام دون مضايقة وكانت فترة حكم اسرة يوان وبعدها اسرة منج من اعظم الفترات التى انتشر فيها الاسلام فى الصين .

- ويعزو البعض ، اسلام كثيرين من الصينيين فى العصر الحديث، الى تاثير كتب المسلمين الصينيين ويقال ان المعهد الاسلامى فى هوتشو بولاية كانسو يعلم طلبة العلوم الدينية النظرية ثم يعودون الى ولاياتهم، اذا ما اتموا دراستهم لينشروا الاسلام هناك . كما يقال انهم بدءوا عملهم هذا فى اكثر من عواصم عشر ولايات .

- ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط المسلمين فى الجيش الصينى ، فقد تاثر بهم جنودهم واقتدوا بمسلكهم فدخل منهم فى الاسلام ، اعداد كبيرة ، حتى قيل بأن عشرة آلاف جندى فى عام ١٧٧٠م بعد قمع الثورة فى زنجاريا Zungaria وكانوا قد دخلوا فى الاسلام بهذه الطريقة ، ثم تبعتهم اسرهم ، ليعمروا تلك البلاد ، وكان لهم تاثيرهم الكبير على من حولهم ايضا (٢) .

---

(١) حامد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .
(٢) ارنولد : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

ق

الفصل الثانى

المسلمون فى الصين

من اسرة تانج الى نهـاية اسرة منج

(٦١٨ ـ ١٦٤٤)

تمتع الاسلام فى الصـين ـ كما اسلفنا ـ بقبول حسن ، ولقى المسلمون هناك معاملة طيبة طيلة الفترة التى حكمت فيهـــا اسرة « تانج » وحتى انتهاء حكمها فى عام ٢٩٥ هـ (٩٠٧م) وقد اكتسبه المسلمون ثقة اباطرة الصين ، والشعب الصينى كذلك ، لما كانوا يمتازون به من خلق وامانة ، ونظافة ، واستقامة .

ويكاد يكون من المتفق عليه ان الاسلام وصل الى بلاد الصـــين فى عصر تلك الأسرة وان اول اتصال رسمى بين المسلمين والصينيين ، كان فى فترة حكم الامبراطور «كاوتسنج» عام ٦٠١ م (٣٠ ـ ٣١ هـ) وقد عاش المســـلمون فى عصره وبعـــده فى رغد من العيش وتزايد عددهم بصورة واضحة ، كما كانت الوفود الاسلامية ، والتجـــار المسلمون يصلون الى بلاد الصين متعاقبين .

وقد سجل تاريخ اسرة تانج القديم هذه البعثات ، وانهـــا قد وردت لأغراض شتى ، وكان من المحتمل ان تكون بعض هذه البعثات التجارية قد وردت مع بعض البعثات الرسمية ، وان عددها تزايد ، بمرور السفن بين بلاد العرب والصين ، حيث كان الطريق مامونا ، والسفر متيسرا ، وعلى اثر ذلك كثر عدد المسلمين من العرب والفرس فى الموانى الجنوبية من الصين بمرور الأيام وطول اقامتهم فيها (١).

هناك ملاحظة جـــديرة بالاهتمـــام ســـجلها المؤرخ الصينى

---

(١) محمد مكين : الاسلام فى الصين ، ص ١٠ .

« فواين جانغ FUYENCHANG » عن تاريخ اسرة تانج ، وتواجد المسلمين فى كانتون بصورة اكثر من الموانى الأخرى . وان تجارة المسلمين فى الصين كانت تزدهر تارة ، وتضمحل اخرى ، باختلاف سياسة الحكومة المحلية وأورد مثالا على ذلك ان الحاكم الصينى « ليمين LIMIEN » ، الذى تولى امر الولايات الجنوبية عام ٧٦٩ ، كان عادلا نزيها ، لا يكلف التجار الأجانب ولا سيما المسلمين الا مكوسا خفيفة فجاء الى « كانتون » فى السنة التالية اكثر من اربعة آلاف سفينة تجارية . تم حل محل « ليمين » رجل صينى آخر ، كان خبيثا ومتعصبا للبوذية ، ففرض الكثير من الضرائب والمكوس ، فتعطلت التجارة ، وحولت سفن المسلمين اتجاهها الى موانى اخرى غير الموانى الصينية . وظل الحال كذلك الى ان ابعد ليمين عن منصبه لتعود الأمور الى مجاريها مرة أخرى .

ويظهر اثر هذه الأحداث المحلية كذلك على احوال السلمين هناك ، حين خرج العاصى « هونغ جو » على الحكومة الصينية وقتل من الأجانب الكثيرين ومنهم المسلمون واليهود والنصارى فاضمحلت التجارة فى الصين خلال تلك الفترة اضمحلالا كبيرا حتى قضى عليه (١) .

ويذكر ويلز فى كتابه مختصر التاريخ ان سلطة الامبراطور « تان جيونغ) كانت تمتد جنوبا الى اسام ، وغربا الى مسافات شاسعة وقد ازدهرت الامبراطورية ، وامتدت ممتلكاتها الى مسافات شاسعة وبشكل مكن التجار العرب من السفر عن طريق تابل الشهيرة الممتدة بين انطاكية على البحر المتوسط ، عبر بلاد العرب ، فاواسط آسيا وتركستان حتى عاصمة الامبراطور جيونغ .

وقد استمرت هذه الطريقة معتمدة ما يزيد على قرن ونصف القرن وان الاسلام وصل الى بلاد الصين فى البداية من هذا الاتجاه بواسطة التجار العرب ، الذين سكن احفادهم فى هونان ، وسان تاوى ، وسان سه ، وسانس والمقاطعات الشمالية الغربية ، ولكن

---

(١) مكين : المرجع السابق ، ص ١٠ .

الامبراطور شيان تشونغ ، التاسع من اسرة تانج . قطع هذا الطريق عام ٧٤٢ ، فاضطر التجار العرب ان يتخذوا طريقهم فى البحر الى الصين مقلعين من الخليج العربى عبر المحيط الهندى الى الملايو ومنها الى كانتون .

ومما لا شك فيه ان « خانفو » ، كما سماها العرب بهذا الاسم هى احدى المدن الصينية التى وجدت فيها جماعة كبيرة من جاليات المسلمين الكونة من التجارة العرب والفرس وعائلاتهم منذ القرن الثامن الميلادى . وانه كان يعين على هؤلاء قاضيا من بينهم (١) .

وينقل البعض عن الشريف حسن السمرقندى وكان ممن زاروا الصين فى عصر اسرة تانج انه قال : « ان من عجائب ما رأى فى مملكة الفان (اى الخان) انه مع كفره فى رعاياه من المسلمين خلق كثير ، وهم عنده مكرمون محترمون ، متى قتل أحد الكفار مسلما قتل الكافر واهل بيته ، ونهبت اموالهم ، وان قتل المسلم الكافر لا يقتل به بل يطلب بديته وكانت ديته يسيرة بالنسبة للمسلم » ..

وتخلص الى ان المسلمين فى عهد اسرة « تانج » قد استقبلوا فى الصين باحترام شديد وعوملوا معاملة طيبة ، ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يعتبرون من الغرباء ، تختلف عاداتهم وتقاليدهم كل الاختلاف عن الصينيين ، فشيدت لهم احياء خاصة فى كل مدينة كبيرة وميناء بحرى هام ، واسست لهم مساجد ومدارس خاصة بهم .

وكانت الحكومة الصينية تختار غالبا رؤساءهم المعترف بهم من بينهم ليكونوا اولياء عليهم . وقد كسبوا بأمانتهم ونشاطهم كثيرا من الحقوق والامتيازات ، كما كان الاسلام فى ذلك الحين تحت رعاية الامبراطور الفعلية (٢) .

أسرة سنغ (٩٦٠ ـ ١٢٧٥) :

بعد فترة قصيرة من ذهاب اسرة تانج الصينية ، تولت السلطة

---

(١) الوحدة والناس فى الخليج ، سلسلة كتاب العربى ، ص ١٢ .
(٢) ابراهيم شيونغ : ماذا حدث للمسلمين فى الصين ، ص ١٠ .

فى الصين اسرة جديدة عرفت باسرة (سنغ) التى تشير سجلاتها الرسمية الى ان ٤٩ بعثة عربية وفدت من حكام المسلمين الى بلاط حكامها خلال عهدها الذى استمر اكثر من قرنين ونصف القرن ، حيث استقبلت هذه البعثات استقبالا حارا ولقيت احتراما بالغا من قبل الحكومة الصينية ، ومنح أحد السفراء المسلمين الوافدين اليها لقب « القائد » وهو لقب لم يكن يعطى لغير الصينين وبعد امتحانات عسيرة وشاقة ، كما سمح لهؤلاء السفراء المسلمين بان يتجولوا ويقميوا فى عاصمة الامبراطورية على الرغم من ان قوانين البلاد كان تحظر على الأجانب البقاء فى العاصمة او التجول فيها .

وقد بلغت قوة المسلمين ونفوذهم فى عهد هذه الأسرة ، حدا جعل حكامها يعينون فى موانى الصين مناطق خاصة بالجاليات الاسلامية، فيها المساجد والفنادق والأسواق ولهم امام يتولى أمورهم الدينية المحضة ، وقاض يحكم بين المتخاصمين . ووظيفة الامام والقاضى مخصوصة بالعرب المسلمين (١) .

وكان امبراطور الصين يعين على المنطقة التى يتجمع فيها عدد كبير من المسلمين رئيسا مسلما ليقوم بادارة شئونها السياسية والتجارية والدينية واذا كان المتخاصمان مسلمين قضى بينهما وفقا للشريعة الاسلامية ، واذا كان احدهما مسلما والآخر صينيا قضى بينهما بالأحكام الصينية ويفسر بعض « الصينين » هذا الموقف المجامل للمسلمين من جانب حكام هذه الأسرة بانه يرجع الى سلوك المسلمين الطيب ، وما ظهر عليهم من الزكاء والاخلاص والشجاعة ، حتى آمنين مطمئنين يقومون بشعائر دينهم بحرية تامة (٢) .

وقد شرعت حكومة « سونج » فى توثيق العلاقات مع التجار العرب ، فاوفدت مبعوثين محملين بالهدايا الى بلدان فارس والعرب الأمر الذى شجع كثيرين من هؤلاء التجار المسلمين على القدوم الى الصين .

---

(١) مكين : سابق ، ص ٤٥ .

(٢) بدر الدين : و.ل. تاريخ المسلمين فى الصين ، ص ٢

وتسجل كتب التاريخ الصينية قصة العربى ابو باطل (ربما كان ابو نائل) الذى دعى للقاء الامبراطور « سونج » فخلع عليه حللا ، وقلنسوة متوجة ، وحزاما مرصعا واثاثا وما الى ذلك . كما سمح له بان يسكن فى العاصمة للاستجمام عدة شهور .

وتشجيعا للتجارة التى كانت مقصورة تقريبا على المسلمين فى ذلك الحين ، سنت الحكومة الصينية قانونا يعاقب كل من يسىء الى التجار الأجانب ، ويقضى بعزل الموظفين الصينيين من مناصبهم ، اذا ما حدثت منهم هذه الاساءة ، كما تقضى نفس هذه القوانين بمحاكمة كل من يشارك فى خطف تاجر مسلم او انتهاك حرمته (١) .

وبسبب هذه الرعاية ، ازدهرت التجارة ازدهارا كبيرا وتزايد توافد المسلمين على بلاد الصين واصبحت تجارة الصين مع بلاد الشرق واوربا فى ايدى المسلمين ، فعرفت اوربا الحرير الصينى والخزف والتحف والصناعات الدقيقة عن طريق المسلمين ، كما حملوا الى الصين متاجر اوربا وغربى آسيا . ونتيجة لهذا الازدهار التجارى انتشر الاسلام فى بلاد الصين بصورة طيبة على عهد اسرة «سونج» .

وكان من الطبيعى بعد سيطرة المسلمين على جانب عظيم من التجارة البحرية بين الموانى الصينية والخليج العربى ـ الفارسى قديما ـ ان تتحسن احوالهم وتكثر اموالهم واشتهر من بين التجار المسلمين التاجر العربى « ابو على ابراهيم » الذى اقام فى ايام حكم اسرة « سنج » وهو مشهور بالصين (٢) .

كذلك اشتهر من بين المسلمين « ابو السوقين » وقد شغل منصب الرئيس او الشيخ للسوقين اللذين سيطر عليهما المسلمون واحد هذين السوقين كان فى مدينة « كانتون » والآخر فى مدينة (تشوان تشو) فاصبح ابو السوقين هذا فيما بعد مديرا عاما لادارة جديدة سميت

---

(١) هويدى : ٢٦٤ ، ص ٨١ .

(٢) د. حسين مؤنس : سابق ص ٦٨ .

بادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية ، والتى كانت مسئولة عن الشئون الجمركية والمراقبة على الواردات الصينية .

واما السلع التجارية التى كان العرب والفرس يتاجرون فيها بين بلاد الصين وبلاد العالم فقد كانت تشمل ٨٠ نوعا من التوابل ، و ٣٧ نوعا من العقاقير والنباتات الطبية ، والصمغ العربى والفارسى والكافير وانواع مختلفة من الأحجار الكريمة ومن اللآلى والعاج والكثير من انواع الأقمشة والمنسوجات الحريرية والمطرزات وغيرها.

كما استورد العرب من الموانى الصينية الكافور وماء الورد والقرنفل وغير ذلك من السلع الصينية .

وقد ظهرت نتيجة لهذا التبادل التجارى بين الصين والعالم الاسلامى نتائج ذات اهمية بالغة وآثار بعيدة المدى ، ذلك لانها قد اثرت فى احداث ادارة جديدة ، عرفت بادارة الجمارك لم تكن موجودة قبل ذلك فى الصين . ثم تاسيسها اولا فى مدينة كانتون ثم فى المدن الأخرى الصينية بهدف الرقابة على الملاحة والتجارة البحرية فى الموانى الصينية ، وكانت وظيفتها التفتيش على السفن القادمة والذاهبة وجباية الرسوم على البضائع الواردة بمقدار يتراوح بين ١٠ ، ٢٥ ٪ حسب اصناف البضائع ودرجاتها .

وقد جرت العادة بتولى هذه الوظيفة الهامة مسلم عربى او فارسى له معرفة تامة باوضاع التجارة البحرية ، وله صلة وثيقة بالتجار العرب والفرس (١) .

وكان من الطبيعى ان تزداد الايرادات الجمركية بصورة مضطرده . وجاء فى تاريخ اسرة سونج ان الامبراطور سونج تاى تونج (٩٧٦ - ٩٧٧) قد امر بتاسيس مكتب « التحويل » لأغراض بيع البضائع التى جمعت كرسوم جمركية من التجار المسلمين الى

---

(١) بدر الدين : سابق ، ص ٢٤ .

الصينيين بالنقد فكان الايراد الذى تم تحصيله نتيجة لذلك يمثل جزءا هاما من ميزانية الحكومية الصينية حينذاك .

ومن النتائج الهامة للتجارة بين بلاد الصين والعالم الاسلامى فهى استخدام بعض مشتقات النباتات العربية والفارسية فى الطب الصينى الذى كان يعتمد عموما على الادوية النباتية والمواد المستخلصة منها وقد استمل ما اخذه الأطباء الصينون على ١٨ نوعا .

وان هذه النباتات والأعشاب الطبية التى استوردها التجار العرب وغيرهم قد استخدمت فى تحضير الأدوية لمعالجة الأمراض المختلفة (١) .

وتقول المصادر الصينية ان الأثرياء العرب قد انفقوا الكثير من اجل تعمير العاصمة الصينية وان العربى (ابو شوق) انتخب رئيسا لدائرة التجارة والملاحة وتولى مقاليد التجارة الخارجية طوال ٣٠ سنة .

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان الوجود الاسلامى فى عهد اسرة « سونج » كان محصورا فى الوافدين من العرب والفرس والأتراك ، الذين وفدوا الى بلاد الصين للتجارة ، وسكنوا فى أحياء خاصة بهم تناثرت فى الموانى البحرية والبرية ، وكذلك الذين استقروا فى البلاد من بقايا جيش قتيبة أو الجيش الذى قيل ان المنصور العباسى اوفده لانقاذ الامبراطورية الصينية . ولم تشر هذه الكتابات الى اعداد من الصين دخلوا فى الاسلام عن طريق الدعوة (٢) .

ولو ان بعض المؤرخين الصينيين يؤكد ان الاسلام فى ظل رعاية وحماية اباطرة الصين وجد انتشارا كبيرا واخذ به عدد من الصينين .

---

(١) هويدى : سابق ، ص ٨٤ .

(٢) حامد عبد القادر : الاسلام ظهوره وانتشاره ، القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م نهضة مصر ، ص ٢٧٣ .

ويدعم هذا الراى ما ذكره توماس ارنولد من انه « ليس هناك دليل واضح على ان المسلمين فى الصين لم يقوموا باى نشـــاط فى نشر تعاليم الاسلام والدعوة اليه ، ويفسر ذلك بان المعلومات الى ذكرت عنهم حتى عصر اسرة يوان المغولية ، كان قليلا للغاية ويمكن القول بان تزايد اعداد المسلمين فى عصر اسرتى تانج وسونج بالصورة التى تحدث بها الجغرافيون والرحالة العرب الذين زاروا الصـــين وكذلك ما اشـــار اليه بعض المؤرخين الصينيين لا يمكن ان يكون بســـبب الهجرة والتناســـل الطبيعى فقط ولكن هناك اســـباب اخرى من بينها التزاوج بين المسلمين والصينيات ودخول اسر هؤلاء الصينيات فى الاسلام ، وليس ادل على ذلك من تزاوج بقايا جيش قتيبه وكذلك الجيش الذى اوفده المنصور ، مع الصينيين ، كما ان هؤلاء قاموا بدور كبير فى مجال الدعوة للاسلام والا لكان من الصعب تزايد المسلمين بهذه الصورة بسبب الهجرة فقط (١) . كما أن التســـامح الدينى فى عصر الاسرتين بجعل من السهل انتشار الاسلام عن طريق الدعوة وعلى الرغم من هـــذا فانه من الواضح انه لم تبرز شخصية اسلامية فى مجال الدعوة الاسلامية بصـــورة يمكن التركيز عليهـــا وابرازها فى تلك الفترة وما حدث فى هذا الميدان كان جهودا فردية لكنها اثمرت بدليل تزايد اعداد المسلمين فى كثير من المدن الصينية على سبيل المثال كان للمسلمين مستوطنة عربية فى « خانفو » كما اسماها العرب وكانت واحدة من اشـــهر المدن الصينية التى ضمت جالية كثير من جاليات المسلمين والمكونة من التجار العرب والفرس وعائلاتهم منذ القرن الثامن الميلادى (٢) .

وفى عصر اسرة « سونج » اتخذوا لهم محلة خاصة غربى هذه المدينة يديرها شيخ المحلة (الحارة) ينتخب من قبل المسلمين ويتولى الأمور باسم الامبراطور .

وكان من مهام وظائفه النظر فى امور التجار المسلمين بالنسبة لاحكام الحكومة المحلية وخاصة فيما يتعلق بالخراج والاتاوات التى

---

(١) توماس ارنولد : ص ٣٣٣ - ٣٣٦ - هويدى ص ٨٤ .

(٢) هويدى : ٢٦٤ ، ص ٨٤ .

كان على التجار الاجانب دفعها للسلطة الصينية وكان لشيخ المحلة المسلم لباس خاص رسمى عبارة عن رداء فضفاض على الطراز الصينى. وكانت له ادارة خاصة تسمى مكتب شيخ الأجانب .

وكانت هناك جالية اسلامية اخرى فى (اتشوان تسو) مكونه من العرب والفرس الذين كانوا يسكنون فيها منذ عصر (سونج) فى محلة خاصة على جانب النهر بجنوب المدينة . ولهم فيها مسجد عظيم الشان قديم البناء مشهور بالجامع الظاهر .

ويوجد فى هذا المسجد نصب تذكارى محفورة فيه كتابات صينية تشير بان بناء الجامع قد تم على يد تاجر عربى كبير يدعى عجيب مظهر الدين قدم الى المدينة فى سنة ١١٢٠ م .

وانشأ المسجد من حسابه الخاص ، ثم خصص له اوقافا عقارية لانفاق ريعها على من يقوم بامور المسجد .

ووجدت جالية اسلامية اخرى فى هانغ تشو على عهد اسرة سونج وقد وصفها ابن بطوطه وتحدث عن احوالها عندما زار بلاد الصين ونزل عند تاجر مصرى مسلم يسكن فى مدينة هانغ تشو يسمى عثمان بن عفان المصرى . قال عنه انه كان من اثرياء القوم وانه بنى جامعا وزاوية واوقف عليهما العقارات .

ووجدت جالية اسلامية فى « بائع تشو » ويقول تاريخ تانج القديم انه « عندما قامت الجيوش الصينية التى قادها احد الثوار المسمى (تيان زين كونغ) بنهب المدينة فى السنة الأولى من حكم الامبراطور (سوتشونج) ٧٦٠ م وانزلوا بالاهلى التشريد والقتل كان من الضحايا الذين قتلوا فى هذه الفتنة آلاف من التجار العرب والفرس من هنا تعرف ان جماعة كبيرة من المسلمين قد استوطنت هذا المبناء الصينى فى القرن الثامن الميلادى وبلغ عددهم فى عهد اسرة سونج عدة آلاف (١) كذلك عاشت اعداد كبيرة من المسلمين فى

---

(١) محمود شاكر وآخرون ، الاقليات ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

(تشانغ ـ آن) عاصمة الصين القديمة لبلاد الصين . ولكن يبدو ان نشاط المسلمين فيها ظل مجهولا بصورة واضحة لانها مدينة بداخل البلاد بعيدة عن الموانى الساحلية واتصالها مع الخارج لم يكن ميسورا فى ذلك الوقت .

المسلمون فى عصر اسرة يوان (المغول) (١٢٧٧ ـ ١٣٦٧ م) :

ظهر المغول فى تاريخ آسيا بصورة مؤثرة فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى . ويبدأ تاريخهم الفعلى بالقائد الكبير « جنكيزخان » (١) وقد تأسست لهم فى اول الامر امارة منغوليا لكنهم ينسبون الى قبائل (تغزغز) التركية التى هاجرت من تركستان الشرقية الى منغوليا اثر مهاجرة الاويغورين اليها عام (٨٤٠ م) وعندما توفى سابع امرائها (يسوكى) بهادرخان عام ١١٧٥ م آلت السلطة الى ابنة « تيموجين » الذى كان فى الثالثة عشرة من عمره وكان على الرغم من صغر سنة قوى الجسم ، فارسا ، ماهرا ، حاذقا فى رماية السهام ولكن القبائل رفضت زعامته لصغر سنه وحاول شيوخها التخلص منه ولكنه نجح فى الخلص من منافسية واصبح زعيما ولم يبلغ العشرين من عمره وفى عام ١٢٠٦ م (٦٠٤ هـ) وحد جميع القبائل فى شرق وغرب منغوليا واصبحت بلاد المغول منضوية تحت رايته وذاع صيته فى جميع الانحاء .

وفى ذات العام عقد مؤتمر عظيم اعلن فيه (قسيس الشامانية) ان السماء خلعت على تيموحين لقب (جينكيز خان) (٢) .

وقد استطاع هذا القائد الذى كان يجيد فنون الحرب والقتال ، وكان خبيرا بقيادة الجيوش شديد البطش قليل الكلام كثير التفكير

---

(١) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٢) عبد المؤمن السيد اكرم : اضواء على تاريخ توران (تركستان) ١٣٩٥ ص ٥٩ ـ ٦٢ .

غليظ القلب . استطاع فى فترة وجيزة ان يكون جيشا مدربا احسن تدريب ، وزوده باتراك من الاويغورين والاتراك المسلمين ، وجلب له من الصين اسلحة جديدة ومعدات حربية علاوة على تنظيمه ادارة قوية منظمة . وفى عام (١٢٠٧ م) استولى جنكيز خان على دولة (تانغوث) الواقعة على حدود الصين الغربية وكان الامبراطور كين (امبراطور الصين الشمالية) قد ضمها لملكة قبل ذلك بوقت قريب .

وراى فيه الاتراك جميعـــا بطلهم وموحـد كلمتهم فانضم له (ارسلان) خان خاقان دولة قارلق التركية المسلمة الواقعة شـــمال (بنى صو) فى تركستان وبذلك تكاثرت جموعة وعظم شان .

وفى عام (١٢١١ م) بدا هجومه على الصين فاخترق سورها العظيم وتدفقت كتائبة على مدن دولة كين او الامبراطورية الشمالية حتى اســـتولى على عاصمتها (بكين) وفر الامبراطور الصـــينى وجنوده بعد الهزيمة الشاملة عام (١٢١٦ م) وتوالت انتصـــارات القائد المغولى بعد ذلك فى آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر التى اشاع فيها الرعب والفزع والقتل والدمار والخراب فى انحائها .

وبعد موت جيكيز خان عام (١٢٢٧ م) (٦٢٤ هـ) قســـمت مملكته كما اشار قبل موته بين ثلاثة من ابنائه هم (جغتاى خان) و « جوجى خان » و (اكتاى خان) وجعل ابنه الرابع تولى خان خليفـة له على عرش الدولة المغوليـــة ولكن اوكتاى خان تمكن من الوصول الى قمة السلطة فى اوائل عام ١٢٢٩ م وهو الذى اتبع سياسة ابيه التوسعية فاخضع البقية الباقية من بلاد الصين وتوسع فى اتجاه اوربا فتقدم نحو روسيا واستولى على موسكو وكييف وغيرها من المدن الروسية ، وتقدمت قوة اخرى تابعة له نحو المجر واخرى نحو بولندا وتقابلت القوتان فى قينا عاصمة النمسا عام ١٢٤١ م (١) .

وما يعنينا فى هذا المقام ان اسرة سنج التى وحدت بلاد الصين

---

(١) عبد المؤمن اكرم : سابق ، ص ٦١ .

تحت سلطاتها ، واستمرت فى الحكم من ٩٦٠ الى ١٢٢٧ على الرغم مما كان يكتنف عهدها من صراع مع أمم الهون الشمالية التى كانت تغير على الساحل الشرقى لتلك البلاد وفى ذلك الوقت تحولت السلطة فى الشمال الى امبراطورية « كين » ومن ثم انكمشت اسرة « سنج » نحو الجنوب وعرفت بين سنتى ١١٢٧ و ١٢٩٥ باسم مملكة سنج الجنوبية .

وقد تمكن اكتاى خان - كما اسلفنا - من القضاء على امبراطورية كين (او الاسرة الذهبية) بفضل مساعدة اسرة (سنج) التى كانت على عرش الامبراطورية فى الجنوب ، وبذلك سعت تلك الاسرة الى الى حتفها بظلفها بانضمامها الى المغول ضد دولة « كين » (١) .

وفى عام ١٢٥١ عين كويلاى خان حاكما عاما على بلاد الصين ثم خلف اخاه فى زعامة المغول (٦٥٥ - ٦٩٣ و ١٢٥٧ - ١٢٩٤ م ، وكان قبل اعتلائه العرش شديد الاهتمام بشئون بلاد الصين ، فاتخذ بكين عاصمة لملكه بدلا من قرة قورم وبذلك تاسست اسرة يوان المغولية ودخلت هذه المساحات الشاسعة فى دولة واحدة ، فقد اتسع المجال لانتقال السكان من مكان الى آخر فانتقل الكثيرون من آسيا الوسطى الى الصين ومن الصين الى هذه المناطق ، ووكثر توافد المسلمين من عرب وترك وفرس الى الصين ، فكان منهم تجار ، ومقطبيون ، وطلاب علم ، وفلكيون ومحاربون ، وقد دخل الكثيرون من هؤلاء الأخيرين فى الجيش الصينى (٢) .

وترجع اسباب هجرة هؤلاء الى غارات المغول على البلدان الاسلامية المختلفة فيما بين القرن الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ، كذلك الى دخول عدد من خانات المغول من بيت جنكيز خان فى الاسلام بعد استيلاء هذا الاخير على شمال الصين عام ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) وكان ذلك سببا فى تشجيع هجرة المسلمين من الأقاليم المجاورة الى الصين واستطانهم بها وكان ذلك اضافة جديدة الى

---

(١) د. حسين مؤنس : سابق ، ص ٦٨ .

(٢) احمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، ص ٣٨٨ .

الوجود الاسلامى بالصين ادى الى نهوض المسلمين بمراكزهم فى الصين الى درجة ممتازة ، ايام حكم هذه الأسر المغولية .

وهناك اجماع من المؤرخين على ان الاسلام حقق قفزة واسعة فى الصين فى ظل دولة يوان المغولية التى حكمت الصين بعد الاطاحة بحكومة اسرة سنج .

وقد استقر عدد كبير من المهاجرين المسلمين فى وطنهم الجديد وكونوا جالية اسلامية كبيرة امتازت بنشاطها ولم تلبث ان فقدت معظم مميزاتها الجنسية واندمجت فى اهل البلاد ، وتقلد بعض افرادها الوظائف الهامة ولا سيما فى عصر قبلاى خان الذى جعل على راس حكومته وزيرين من المسلمين احدهما يدعى احمد البناكتى (ويدعى بالصينية اهاما) عضد المسلمين واجتهد فى اعلاء شانهم حتى صارت لهم الكلمة العليا حينذاك (١) ، ويقول المؤرخ الصينى « منج - هسيو - وو » انه كان هناك ثلاثون مسلما على الأقل يحتلون مناصب رئيسة فى بلاط بكين وكان معظم حكام الولايات من المسلمين .

وينقل الرحالة الايطالى « ماركو بولو » الذى زار الصين فى تلك الفترة انه راى بنفسه اشهر مهندسين فى الصين وهما مسلمان يدعى اولهما على الدين الموصلى ، والثانى اسماعيل الهروى . كما ذكر ايضا بان الأمير (جهاندار) دخل فى سنة ١٢٨٣ اقليم (يونان) ومعه قائدان مسلمان احدهما يدعى ناصر الدين عمر . وان مسلما آخر اسمه (ناصر الدين) كان فى نفس هذه السنة وكيلا للمالية وان رجلا يدعى قطب الدين (اوتوننغ) كان فى عام ١٣٠٢ م وزيرا للملكة .

ويشير توماس ارنولد (٢) انه بعد ان استقرت هذه الأعداد الكبيرة من المسلمين فى الصين بصفة دائمة تزوجوا من صينيات ،

---

(١) عبد الرحمن زكى : آسيا الاسلامية ، ص ٧٣ .

(٢) الدعوة للاسلام ، ص ٣٣٤ ، د. عبد الرحمن زكى ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

واصبحوا جزءا من المجتمع الصينى ، بل وتقلدوا ارفع المناصب تحت امرة حكام المغول مثال ذلك عبد الرحمن الذى اختير رئيسا على خزانة الدولة ، وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصينيين والأجانب ، ويفسر البعض هذه الظاهرة وهى تفوق المسلمين وانتصار الاسلام فى عصر هذه الأسرة المغولية بتفسيرات مختلفة . من بينها ان هذا المد تعبير عن اتساع حجم المصالح التجارية بين بلاد العرب والصين فى تلك الفترة ، كما يفسره البعض الآخر بان المغول كانوا فى الأساس بغير دين او ان دينهم كان يقوم على عبادة نجمهم السعيد مع السعى الذى لا يكل ولا يمل الى استنزاله من السماء ، وذلك على عكس الأسر التى حكمت الصين قبلهم (١) ، وكانت تدين بالبوذية وتتعصب لها رافعة شعار « لا دين غريب فى الصين » ، وبسبب موقف المغول من الدين ، فانهم لم يترددوا فى ان يتساهلوا مع حملة الأديان الأخرى ، ولأنهم شعب وافد من خارج الصين عن طريق الغزو ، فقد كان يهمهم احداث قدر من التوازن داخل المجتمع الصينى عن طريق فتح الباب لظهور قوى جديدة على سطح المجتمع ، مما يدعم موقفهم ، ويثبت اقدامهم ، وربما يصعب من ناحية اخرى ، القوى الصينية التى قد تتحالف ضدهم .

وهناك اسباب اخرى لتحقيق المسلمين هذا القدر من التقدم فى عصر اسرة يوان المغولية من بينها ان الكثيرين منهم (من المسلمين) من اصل عربى او فارسى او تركى هاجروا الى آسيا الوسطى وبلاد التركستان واتخذوها اوطانا منذ القرون الماضية فدخل بعضهم فى خدمة الجيش المغولى ، وتقلدوا المناصب المختلفة من وظيفة جندى بسيط الى كبار الضباط والقواد تحت امرة جنكيز خان وخلفائه .

لقد حارب هؤلاء المسلمين مع الجيش المغولى ، حكام اسرة « سنج » فى شمال الصين وغربها ثم ظلوا فى الصين كالموظفين فى الحكومة فاظهورا كفاءتهم فى ادارة الأمور ثم ارتقوا الى مناصب

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٨٤ .

(٢) د. حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٧٠ ، بدر الدين ، ص ١٦ .

رؤساء الدواوين فى العاصمة (بكين) او فى الولايات التابعة للامبراطورية المغولية الواسعة التى اعلن عن تاسيسها فى عام ١٢٧٧ م وكان ذلك بعد ان نودى بـ (قبلاى خان) كاول امبراطور للمغول على الصين ملقبا بـ (يوان سى تو) .

ويذكر الأستاذ عبد الرحمن ناجونج فى كتابة تاريخ العرب فى العصور الوسطى اسماء كثير من المسلمين الذين شغلوا المناصب العليا فى الدولة ويؤكد ان اكثر من مائة شخص من المسلمين ضموا إلى السجل الملكى لأسرة يوان بعد ان بلغوا الرتب التى تؤهلهم لذلك (١) .

واذا كان « قوبلاى خان » ابرز اباطرة المغول الذين يرتبط باسمه المد الاسلامى فانه من الجدير بالذكر انه قد انقلب على المسلمين فى بادىء الأمر بسبب وشايات قيل ان مصدرها ابن أخيه « اياقا » وهو ابن هولاكو الذى يعرف اسمه جيدا فى العالم العربى والاسلامى وكان اياقا متزوجا من نصرانية ، أوغرت صدرة ضد المسلمين فمضى بدوره يخدر عمه « قوبلاى » ويوغر صدره ضدهم . فجردهم من حقوقهم وامتيازاتهم القديمة (٢) . لكن شاءت ارادة الله ان يكتشف قوبلاى الحقيقة بعد سبع سنوات من ممارسة هذا الاضطهاد وذلك بعد ان وجد المسلمين خرجوا تباعا من الصين الى جزر الهند الشرقية ، وامتنعوا عن التجارة مع الصين ، وتوجهت مراكبهم من جزر الهند الى العراق ومصر ، الأمر الذى ادى الى نقص واضح فى واردات الحكومة الصينية ، وهو ما اضطره الى التراجع عن قراراته الواحد تلو الآخر لاسيما بعد ان تكشفت له الحقائق جلية وتبين له انهم مخلصون للدولة وانهم لم يرتكبوا جرما يستحقون عليه هذه المعاملة وان ما اشار به « اياقا » كان محض افتراء . وفى محاولة من قوبلاى لاسترضائهم رد اليهم حقوقهم ، وبنى لهم مسجدا رائعا فى « خان بالق » قيل انه كان يتسع لمائة الف من المصلين واصدر تعليماته باعطاء المسلمين كافة حقوقهم وامتيازاتهم التى كانت لهم (٣) .

---

(١) هويدى : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٢) بدر الدين ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٣) د. حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

السيد الأجل ودوره فى عصر يوان :

لاعطاء صورة واضحة عن احوال المسلمين فى الصين على عهد اسرة يوان (المغولية) نذكر شخصية شمس الدين عمر المعروف بالسيد الأجل والذى ولاه الامبراطور قوبلاى خان على بيت المال عام ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) كما تولى حكومة ولاية يونان وبفضله انتشر الاسلام فيها على نطاق واسع وبصورة لم تحدث من قبل ، كما نشر العدل والأمن فى ربوع الولاية وبين جميع السكان من مسلمين وغيرهم . وقد شهد له بالكفاءة والنزاهة الكثير من المؤرخين (١) .

وجاء فى تاريخ (يوان) جـزء (١٢٥) ان السـيد الأجل شمس الدين عمر كان مسلما سـيدا من قربات النبى عليه الصـلاة والسلام . وكان مسقط راسه مدينة بخارى فى آسيا الوسطى . وقد دخل فى خدمة (تاى تسـونغ) اولا وعمل بالخدمـة كضابط فى الجيش الصينى ، ثم رفع الى منصب الحاكم العسكرى لمدينة شنغ ، ثم نقل الى منصب القاضى فى مدينة (بنينغ) وهى مدينة بكين اليوم . ثم عين حاكما عليها ، ولما بعثت الحكومة بجيش الى ولاية سيتشوان بجنوب الصين لقمع الثورة فيها عين رئيسا لفرقة التموين العسـكرى فقام بالخدمة على احسن ما يكون خلال تلك المدة (٢) .

ولما نودى بقوبلاى خان امبراطورا على الصين(١٢٧١ ـ ١٢٩٤) واختار بكين عاصمة لامبراطوريته الواسعة ، عين السـيد الأجـل مديرا سياسيا فى البـلاط ، ثم ارسـل فى عام ١٢٧٢ م الى ولاية سيشوان حاكما عليها وفى عام ١٢٧٤ اصبح حاكما على ولاية يونان لتبدأ جهوده الكبيرة والموفقة لنشر الاسـلام فى تلك الولاية وكان سـكان (يونان) كما ذكـر فى تاريخ (يوان) فى حـالة بربرية لا يعرفون الآداب والأخلاق ولم يكن عندهم نظام للتعليم وكان من الطبيعى ان يختلط الرجال والنساء اختـلاطا اباحيا غير مشروع

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٨٥ .

(٢) بدر الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

ويحرقون موتاهم كما يفعل الهنود والصينيون احيانا ، كما كانت الامية منتشرة فى الولاية بصورة واضحة (١) .

وبدا السيد الأجل فترة حكمه بادخال الاصلاحات الاجتماعية واستعان بعدد من المسلمين لتعليم الأهالى وتهذيبهم ودعوتهم للاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما وضع الترتيبات للزواج بواسطة الوسيط بين الطرفين ، ووضع نظاما يقضى باستعمال التابوت لدفن الموتى ، كما وضع عدة مشاريع للرى ، وعلم الأهالى الحرث والزراعة ، ونهض بالمجتمع فى ولاية يونان نهضة شاملة ورائعة .

وفى نفس الوقت بنى السيد الأجل فى ولاية يونان بعض المعابد لأتباع كونفوشيوس بجوار المساجد الكثيرة التى انشئت فى كل مكان .

وبنى ايضا عددا من المدارس وشجع العلم ونشر الثقافة واصلاح المجتمع فى ولاية يونان بكل السبل والوسائل .

وظل السيد الأجل حاكما على ولاية يونان ست سنوات وتوفى عن ٦٩ عاما ، وكانت وفاته قد احدثت حزنا عميقا فى نفوس سكان الولاية وفى اوساط البلاط المغولى (٢) .

وقد اطلق على السيد شمس الدين عمر اسما صينيا هو سای تين شی (ترجمة حرفية للسيد الأجل) ، ثم خلع عليه لقب التشريف (امير حسين يانج) Hsien Yang Wang ، ويذكر كثير من المؤرخين ان السيد الأجل كان عادلا فى حكمه وكان لا يفرق بين مسلم وغير مسلم ، فالحق وحده سيد الموقف ، مما حبب الكثيرين فى دخول الاسلام واصبحت ولاية يونان تضم اكبر عدد من المسلمين فى ولاية واحدة من ولايات الصين (٣) .

---

(١) محمد مكين ، ص ٤٥ .

(٢) د. مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٦٩ ، هويدى ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٣) ارنولد ، مرجع سابق ، ص ٣٣٥ .

وقد اعقب السيد .. خمسة ابناء وتسعة عشر حفيدا ، وهناك من يشكك فى صحة انتسابة لآل بيت النبى عليه السلام ويؤكد بانه ليس هناك ما يمنع ان يكون الاخباريون المتاخرون قد وضعوها ليزيدوا من هيبة بطلهم من جهة وليخففوا من ارتباط قيام الاسرة بغزو المغول المكروهين فى العالم الاسلامى من جهة اخرى (١) ، وليس لدينا ما يمنع من انتساب السيد شمس الدين عمر الى آل بيت النبى ﷺ فكثير من آل البيت رضوان الله عليهم هاجروا بالفعل الى تلك المناطق فى بخارى وسمرقند وغيرها ولا مجال للتشكيك فى هذا الانتساب اطلاقا خاصة وان هذا الرجل كان مسلما فاضلا عادلا ، داعية للاسلام ، محبوبا من اتباعه ، مقدرا من خصومه واما تعاونه مع المغول على الرغم من موقف العالم الاسلامى منهم والمآس التى ارتبطت باسمهم ، فلا علاقة له بتلك الاحداث وهو لم يتعاون معهم فى صنعها ولكنه اتصل بهم لخدمة اخوانه فى الدين ويساهم بدوره فى ميدان الدعوة الاسلامية بين مواطنى الصين . ويكفيه ان حقق من النجاح ما لم يحدث من قبل لأحد غيره ولا يدانيه فى هذا العمل سوى ابنه « ناصر الدين » الذى عين وزيرا فى الحكومة المغولية ، ثم ولى على شاتى وبعدها على يونان حتى توفى بها ١٢٩٢ م وخلفه اخوه حسين فى ولاية يونان . وكان الاخوة الآخرون يتولون المناصب الرفيعة فى الدولة ، وكذلك كان شأن احفاده ومن بينهم ماتشو (١٦٣٠ - ١٧١٠) فى الجيل الرابع عشر وكان فقيها عالما نشر كتابه الرائع « ابرة الاسلام المغناطيسية » ١٦٨٥ ، وقد اشرف ماتشو على تحديد قبر سلفه سيد اجل ومجده ، وهو صاحب نقش من النقوش التى يحملها قير (٢) .

ويضيف ماركو بولو الايطالى الذى عاش فى الصين فى الفترة من ١٢٧٥ - ١٢٩٢ ان هناك عددا كبيرا من المسلمين فى جهات شتى من يونان ويؤكد مؤرخ معاصر لماركو انه فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى ، كان جمع سكان تاليفو Talifu عاصمة يونان من المسلمين .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٤ ، ص ٤٨٠ .

(٢) ارنولد ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ ، محمد تواضع ، مرجع سابق ، ص ١١ .

واخيرا يمكن القول ان ذرية السيد الأجل قد مثلت دورا هاما فى توطيد دعائم الاسلام فى الصين ، فكان حفيده هو الذى حصل من الامبراطور فى سنة ١٣٣٥ على الاعتراف بأن الاسلام « هو الدين الحق الخاص فى الصين » وهو اسم ظل الاسلام يحمله حتى القرن العشرين . وقد اذن الامبراطور فى ١٤٢٠ لشخص آخر من ذرية السيد الأجل ببناء عدد من المساجد فى العاصمتين سينامفو ، وتاتكين. واخيرا نختتم حديثنا عن احوال المسلمين فى عهد اسرة يوان (المغول) بذكر بعض الشخصيات الأخرى التى ظهرت فى الصين بالاضافة الى السيد شى الدين وعمر واولاده ، ومن بين الشخصيات الاسلامية الأخرى التى ارتقت فى عهد هذه الاسرة وكان لها مكانها فى المجتمع الصينى .

جمال الدين الفلكى واليه يرجع الفضل فى تقويم جديد وضع فى بلاد الصين ، واختراع سبعة آلاف فلكية اهداها الى الامبراطور . ولاتزال تحمل اسمه حتى الآن (٢٠) .

ومنهم كذلك سعد الله الشاعر الشهير الذى يطلق عليه الصينيون « تيان شى » او تش تشاى ، وغير هؤلاء كثيرون اشتهروا فى عصر اسرة يوان مما يؤكد ازدهار احوال المسلمين فى عصر تلك الاسرة ، كما يؤكد دورهم الكبير فى ترقية المجتمع الصينى .

ويلاحظ ان مدة حكم المغول فى الصين كانت قصيرة لم تتجاوز مائة عام كانت سرعة تصاعد نفوذ المسلمين فى انحاء الصين اثناءها ملموسة . وقد ظهرت فى صورة بارزة بالنسبة للمناصب العالية التى شغلوها بمختلف الدوائر الحكومية فى البلاد .

وفى وقت من الأوقات كان نالمساعد الأول لرئيس الوزراء مسلم يدعى حسن والمساعد الثانى لرئيس الوزراء كذلك مسلم ويسمى دولة شاه ، وعدد من المستشارين السياسين للامبراطور وكانوا من المسلمين ، كما شغل المسلمون مناصب الكتاب فى كل ادارة من ادارات الوزارة الست فى عصر المغول وكان مدير مركز الشرطة فى بكين العاصمة مسلم وعلى ضوء ما قاله رشيد الدين فضل الله المؤرخ

الفارسى الشهير المتوفى فى عام ١٣١٨ فى كتابه « جامع التواريخ » يتبين لنا ان الامبراطورية المغولية تحت قيلاى خان كانت منقسمة الى ١٢ ولاية كان على ثمان منها ولاة مسلمون يساعدهم فى اغلب الأحيان وكلاء مسلمون (١) .

وعلاوة على النفوذ السياسى والحربى الذى حققه المسلمون فى هذه الفترة كسبوا نفوذا ممتازا فى الميادين الأخرى .. فى الطب ، والفلك ، والمدفعية ، وهندسة العمارة فى الامور الدينية والقضاء وكان رئيس الادارة الهندسية مسلما يسمى جلال الدين يعاونه فى مهمته ٣ مهندسين مسلمين .

وقد انشات الحكومة الصينية كليتين اسلاميتين للطب والمعالجة احداها فى العاصمة الكبيرة (بكين) والأخرى فى شاندو (العاصمة العليا) وكانت تدرس فى هاتين الكليتين الطب الاسلامى والابحاث المختلفة فى هذا الميدان (٢) .

وهكذا كان للمسلمين فى عصر اسرة يوان (المغول) وجود فى كل مكان فى الصين مما يجعلنا نقول ونحن مطمئنين ان هذا العصر كان عصر التفوق للمسلمين ابان تلك الفترة .

المسلمون فى عهد اسرة « منج » الصينية (١٣٦٨-١٦٤٤ م) :

حكمت اسرة يوان (المغول) بلاد الصين فترة دامت ٩٢ سنة تقريبا (٦٧٨ - ٧٧٠ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٦٨ م) ثم خلفتها فى الحكم اسرة منج التى اعادت العرش الصينى الى عرق الهان ، الذى تنتمى اليه الأغلبية الساحقة من ابناء الصين .

ومع تولى اسرة « منج » كان عدد المسلمين قد تزايد بصوره كبيرة ، ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يعيشون حياتهم وفق

---

(١) بدر الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

نظامهم الخاص دون اتصال ببقية السكان من غير المسلمين واخذوا ينخرطون فى مختلف نواحى الحياة ، خصوصا الجندية ، كما عملوا بالزراعة حيث استقدم المغول اعدادا كبيرة من الزراع المهرة من بلاد خراسان وما وراء النهر استقر هؤلاء فى ولايات الصين المختلفة(١) .

وقد جدت عوامل كثيرة جعلت المسلمين يغيرون من اساليب حياتهم ويبداون مرحلة الاندماج مع المجتمع الصينى والخروج من العزلة التى كانوا عليها قبل ذلك ومن اهم هذه العوامل .

اولا : المركز الممتاز الذى وصل اليه المسلمون فى عصر اسرة يوان كان اثر كبير فى احداث نوع من الضغينة والحسد والشكوك بين جماعات من الصين المتعصبين ، ولو انهم لم يظهروا هذه الكراهية لتعاطف اباطرة هذه الاسرة مع المسلمين . ولكن الحقيقة انهم طووا فى قلوبهم هذا الحقد وذلك النفور حتى جاءت اسرة « منج » الصينية وبداوا يتحدثون عن المسلمين باعتبارهم اجانب عن البلاد قدموا الى الصين فى ثوب التجار او المقاتلين لمساندة الحكم المغولى - غير الصينى - على استغلال البلاد لمنافعهم .

ثالثا : خش اباطرة اسرة « منج » ان تنزل ببلادهم غزوة جديدة مخربة ، مثل غزوة جنكيز خان فاغلقوا بلادهم ، وساروا على سياسة الانعزال ، فانقطعت الصلة او كادت بين مسلمى الصين واخوانهم فى العالم الاسلامى (٢) .

وقد ادت هذه العوامل مجتمعة بالمسلمين الى تغير نظرتهم الى الحياة فى المجتمع الصينى فاخذوا يندرجون فى اهل البلاد ، واقبلوا على الزواج من صينات ، فنشأ اولادهم صينين مسلمين ، وكان هذا مما يثبت اقدام الاسلام فى الصين (٢) فى الوقت ذاته ، فان سياسة اسرة « منج » تجاه المسلمين اتسمت بقدر معقول من من الاعتدال والود احيانا الأمر الذى انعكس على امتيازات عديدة

---

(١) احمد عطية الله ، سابق ، ٣٨٩ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ٣٤ .

منحت للمسلمين ، واعداد كثيرة من المساجد بنيت فى ظل تلك الاسرة ، وشخصيات اسلامية برزت كذلك فى كثير من مجالات الحياة (١) .

وقد زار ابن بطوطه الرحالة المغربى عدة مدن ساحلية بالصين فى القرن الرابع عشر الميلادى وذكر انه فى كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها ولهم فيها المساجد ، وهم معظمون محترمون . واشار الى انهم لم يندمجوا فى اهل البلاد الا منذ نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فقد كانوا قبل سقوط أسرة يوان المغولية - على الرغم مما وصلوا اليه يحسبون جالية أجنبية . بينما أصبحوا فى عصر اسرة منح اقرب الى الصين انفسهم لا سيما وان عددهم لم يزد كثيرا بقدوم مهاجرين جدد وضعف ايصالهم ببنى دينهم خارج الصين . فاختلطوا بسائر مواطنيهم واتخذوا عاداتهم وملابسهم ، ووصل بعضهم الى اسمى المناصب ، وشملهم الأباطرة برعايتهم وقدم اليهم الامبراطور هنج وو Yung Wu مؤسس اسرة منح كثيرا من الامتيازات ، وتدل كثرة المساجد التى بنيت فى الصين على انتعاشهم خلال تلك الفترة التى قضتها هذه الدولة فى الحكم (١٣٦٨ - ١٦٤٤) .

والحق ان العلاقة بين الصين وامراء المسلمين على حدود الصين فى عصر هذه الأسرة كانت طيبة للغاية ، تشهد بذلك السفارات التى تمت بين الجانبين . وقد قيل ان العلاقات مع الأمراء التمورين قد جعلت الشاه « رخ بهادر » ينتهز فرصة قدوم سفير صينى الى قصره فى سمرقند ووجه رسالة الى الامبراطور يدعوه فيها للاسلام ونص الرسالة نقلها توماس ارنولد وعلق عليها بأن هناك رسالة اخرى وانه « ليس ببعيد ان تكون هاتان الرسالتان قد خلقتا القصه ، التى نشأت فى عصر متاخر والتى روت ان احد اباطرة الصين قد تحول الى الاسلام (٢) .

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٨٨ .

(٢) أرنولد ، سابق ، ص ٣٣٧ .

وقد روى هذه القصة مع غيرها ، تاجر مسلم ، يدعى سيد اكبر ، قضى سنوات قليلة فى الصين ، فى نهاية القرن الخامس عشر ، واوائل القرن السادس عشر ، وتحدث عن عـــدد كبير من المسلمين الذين اســتقروا فى الصين ، فكان فى مدينـة « كنجنفو » عـدد كبير بلغ ٣٠ الف اسرة من المســلمين ، لم يؤدوا الضرائب ، وتمتعوا بكرم الامبراطور ، الذى منحهم هبات من الأرض ، ونعموا بالحرية المطلقة فى اقامة شعائر دينهم ، وقد ترك أمر التحول الى الاسلام دون قيود ، وكان فى العاصمة ذاتها ٤ مساجد كبيرة ، وما يقرب من ٩٠ مسجدا صغيرا كلها بنيت على نفقة الامبراطور (٣) .

ومع هذه الرعاية التى منحها اباطرة اسرة « منج » للمسلمين الا ان كثيرا من البوذيين فى الصين ، لم ينظروا الى الاسلام نفس هذا الاحترام والتقدير ، فظهرت بعض المؤلفات الساخرة ، فى اواخر عصر المغول وبداية اسرة « منج » . تتحدث عن عقائد المســلمين وشعائرهم الدينية ، وحياتهم الخاصة بصورة تتسم بالبذاءة والسخرية .

وكان هذا الموقف وغيره من بعض المتعصبين يشكل تحذيرا نفسيا للمسلمين بان عليهم ان يغيروا بعض مظاهر الحياة واساليبها ان كانوا يأملون فى البقاء بصفة دائمة (١) .

اختيار المسلمين الاسماء العائلية الصينية :

كانت بداية محاولات مسلمى الصـــين الاندماج فى المجتمع الصينى اختيار بعض العادات الصينية والتقيد بهـــا فى معيشتهم الخاصة والعامة .

ومع بداية تأسيس اسرة « منج » بدا المسلمون خطوة الاندماج باختيار اسماء العائلات الصينية ، وسموا عائلاتهم بأسماء (ما) اختصارا من محمودا ومسعود و (جا) اختصارا من حسنى وغيره ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ٣٤ .

و (نا) اختصارا من ناصر الدين او نصر وغيرها و « باى » اختصارا من بدر الدين او بهاء الدين .

ويلاحظ انها نفس الأسماء الاسلامية لكنهم اعطوها طابعا صينيا فمن ذلك ان كل مسلم يبدأ اسمه بحرف الميم المفتوحه سمى نفسه « ما » وهو لفظ صينى شائع معناه الحصان . فتسمى باسم ما من كان اسمه محمود او مسعود ، اما من كان اسمه يبدأ بميم مضمومه مثل محمد ومراد ومصطفى فقد اتخذ اسم (مو) ومن المسلمين من اتخذ اسما مقاربا فى النطق لاسمه فداوود سمى نفسه تا وكذلك طاهر تسمى باسم « تا » وحسين تسمى باسم هو ، ومن كان اسمه مركبا من لفظه مثل خير الدين وشى الدين « تنج » او بخيت تسمى (نا) وسليم او صالح تسمى باسم (سا) وعيسى وامين تسميا باسم آى وهكذا (١) .

هذا من جهة ، واما من الجهة الأخرى فان المسلمين قد اتخذوا خطوات عملية لتوفيق العرى بينهم وبين العائلات الصينية بصلات الزواج مثل (انغ) و « تاى » و « لى » و « تشانغ » وغيرها من العائلات الصينية ، لقد اكتسبوا بهذه الطريقة عددا كبيرا من الاتباع الجدد للاسلام . كما اخذ المسلمون يلبسون الأزياء الصينية ، ومالوا الى دراسة اللغة الصينية وفهم الثقافة الصينية والآداب الصينية وبصفة عامة (تصينوا) تماما فى مظاهر الحياة الاجتماعية لكنهم مع ذلك حافظوا على تمسكم الشديد بالاسلام وامتنعوا تماما عن شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير واستخدام شحومه . مع ملاحظة ان بعض المسلمين فى شمال الصين الغربى احتفظوا ببعض الملامح الخاصة التى تشهد باصولهم الاسلامية التى حدثت فى الماضى البعيد (٢) .

وهكذا اخذ المسلمون بعد عدة أجيال يندمجون فى الحياة الصينية ، فشاركوا فى حياة البلاد السياية والعسكرية والاجتماعية ورفضوا اعتبارهم اجانب عن البلاد بعد ان اصبحوا تقريبا جزءا من

---

(١) د. حسين مؤنس ، سابق ، ص ٧٠ .

(٢) ابراهيم شيونغ ، سابق ، ص ١١ .

الحضارة الصينية ، وتقلدوا المراكز الادارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية وغيرها . فبلغ الاسلام فى هذه الفترة اوجه مجده واصبح من اديان الصين الكبرى ، وعاش المسلمون هناك مطمئنين يقومون بشعائر دينهم ما شاءوا (١) .

القيادات الاسلامية فى عصر أسرة منج الصينية :

ظهرت براعة المسلمين فى السياسة والقيادة بعد اندماجهم فى المجتمع الصينى ومن اشهر هؤلاء القادة « جين تو » قائد الأساطيل الصينية التى كانت مؤلفة من سبعة وثلاثين الف بحرى ، وقد ارسله امبراطور الصين الى جزائر الهند الشرقية وسيلان وسواحل الهند والعراق وسواحل جزيرة العرب ، وسواحل افريقيا الشرقية ليبحث مع حكامها العلاقات بينهم وبين الصين . وقد اخذت الوفود من هذه النواحى تتردد الى الصين حينا بعد حين وسافر كثير من الصين الى هذه البلاد للتجارة .

ويعتبر كثير من المؤرخين « جين تو » من كبار ساسة الصين فى القرون الأخيرة ومن القيادات اللامعة فى عهد هذه الأسرة القائد « ما جين » الذى عين قائدا على فرقة مؤلفة من خمسة آلاف جندى ، وقد امره الامبراطور تايتشو (١٣٦٨ - ١٣٩٨) أن يحمى ثغر (لينغان) ولما توفى وهو فى منصبه استوطن اولاده وكثيرون من عساكره (لينغان) والبلدان التى حولها .

ومن القواد المسلمين المشهورين فى أسرة « منج » سى تا وجانغ . فى جاونغ اللذان كانا عضوين للملك (تايتشو) (٢) .

ومن اشهر الشخصيات الاسلامية التى ظهرت فى تلك الفترة القائد تسانغ بوتشونج الذى ساعد الامبراطور « منغ تاى » على الاستيلاء على الحكم فى الصين وتأسيس أسرة « منج » وقد حاز

---

(١) شيونغ ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) مكين ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

على لقب امير الحرب فى عام ١٣٦٤ ورفع الى مرتبة مستشار سياسى وكلف بالمهام العسكرية فى شمال الصين وقد توفى بعد ان ازال الخطر الداخلى - متاثرا بضغط الدم العالى ولم يكن تجاوز الأربعين من عمره فاحدثت وفاته اسفا عميقا لدى امبراطور الصين منغ تاى الذى اعتلى العرش بفضل هذا القائد المسلم (١) .

وهناك اسباب كثيرة لظهور كثير من الشخصيات الاسلامية فى الصين خلال تلك الفترة من اهمها :

١ - السمعة الحسنة التى كسبها المسلمون منـــذ عصر سونغ ويوان . واستمرار ذلك الدور فى عصر اسرة « منج » .

٢ - تقربهم الى المجتمع الصينى واندماجهم فى هذا المجتمع وتاقلمهم الرائع مع نظمه وعاداته وتقاليده .

٣ - وجود عدد لا باس به من كبار المسلمين المعتمد عليهم من قبل البلاط الصينى .

٤ - تســـامح اباطرة هذه الأسرة ودخول عدد من افرادها فى الاسلام .

٥ - الصلات الطيبة بين اباطرة هذه الأسرة وبين البـــلاد الاسلامية الأخرى بآسيا الوسطى .

ويمكن القول اخيرا بان المسلمين فى عصر اسرة « منج » وقبل ذلك اسرة يوان احرزوا تقدما ملحوظا فى ميدان الدعـوة الاسلامية بالصين وتعبر تلك الفترة بحق الفترة الذهبية فى تاريخ المســلمين هناك .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

الفصل الثالث

مسلمو الصين فى مواجهة الاستبداد المانشورى

(١٦٤٤ ـ ١٩١١)

تولت الاسرة المنشورية الحكم فى الصين ، عقب انقلاب دموى قامت به فى عام ١٦٤٤ م ، واستمر حكمها للصين حتى عام ١٩١١ م . وهذه الاسرة كانت تحكم اقليم منشوريا الذى كان تابعا للصين وبسبب مساوىء الحكم والاضطرابات التى وقعت فى نهاية الحكم السابق ، وكذلك مضايقات رجال السلطة الصينين فى منشوريا وسوء معاملتهم قامت ثورة المنشوريين التى انتهت باستيلائهم على الحكم والتخلص من اسرة « منج » ومن العجب ان ترفض هـذه الاسرة ما وقع فى منشوريا من مظالم ثم عندما تحل هى فى الحكم تسوم المسلمين فى الصين وتركستان الشرقية سوء العذاب ، ويتعرضون فى فترة حكمها للكثير من الظلم والتضييق ، مما كان سببا فى وقوع عدد من الثورات الاسلامية ولأول مرة فى تاريخ المسلمين فى الصين .

وكان المسـلمون قد حاولوا ، بكل الوسـائل ، اثبات ولائهم للصين ، بعد ان استقروا فيها واندمجوا مع غيرهم من الصينين ، وادى استقرار الأوضاع فى عهد الأسرتين السابقتين الى ظهور قيادات فكرية اسلامية رفيعة المستوى ، تخصص البعض منها فى علوم القرآن والحديث والفقـه والتوحيد ، وخلفوا رصـيدا طيبـا من المؤلفـات الهامة(١) .

ومن الأسماء التى تناقل المسلمون فى الصين سيرهم أربعـة كبار هم :

وانج داى يو (١٥٦٠ ـ ١٦٦٠) ولـه مؤلفـات كثـيرة عن

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٨٩ :

الاسلام باللغة الصينية وكتب فى التوحيد والفقه وغير ذلك من العلوم .

ماتشو (١٦٤٠ - ١٧١١) وهو مؤلف كتاب ارشاد الاسلام فى عشرة اجزاء وهو من اشهر الكتب فى الصين فى ميدانه .

ليوتشه (١٦٥٥ - ١٧١١) عالم صينى مسلم معروف بكثرة مؤلفاته ومنها حقائق الاسلام فى ستة اجزاء ، وسيرة خاتم الأنبياء فى ٢٠ جزءا ، واحكام الاسلام فى عشرين جزءا وغير ذلك من المؤلفات الأخرى .

ما تو تشو (١٧٩٤ - ١٨٧٣) مؤلف مرموق وفقيه متعمق فى علوم الدين كان يقوم بالتدريس والتاليف ومن اعماله الشهيرة اصول الدين الأربعة ، واحكام الدين .

ويلاحظ فى بداية قيام الأسرة المانشورية المعروفة احيانا بدولة (تسنغ) ان المسلمين فى الصين لم يعد وجودهم مقصورا على المناطق الجنوبية والساحلية من الصين وحدها ولكن ظهر الوجود المؤثر لهم فى الشمال والغرب ، ومنهم مسلمو تركستان التى ضمت - غصبا - الى الامبراطورية الصينية ، والمسلمون ذوى الأصول المغولية مثل الأوزبك ، القازاق ، والتتار وهم امتداد لقبائل ما وراء النهر .

واما المسلمون داخل الصين فهم اما من ابناء العرب او الفرس الذين استوطنوا فى مختلف المدن والموانى الصينية ، واما من الصينين الذين دخلوا حظيرة الاسلام على مرور الزمن فتناسلوا وتكاثروا حتى اصبح لهم وجود مؤثر فى كل المدن الكبرى تقريبا مع اختلاف عددهم فى كل منها ولم يعد يميزهم عن الصينين شىء سوى اسلامهم وتمسكهم بالعادات والتقاليد الاسلامية ، وبعدهم عن شرب الخمر واكل لحم الخنزير ، ما عدا ذلك ، اخذوا يلبسون ملابس الصينين ويأكلون طعامهم ويعيشون حياتهم (١) .

وهذا الانتشار للمسلمين فى الصين ادى الى تنوع مجالات النشاط الاقتصادى للمسلمين ، فبينما ظلت نشاطات مسلمى الجنوب

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٤٦ .

هى التجارة اساسا ، اصبحت نشاطات مسلمى الشمال والغرب مركزة فى الزراعة والرعى . والأهم من ذلك ان المسلمين فى الصين اصبحوا يتصرفون لا باعتبارهم اجانب عن البلاد ، وافدين اليها ، ولكنهم اصبحوا يتصرفون كمواطنين لهم حقوق يجب الدفاع عنها ، وعليهم واجبات نحو مجتمعهم يؤدونها راضين مطمئنين ، ومن هنا نستطيع ان نفسر الكثير من الثورات التى قام بها المسلمون فى الصين وتركستان ضد هذه الأسرة المانشورية ، والتى دفعوا ثمنها باهظا ، وشنت عليهم الحمـــلات التى ذبح فيهـا الألوف منهم فى المقاطعات الشـــمالية والغربية ، وظل اضطهاد المسلمين مستمرا فى عهد هذه الأسرة والقواد العسكريين حتى قيام الحكم المركزى فى الصين والذى اعاد للمسلمين كثيرا من حقوقهم ويمكن تفســـير هذا التغيير فى ســياســة الدولة المانشورية تجاه المسلمين بأن هذه الأسرة كانت تخشى تحالف المسلمين مع النـــاقمين على النظـــام الجـــديد لاعادة الســـــلطة الى اسرة « منج » (١) .

ومن ناحيـــة اخـــرى انتهز رجال الدين البوذيون والكونفوشيون فرصة تغيير نظام الحكم فى الصين ، وحرضوا رجال الدولة الجـــدد على المسلمين حسدا منهم لما كانوا يلقونه من نجاح فى نشر دعوتهم ، فانقلبت عليهم السلطات متأثرة بما كان يشاع عنهم ، باستثناء عدد من اباطرة الأسرة المانشـــورية كانوا على النقيض من ذلك ، حيث عاملوا المسلمين بتسامح ، لكن تبقى السمة الغالبة للاسرة المنشورية الاستبداد والتشدد مع المسلمين ولا يفوتنا أن بعثات التنصير التى وصلت الى بلاد الصين ، وبدأت هجماتها ومحاولاتها لنشر النصرانية راعها ماوصل اليه المسلمون من رقى وما حققوه من نجاح ، فبدأوا يخططون لاثارة الأحقاد ووقف هذا المد الاسلامى فى الصين ، وقد عبر كاتب روسى فى سنة ١٨٦٧ فى كتاب كتبه عن الاســـلام فى الصين ، عن الفكرة التى تقول بأن الاســـــلام مهيـا لأن يصبـــح الدين القومى للامبراطورية الصينية ، ولأن يقلب تبعا لذلك ، الأوضـــاع السياسية فى العالم الشرقى راسا على عقب (٢) .

---

(١) د. حسين مؤنس ، سابق ، ص ٧٢ .

(٢) أرنولد : مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

وقد يرجع موقف الأباطرة المتشددين من هذه الأسرة الى شعورهم بانهم غرباء عن الصين ، ونتيجة لجهلهم باوضاع المسلمين واحوالهم انتهز كثير من الموظفين الفرصة وبعثوا بتقارير يحرضون فيها الحكومة ضد المسلمين ٠

من امثلة ذلك انه فى السنة الثانية لجلوس الامبراطور (يونغ تشنغ) Yung Chen ١٧٢٤ بعث (جين شين كوانغ) المفتش العام لولاية « شانتونغ » بتقرير الى القصر الامبراطورى ، قال فيه : بعد مقدمة طويلة (٠٠٠ يجب ان نمنع بتاتا بحكم القانون مزاولة الأعمال المعوجة التى تشوه اذهان الناس وعقائدهم ومن هذا النوع الأعمال التى تزاولها جماعة (هوى هوى) اى المسلمون ٠ ان هؤلاء لا يعبدون السماء والأرض ويأبون تقديم النذور الى ارواح الأسلاف الصالحين ٠ لقد اسسوا فرقا دينية خاصة بهم ويستخدمون تقويما غير التقويم الصينى فكثر عدد اعضاء هذه الجماعة بزيادة الأعضاء فيها وقاموا بدعوة الناس الى اعمال الشر افسادا لنفوسهم وعقولهم وعليه التمس من مقام القصر العالى اصدار امر امبراطورى بشأن اخراج هؤلاء المسلمين وتخريب معابدهم ومساجدهم من الأساس (١) ٠

ويتضح تماما ان كاتب هذه الشكوى جاهل متعصب مأفون ، لا يعرف عن الاسلام شيئا ، كما انه قصد برسالته تلك او تقريره ان يتقرب الى السلطة الحاكمة ولذلك ملأها بالمغالطات التى تبين للامبراطور ما فيها بعد ان ظهر له ان المسلمين لم يثيروا الناس او يدعونهم لأعمال الشر والفساد وهم مسالمون يعملون كغيرهم من الصينيين لصالح وطنهم ٠

ومثال آخر فى عصر ذات الامبراطور قدم (يوكوهوا) رئيس الشرطة فى ولاية (آنهوى) تقريرا الى القصر قال فيه : (٠٠٠ ان المسلمين المقيمين داخل البلاد يسكنون فى كل مكان وحيث يشاؤون ويمارسون جميع انواع الأعمال الحرة ، ويعيشون بين الناس دون اى تفرقة ٠٠ وعلى الرغم من ذلك لا يراعون التقويم الذى تستخدمه

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٤٧ ٠

الأسرة الحاكمة فى البلاد ولا يبالون بالسنة الكبيسة فانهم يستعملون تقويما خاصـــا بهم ويحتفلون براس السنة الجديدة الخاصـــة بهم ويتبادلون التهانى والبركات فيما بينهم (١) .

ويمضى رئيس الشرطة الصينى فى تقريره (.. ثم انهم يلبسون فوق رؤوسهم كوفيات بيضاء صباحا ومساءا اذا كانوا يجتمعون فى المعابد التى يسمونها (تسنغ جبغ تزى) اى المساجد فلا احد يعرف ما هى الأوراح التى يعبدونها وكذلك اقاموا نظاما للصوم فى شـــهر خاص ... وبالنظر الى انهم من رعـــايا جـــلالة الامبراطور العـــاقل الحكيم فانه يجب عليهم ان يراعوا نظاما موحدا صحيحا ويلبسون الملابس المالوفة واتوسل الى جلالتكم باصدار مرســوم يفرض عليهم مراعاة النظام الموحد الصحيح فى تدوين الوقائع وتسجيل المعاملات ، وفى الزى واللباس ، واما مساجدهم فينبغى ان تغلق ، واما انفسهم فاذا اصروا على عدم الطاعة لحكم القانون يعاقبون وفق هذا القانون الموضوع لمنع الأعمال المريبة ودفع الفتن .. فاما الأشخاص من اهالى البلاد فاذا اظهروا عطفا على المسلمين او يعطون الملجـــأ لهم فى- البيوت يحاكمون وفقا للقانون ذاته) (٢) .

وعلى الرغم من هذه القائمة الطويلة من الاتهامات التى قدمها مدير الشرطة بغية حمـــل الامبراطور على التخلص منهم ، كما يفعل كثير من امثاله الآن عندما يكيلون الاتهامات ضد الدعاة من المسلمين تقربا ونفاقا للسلطة الحاكمة - على الرغم من ذلك فان الامبراطور كان عاقلا مثقفا فلم يتخذ اى قرار بسبب هذه التقارير والشـــكاوى التى كشفت عن حقد دفين وجهل مطبق وقد تجلت وجهة نظره فى القرار الذى نشره ١٧٣١ (٣) : « فى كل ولاية من ولايات الامبراطورية يوجد منذ قرون مضت عدد كبير من المسلمين ، يؤلفون جانبا من الشعب ، اعتبرهم كابنائى وانظر اليهم كما انظر الى بقية رعيتى

---

(١) د. حسين مؤنس ، سابق ، ص ٧٢ .

(٢) انظر : ارنولد : سابق ، ص ٣٤٤ .

(٣) المرجع كسابق ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

تماما ، ولا افرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالاسلام . وقد تسلمت من بعض الموظفين ظلامات سرية ضد المسلمين ، سببها ان ديانتهم تختلف عن ديانة غيرهم من اهل الصين ، وانهم لا يتكلمون بلغة الصين ، ويلبسون لباسا يختلف عما يلبسه سائر الأهالى وهم متهمون بالعصيان والغطرسة والميول الثورية ، وقد طلب منى ان اتخذ ضدهم تدابير صارمة ، فلما بحثت هذه الاتهامات والظلامات لم اجد لها اساسا من الصحة . والواقع ان الدين الذى اتبعه المسلمون ، انما هو دين اجدادهم ، والحق ان لغتهم ليسب كلغة بقية الصينيين ولكن ما اكثر اللغات فى الصين . اما فيما يتعلق بدور عبادتهم ولباسهم وطريقتهم فى الكتابة ـ وكلها مختلفة عما عند غيرهم من اهل الصين . فهذه مسائل لا اهمية لها مطلقا ، وما هى الا عادة من عادات المسلمين . انهم يتحلون بالأخلاق الفاضلة كغيرهم من الرعية ، وليس هناك ما يدل على ميلهم الى الثورة . من اجل ذلك كانت رغبتى ان تطلق لهم الحرية فى اقامة شعائر دينهم ، الذى يهدف الى تعليم الناس التمسك بالحياة الفاضلة وتادية واجباتهم الاجتماعية والمدنية . ان هذا الدين يحترم النظم الأساسية للحكومة ، فماذا نستطيع ان نطلب منهم اكثر من هذا ، فاذا ظل المسلمون بعد ذلك يتصفون بما يتصف به الرعايا الأخيار المخلصون ، فسابسط لهم رعايتى بقدر ما ابسطها الى ابنائى الآخرين لقد ظهر منهم مدنيون وعسكريون ارتقوا الى أعلى المناصب . وهذا اقوى دليل على انهم تطبعوا بطباعنا وتعودوا عاداتنا ، وتعلموا كيف يلائمون بين انفسهم وبين شرائع كتبنا المقدسة انهم يجتازون امتحاناتهم فى الآداب كما يجتازها اى انسان آخر . ويقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضحية . وقصارى القول انهم اعضاء خلص فى الأسرة الصينية العظيمة ، وانهم يجدون دائما فى اداء واجباتهم الدينية والمدنية والسياسية ، وحين ينظر القضاة قضية مدنية ، لا تعنيهم ديانة المتخاصمين ، فليس هناك الا قانون واحد لرعيتى . فمن عمل صالحا كوفىء عليه ، ومن عمل سيئا حق عليه العقاب » (١) .

وهناك عوامل اخرى غير الحقد والجهل كان لهاتاثير واضح

---

(١) ارنولد : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

على موقف بعض الأباطرة من اهمها موقف القائدين المسلمين اللذين وقفا بجانب آخر امراء منج (بنجان وانج) وساعـــداه فى ثورته لاستعادة العرش المفقود من ايدى المتشورين واحد القائدين المسلمين يدعى (تنغ كوتونغ) والآخر (ميرا امين) وقد رفعا لواء الثورة فى « قانصو » فى السنة الخامسة من جلوس الامبراطور (هسيون جى) ١٦٤٨ وتمكنت القوات المتشورية من القضاء على هذه الثورة وقتل اكثر من خمسة آلاف مسلم فى هذه المعركة التى تدخل فيها امير شرق تركستان لمساعدة المسلمين (١) ٠

كذلك وجود اكثر من حركة دينية ظهرت فى الصين وكانت تحف اهدافا سياسية جعلت الحكومة تتشد مع هذه الحركات ومع المسلمين فى نفس الوقت ، ومن بين هذه الحركات حركة (باى ليان جو) طائفة النيلوفر البيضاء التى كانت تخفى أهدافها لاعادة الســـلطة الى اسرة صينية وقد سببت هذه الحركة للحكومة المنشورية مشاكل كثيرة ولم تتمكن من القضاء عليها الا بعـــد جهود مضنيه ، كذلك حركة طائفة (نيان لى جويو) وهى فـــرع من فروع حـــركة النيلوفر البيضاء (٢) ٠

وقد واجهت الحكومة المنشورية مشاكل اخرى مع جماعـــات المنصرين فى الصين بعد صدور المرسوم البابوى فى عام ١٧١٨ الى القائمين بامور التنصير لمنع الصينيين الذين دخلوا فى المسيحية من عبادة ارواح اسلافهم ، كما تدخل المنصرون فى امور الصين الداخلية وطالبوا باعطاء الحصانة للصينيين المعتنقين للنصرانية ٠ وتحمسوا لحمايتهم ولكن صدرت اوامر مشددة بمنع المنصرين من القيـــام بنشاطهم ٠

واذا كانت الســـلطات الصينية قد واجهت هذه التحـــديات مما دفعها لصب غضبها على المسلمين الا ان ذلك لم يوقف الدعوة للاسلام فى عهد هذه الأسرة وقد قبض على احد هؤلاء الدعاة وبدى هانفوين

---

(١) بدر الدين : تاريخ المسلمين ، ص ٤٩ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

Han-Fo-Yun وهو يتجول فى المدن الصينية داعيا الى الاسلام ومعه كميات من الكتب الاسلامية التى يستعين بها فى هذا المجال بعض هذه الكتب كان بالعربية وبعضها كان بالصينية وقد اتهم هذا الداعية بانه من الثائرين على الدولة ونع من القيام بمهمته ، كما احرقت الكتب التى كانت فى حوزته .

ص تقرير دوهلد :

وفى عام ١٧٢١ كتب احد رسل الجزويت يقول ان طائفة المسلمين تتسع شيئا فشيئا وان الدعوة للاسلام تتم فى غاية الرزانة والوقار وذكر اسبابا اخرى لانتشار الاسلام على الرغم من سياسة الحكومة المنشورية ولم يخف حقده كداعية للتنصر حيث تساءل فى مرارة عن اسباب انتشار الدعوة الاسلامية فى الصين فى نفس الوقت الذى ينظر فيه بكراهية شديدة الى اصحاب الديانات الأجنبية فى فى الصين ، كاليهودية والمسيحية ، وحاول اتهام المسلمين بانهم بانهم يلجأون للتحايل ويوهمون الصينيين بان تعاليم الاسلام متفقة مع تعاليم كونفوشيوس ، مع فارق واحد ، هو ان المسلمين يسيرون وفق تعاليم دينهم فى الزواج ، والجنازات ، وغسل الايدى قبل وجبات الطعام وتحريم الخنزير والخمر .. الخ » .

ويمضى هذا المنصر التابع لجماعة الجزويت فيؤكد بان المسلمين كانوا يسجدون امام صور الامبراطور كما يفعل الصينيون انفسهم وانه كانت لهم حيل عديدة فى التخلص من ذلك ، ارضاء لضمائرهم وتفاديا من الاتهام بالوثنية (١) .

ويظهر فى هذا التقرير الكثير من التناقض والغيرة نظرا لفشل المنصرين فى تلك الفترة فى تحويل كثير من الصينيين الى النصرانية كما كانوا يعتقدون ، فينما يصف الدعوة للاسلام بانها كانت فى غاية الوقار والرزانة يصف المسلمين بانهم مخادعون يلجأون الى الحيل ويسجدون لصور الامبراطور ويعلقون فى مساجدهم الواحا عليها

---

(١) ارنولد ، سابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

« عاش الامبراطور الخالد الى الابد » كما يلبسون الملابس الصينية الصينية المعروفة ليوهموا الصيين بانهم يلزمون عاداتهم وطبائعهم .

واخيرا يسجل البعض ان رجال الدين البوذيون والكونفوشيون فى عصر الدولة المانشورية حرضوا السلطات الحاكمة حسدا منهم على المسلمين لما كانوا يلقونه من نجاح فى نشر دعوتهم وقبض على اكثر من داعية مسلمة يتحرريض من الكهنة البوذيين .

الحكم المانشورى فى تركستان الشرقية :

منذ اسلم « بغراخان » لعب القراخانيون دورا رائعا فى نشر الاسلام فى المناطق الشرقية وجاهد سلاطين هذه الدولة المسلمين فى نشر الاسلام وطبعوا دولتهم بالطابع الاسلامى (١) واشتهر من هؤلاء السلاطين هارون بن موسى الذى لقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة، وكذلك ابلك خان الذى تلقب بلقب تاجر الحق . وقد احتل جنكيز خان هذه المناطق ثم اسس تيمورلنك امبراطوريته وكانت عاصمة دولته سمرقند فى تركستان الغربية ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء على جميع اراضى تركستان الشرقية على الرغم من انه فتح معظم دول العالم القديم حتى وصلت جيوشه روسيا وبولندا وهزم الدولة العثمانية والدولة الصفوية الشيعية فى ايران . واستمرت تركستان الشرقية تحكمها خانات (وخان كلمة تركية بمعنى سلطان او حاكم) وفى عام ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) ثار احد العلماء المجاهدين على الخان وهو من الأسرة الجغتانية التى حكمت تركستان الشرقية لعدة قرون وهذا العالم يدعى هداية الله خوجه وقد تعاون مع القبائل المغولية المعروفة باسم « قالموق » لاقامة دولة اسلامية فى تركستان الشرقية والغربية وقد نجح المتحالفون فى الاستيلاء على منغوليا الواقعة تحت الاحتلال الصينى وبدأوا فى تهديد بكين عاصمة المنشوريين ونظرا لخطورة الموقف اضطر اباطرة الصين ان يتولوا القيادة بانفسهم فى بعض الحروب التى دارت رحاها بين الامبراطورية المنشورية وبين القالموق .

---

(١) د. محمد على البار ، سابق ، ص ٢٥٩ .

وقد حقق المسلمون انتصارات كبيرة اضطرت القوات المنشـــورية تكثيف عددها حتى وصلت الى ١٣٠ الف فى محاولة مستميتة للقضاء على هذه الدولة الاسلامية ٠

وفى عام ١٧٥٣ ظهرت الحروب الداخلية والثورات فى الدولـة القالموقية وتمكنت القوات الصينية بعد معارك طاحنة قادها من الجانب الاسلامى برهان الدين خان من السيطرة على معظم تركستان الشرقية حتى تمكنت فى سنة ١٧٦٠ من احتلال هذه المنطقة الاسلامية واستمرت تحكمها حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١) باستثناء السنوات من ١٨٦٥ الى ١٨٧٧ وهى فترة الاستقلال التى اقام فيها يعقوب بك دولة اســـلامية معترف بها من كثير من الدول (١) ٠

مساوىء الحكم المنشورى فى تركستان الشرقية :

قامت القوات الصينية المنشورية بعد احتلال تركستان الشرقية عام ١٧٦٠ بقتل الآلاف من المسلمين بعد مذبحة رهيبة لم تفرق فيها بين كبير وصغير ، رجل او امراة ، كما ارسلت الى المنفى عشرات الآلاف من الأشخاص من ترك ومغول ٠٠ وصادروا اموال المسلمين وممتلكاتهم واشعلوا النيران فى بعض المدن وخربوبها ٠

وفى كاشغر نقلت الحكومة الكثيرين من ابنائها وسخرتهم للعمل فى اراضى الحكومـــة الصينية مع اجبارهم على طاعـــة الموظفين الصينيين ، ونقلت عائلات صينية لتحل محل هؤلاء التركستانيين بعد استيلائها على الأراضى الخصبة لتسليمها لهؤلاء الصينيين ٠

وقد اكد « جاو هوى » القائد الصينى فى تقريره الى امبراطور الصين فى مايو ١٧٥٩ (صفر ١١٧٣م) أن عدد الذين تـــم نفيهم بسبب مقاومتهم للاحتلال الصينى فى كاشغر وحدها بلغ ١٢٫٥٠٠ مسلم ولم يكتف المنشوريين بهذه المذابح ، واعمال السخرة ولكنهم خربوا القصور والمبانى الحكومية والكثير من المســـاجد ، وهدموا

---

(١) عيسى يوسف : سابق ، ص ٧٢ - ٧٣ ٠

معظم الآثار الدينية والقومية التى بنيت على الطراز المعمـــارى التركى كالمدارس والمكتبات والحمامات ومنـــازل القوافل ، وعلى انقاض هذه الآثار العظيمة بتو دور الحكومة والأسوار والقـــلاع والثكنات العسكرية والمعابد البوذية والكونفوشيه وغيرها . وسخروا الكثيرين من التركستانيين فى بناء هذه القلاع .

ومات الآلاف منهم جوعا وعطشا وبعد ان اصابتهم الأوبئـــة والأمراض المختلفة . ثم غير الصينيون اسماء اكثر الأمـــاكن فى تركستان فاطلقوا على تركستان اسم سنكيانج ، كما اطلقوا اسـم بى يننج على « ايلى » وهامى على « قومـول » و « تيهـوا » على « اورومجى » العاصمة وهكذا .

وليس هذا فقط بل أجبروا المسلمين على السجود لصـــور الامبراطور المنشورى وكهنته وموظفيه والأصنام الصينية واجبروهم على اكل لحم الخنزير ، وفتحوا للمهاجرين الصينيين الحـــانات للبغاء وذلك بغية نشر الرذيلة بين المسلمين هناك وقد اســتحدثوا ضرائب مختلفة تحت أسماء ومسميات لا يتصورها أحد من اجل دفع المسلمين الى الحاجة والعوز والفقـــر وفى نفس الوقت هدفوا الى سرقة سرقة ثروة الشعب المسلم ، واصبح دخل الغالبية العظمى من التركستانيين لا يكفى لسداد هذه الضرائب الباهظة (١) .

ومن مساوىء الحكم المنشورى فى تركستان الشرقية فرض الزى الصينى على المواطنين خاصة الموظفين منهم والطلاب الذين يتلقون العلم فى المدارس الصينية بتركستان ، واسوأ من هذا اجبار المسلمين على تزويج بناتهم من صينيين يختلفون عنهم دينا وسلوكا كما قام الجنود الصينيين بالاعتداء على كثير من الفتيـــات المسلمـــات واغتصابهن بالقوة وقتلهن فى أحيان كثيرة (٢) .

ومع تزايد مساوىء الحـــكم الصينى وتعرض المســتلمين فى

---

(١) سعيد اسماعيل : سابق ، ص ٨٨ ـ ٩٢ .

(٢) عيسى يوسف : تركستان ، ص ٨٢ .

تركستان الشرقية لاعتداءات وحشية ، هبوا يدافعون عن انفسهم ، فقامت اكثر من ثورة اسلامية نجح بعضها واخفق البعض الآخـــر ، وفقد المسلمون آلاف الشهداء فى تلك الثورات الوطنية .

ثورات المسلمين فى الصين ضد الحكم المانشورى :

كان من الطبيعى نتيجة لسياسة الحكومة المنشـورية ، وفقدان المسلمين الكثير من امتيازاتهم التى حصلوا عليها فى عهد اباطرة اسرة « يوان » واسرة « منج » وبعد ان اصبحوا جزءا من المجتمع الصينى ، وبعدت الشقة بينهم وبين اخوانهم فى العالم الاسلامى ، راودهم شعور بضرورة الدفاع عن هذه الحقوق التى بدات السلطات المنشورية تسلبهم اياها ، وترهقهم بالضرائب الباهظة ، وتمنعهم من القيام بالدعوة للاسلام فى حرية ، كما كانوا قبل ذلك من هنا قامت عدة ثورات فى ولايات الصين الداخلية ، والكثير من الثورات فى تركستان الشرقية .

ويفسر البعض ثورات المسلمين فى الصين الداخلية ، بان شعور المسلمين بالظلم ، وشعور الحكومة المنشورية بتزايد عدد المسلمين وخطورة هذه الزيادة ، جعل الصدام بين الجانبين امرا لا مفر منه ، مما ادى الى قيام هذه الثورات ضد الحكم المنشورى (١) .

وتتضح لنا حقيقة هذه الثورات ، والجهود المضنية التى بذلت للقضاء عليها من هذه الكتابات الصينية التى سجلت تاريخ هـــذه الثورات ، وهى على النحو التالى :

١ ـ تاريخ ثورة « ســوســيان » فى ولاية كاتسو سنة ١٧٥٨ م ٣٠ جزءا .

٢ ـ تاريخ ثورة « ماميغ سين » فى ولاية كانسو سنة ١٧٦٨ م ٢٠ جزءا .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ج ١٥ ، ص ١١ .

٣ - تاريخ ثورة « جنفغ » فى ولاية تركستان الشرقية سنة ١٨٢٥ - ١٨٢٧ م ، ٨٠ جزءا .

٤ - تاريخ ثورة سليمان « دووتسيو » فى ولاية يونان سنة ١٨٥٥ - ١٨٧٣ م ، ٥٠ جزءا .

٥ - تاريخ ثورة يعقوب بك فى ولايات « شينسى » و « كانسو » وتركستان الشرقية من ١٨٥٥ - ١٨٧٥ م ، ٣٣٠ جزءا (١) .

وهذه المؤلفات الضخمة بالصينية ، وتمثل وجهة النظر الرسمية الحكومة ، ومن هنا فان الاعتماد عليها امر بالغ الصعوبة ، ويصبح من المناسب الاعتماد على المصادر الأخرى التى اشارت الى هذه الثورات باقتضاب شديد ، وسنكتفى ببعضها فقط .

ثورات المسلمين فى قانصو (١٦٤٨ ، ١٨٦٢ ، ١٨٧٢) :

يمكن اعتبار هذه الولاية تتمة للعالم الاسلامى ، فهى تجاور تركستان الشرقية ، وتبلغ مساحتها ٣٦٧٫٠٠٠ كم ، ويقدر عدد المسلمين فيها بعشرة ملايين نسمة من بين مجموع سكان الولاية البالغين ١٣ مليون نسمة بنسبة ٧٩٪ ، عاصمتها (لان٠نشو) وتسمى الآن (كاولان) وفيها اكثر من ١٣٠ الفا من المسلمين وتضم مساجد كثيرة٠ ومن المدن الرئيسية كذلك فى ولاية قانصو : (سوتشيو ، وتقع خارج نطاق سور الصين العظيم ، وفيها مطار كبير ، وتسمى اليوم (كيوتشان) وتقع (ليانج كشيو) خارج سور الصين ، وتسمى اليوم (يووى) .

وقد عمل الحكم الصينى فى العهد المنشورى على تجزئة المناطق الاسلامية لتفتيتها ، واذابة بعضهم فى مجتمعات يغلب فيها غير المسلمين . وهكذا فصلت عن كانسو مدينتان هما (هوتشيو)

---

(١) محمد مكين : رجع سابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .

و (سينج) وضمتا الى التبت . والمسلمون فى (كانسو) من (الأويجور) المغول احفاد جنكيزخان ويسميهم الصينيون (هوى هوى) اماهم فيؤثرون اسم (كبادمن) اى اهل الدين .

واما عن الثورات التى قامت فى كانسو فهى كثيرة ولكننا نتحدث اهمها فقط . فبعد أربع سنوات من تولى السلطة الجديدة الحكم فى الصين اعلن مسلمو (كانسو) (هانج تشوفو) الثورة ضد الحكومة ورفعوا لأول مرة فى تاريخ مسلمى الصين السلاح ضد الدولة الصينية ، مطالبين بالحرية الدينية ، ومعاملتهم بالمثل كالصينيين الآخرين دون تفرقة ومنع مظالم موظفى السلطة من المتعصبين . وقد وقعت هذه الثورة فى عصر الامبراطور (هسيو - جى) وتمكنت القوات المنشورية من القضاء عليها قبل ان تستفحل وتنتقل الى مناطق تجمعات المسلمين الأخرى . وقد قتل من المسلمين اكثر من خمسة آلاف كما تدخل امير تركستان الشرقية لمساندة اخوانه فى الدين (١) .

وكان قائدا الثورة (تنغ كو تونغ) و (ميرامين) واما امير تركستان الشرقية المسلم فهو « تورتاى بن بايرخان » . واما اسباب هزيمة المسلمين فترجع الى تفوق الصينيين فى السلاح والعتاد وكان لهذه الهزيمة اثر كبير على تعامل الحكومة المنشورية مع المسلمين لفترة طويلة .

واما الثورات الأخرى فقد تمكنت القوات المنشورية من القضاء عليها بنفس القوة المتناهية وبدأت تعمل على فصل بعض الأجزاء من ولاية كانسو فى محاولة للسيطرة على الأمور فيها والحيلولة دون اتصال مسلمى كانسو باخوانهم فى المناطق الأخرى .

ثورة لاننشو وشيفانيا سنة ١٧٨١ :

بعد الهجمات المغولية والصليبية على العالم الاسلامى وتجزئته الى

---

(١) ابراهيم شيونغ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

دويلات متناحرة انقطعت اخبار المسلمين فى الصين عن اخوانهم فى العالم الاسلامى لبعد الشقة ، حتى اصبحوا وكانهم يعيشون فى كوكب آخر ، وظل مسلمو الصين بعيدين عن الخرافات التى انتشرت فى بعض مناطق العالم الاسلامى ، كما لم تؤثر فيهم خرافات غلاة الشيعة ، واباطيل البابية والبهائية (١) ، والقاديانية ، لكن على الرغم من ذلك بدات الخلافات المذهبية تعرف طريقها الى مسلمى الصين بعد ان عاد عالم مسلم شهير يدعى محمد امين (مامن شين) من زيارته للمدن الشهيرة فى آسيا الوسطى سمرقند وبخارى وفرغانة وكاشغر وغيرها ولاحظ بانهم هناك يقراون القرآن بصوت جهورى فدعا الى وعارض عدد من المسلمين مما ادى الى ظهور فرقتين :

الفرقة القديمة (الخفية) التى تفضل قراءة القرآن بصوت منخفض ، والثانية الجديدة (الجهرية) اتباع محمد امين وقد ادى الخلاف بينهما الى وقوع صدام دومى وتطور الموقف بعد مقتل بعض المسئولين فى الولاية على يد اتباع محمد امين وكانت النتيجة القبض عليه ومحاكمته ثم اعدامه على يد السلطات المختصة ، فقام اتباعه بثورة عارمة فى لاننشو وحاصرت القوات الصينية الثائرين وقتل بضعة آلاف منهم ، كما عومل الباقون من الفرقة الجديدة بقسوة متناهية ، ولكن الزعيم الجديد للفرقة (بتان او آخون) الذى ورث محمد امين فى الزعامة استمر فى دعوة الناس لتعاليم فرقته فى اكثر من منطقة وشجع المسلمين فى شيفانيا على الأعمال الرياضية والكشفية والاقامة فى المخيمات والتدريب على استعمال الاسلحة فى سرية تامة ، واكتشفت السلطات امره فدارت معركة خارج بلدة (فوكان) قتل فيها زعيم الفرقة الجديدة ومعه آلاف من المسلمين من بينهم السيدات والاطفال والشيوخ على يد السلطات الصينية التى بدات حملة ابادة منظمة ضد المسلمين وحاصرت منطقة شيفانيا وقطعت الماء عنهم وهاجمتهم فى حصونهم وتمكنت من القضاء على هذه الثورة وبعدها

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٩٣ .

صدرت تعليمات جديدة تنص على منع المسلمين من الجدل فى امور الفرق المذهبية (١) .

ثورة المسلمين فى ولاية يونان :

تعتبر ثورة المسلمين فى ولاية يونان من اعظم الثورات التى قام بها المسلمون فى الصين وادت الى استقلال الولاية على يد السلطان سليمان ،وكان من الممكن لو قدر لها البقاء طويلا ان تنجح فى جمع المسلمين فى الصين تحت كنف دولة اسلامية واحدة ، ولكن انتهت هى الأخرى بعد ان سجل المسلمون خلالها بطولات رائعة وقدموا تضحيات كبيرة .

وولاية يونان كما اسلفنا ولاية جبلية غزيرة الأمطار ، تكثر فيها الغابات ، وتجرى فيها الأنهار . وتبلغ مساحتها ٤٣٧ر٠٠٠ كم٢ ويؤلف المسلمون نسبة تزيد عن ٥٠ ٪ من سكان الولاية واشهر القبائل فيها (اللولو) التى تعيش بعيدة عن المدن والطرق الرئيسية وتمتهن الرعى وتعيش فى بيوت مصنوعة من الطين او جذوع الأشجار (٢) .

وتشتهر يونان بزراعة الأرز والذرة والشعير ، والدخان والأفيون والقمح والبذور الزيتية ، حرم المسلمون فيها الأفيون فيما بينهم وقد جاء المسلمون الى يونان بجنوب الصين الأقصى فى عصر اسرة يوان (١٢٧٧ - ١٣٦٧) حينما كان السيد شمس الدين عمر حاكما عليها .

وفى بداية القرن ١٩ كانت ولاية يونان تضم عدة ملايين من المسلمين ، وظلوا فيهاكغيرهم يلزمون الهدوء والسكينة ، ولكن الحالة فى عصر المانشورين قد تغيرت تماما فظهر الفساد فى البر والبحر وانتشرت الثورات فى مختلف ارجاء الصين ، قام بها المسلمون وغير المسلمين نظرا للسخط العام على سياسة الحكومة وتعتبر ثورة يونان

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، ٦١٨ .

نتيجة من نتائج المظالم السياسية والكراهية العامة التى اضمرها المسئولون فى حكومة هذه الولاية نحو المسلمين بوجه عام .

وقد بدات الثورة الأولى فى سنة ١٨١٨ نتيجة للخصومات القديمة بين عائلتين كبيرتين فى مدينة تونغ تشانغ عقب تخريب مسجد فيها ، ولم يهتم المسئولون بالأمر فثار المسلمون وهزموا القوات الحكومية ، واستعانت الحكومة المحلية فى الولاية بقوات كبيرة تمكنت بها من هزيمة المسلمين واعدم كثير من زعمائهم (١) .

وفى الفترة من ١٨٢٦ و ١٨٢٨ وقعت اضطرابات جديدة فى الولاية واشتدت فى الأعوام ١٨٣٤ و ١٨٤٠ وقتل من المسلمين اكثر من ٦٠٠ عائلة بما فيها الرجال والنساء والاطفال وقام المسلمون بانتقام شديد ولم تتوقف هذه الثورات الا بعد ان دعا الامبراطور (جيان لونغ) الى المصالحة واخمدت النيران التى اشتعلت اكثر من مرة ولكن عادت مرة اخرى وبشكل اكبر واكثر دقة وتنظيما وكان ذلك فى عام ١٨٥٥ وقد فجرها حادث صغير وقع فى جهة (تا لى فو) بعد ان اتفق المسلمون والصينيون على استخراج معدنى الفضة والرصاص من جهة (تالى) ، الا ان ميل الصينيين الى الاستئثار بالكسب وحرمان المسلمين من نصيبهم جعلهم يسلكون مسلكا عدوانيا ، اثار المسلمين ، الذين دافعوا عن انفسهم واشتبك الفريقان بعد مشاحنات بينهما ، وقتل بضعة افراد من الجانبين (٢) .

حاول والى يونان حل النزاع بطريق سلمى ، عن طريق منح المسلمين بعض الامتيازات فى اعمال التعدين ولكن نائب رئيس اركان الحرب « هوانغ تشونغ » لم يوافق ودبر مجزرة للمسلمين قتل فيها عدد كبير دون مبرر مما اشعل الثورة فى كل مكان وقيل ان الوالى انتحر ومعه امين الخزانة وقاضى القضاة وقبض على مقاليد السلطة فى البلاد (هوانغ تشونغ) الذى انحاز كلية الى جانب الصينيين وكتب الى الامبراطور خطابا شديد اللهجة يندد فيه بالمسلمين ويتهمهم بانهم

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ٨٧ .

(٢) محمد مكين ، سابق ، ص ٤٨ ، هويدى ، سابق ، ص ٩٦ .

اسباب الاضطرابات ويطلب من الامبراطور منحه سلطات واسعة للقضاء على « الفتن » . وقد استعد المسلمون للدفاع عن انفسهم بعد ان بلغهم ما فعله الوالى ولجأوا الى الغابات المجاورة وكان بينهم اذ ذاك (ماتيه هسنغ) وهو من كبار علماء الصين . ذا الملم بالعربية ، زار مصر واستانبول ومكث بها سنين وعاد الى الصين فى ١٨٤٦ وبعد قيام الثورة فى يونان ولاه المسلمون قائدا عليهم ومعه القائدين المسلمين (ماهسيان) (وتووين شيوى) وقد اتخذ « ماتيه هسنغ » كوان - اى بجنوب الولاية مركز لعملياتهم ضد الصين .

وتمكن القواد الثلاثة من تحقيق انتصادات رائعة على القوات الصينية اضطرت الامبراطور الى طلب الهدنة اكثر من مرة (١) .

تووين شيوى واعلان الجهاد :

يعتبر تووين شيوى اشهر القواد الثلاثة فى اوساط المسلمين وهو الذى اعلن سياسة الجهاد الاسلامى وتمكن بمن انضم اليه من الاستيلاء على مدينة تاليفو وكان يرغب فى تجنيد المسلمين من التبت وغيرها فاصدر نداءات تشتمل على آيات من القرآن الكريم واحاديث للنبى عليه السلام تحض المسلمين على الجهاد وتبين لهم مكانة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى .

واوضح شيوى ان الحكم المنشورى حكم ظالم وانه من الواجب على كل مسلم حمل السلام لاسقاط هذا الحكم وانشاء دولة اسلامية فى اليونان (٢) .

وكان لسياسة الجهاد التى اعلنها هذا القائد الذى اشتهر بين المسلمين باسم السلطان سليمان اثر كبير فى نجاح هذه الثورة بالاضافة الى الصعوبات العديدة التى كانت تواجه الحكومة الصين مثل حرب الافيون وثورة اليوكسر . كذلك قوات يعقوب بك القائد المسلم فى

---

(١) محمد فريد وجدى ، سابق ، ص ٦١٩ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ٨٨ .

تركستان الشرقية وعجزت الحكومة عن حسم الموقف فقررت اتخاذ سياسة اخرى وتكليف القواد المحلين علاج الموقف وفوضتهم فى اتخاذ ما يرونه مناسـبا ٠

تغير الموقف فى صالح القوات الصينية :

اشتعل الموقف بصورة شملت ولاية يونان كلها وحاصرت القوات الصينية المناطق الاسلامية ، واصبح هناك كثير من المسلمين بلا ماوى ولجأ قائد الجيش الامبراطورى الى حيلة جديدة لانهاء الموقف ، مستغلا الصعوبات التى واجهت المسلمين ٠ فبدأ اتصالاته بالقائد « ماتيه هنغ » والقائد ماهسيان واوضح لهم خطورة الموقف وطالبهما بوقف القتـال ، ووعدهما بالمناصب والمعاش الشـهرى ، واجابة مطالبهم واعطـائهم الضمانات المطلوبة للحفاظ على حقوق المسلمين فى الولاية ٠ وبينمـا رفض « تووين شيوى » مناقشة هذا الموضوع وصمم على مواصلة الجهاد قبل ماتين هسنغ وقف القتال ، وحصل على معاش شهرى وقدره ٢٠٠ مثقال فضـة ، كما عين « ماهسنيان » فى رتبة الزعيم فى الجيش الامبراطورى وعرف بعد ذلك باسم ماجولونغ ٠

وتعتبر خيانة القائدين المسلمين ضربة موجعة ومؤلمة لأنها قضت على آمال المسلمين فى ولاية يونان ، بل قضت كما تقول دائرة المعـارف الفرنسية على امكانية تسليم العرش الامبراطورى ذاته الى احـدى الأسر المسلمة (١) ٠

السلطان سليمان واعلان قيام مملكة اسلامية :

على الرغم من هـذه الصعوبات وموقف القائدين المسـلمين ، وسقوط مدينة يوننافو فى أيدى القوات الصينية ، صمم تووين شيوى (السلطان سليمان) على القتال واختار مدينة « تالى فور » لتـكون عاصمة لمملكته الاسلامية وبدأ اتصالاته مع الدول المختلفة للحصول على تأييدها ٠

---

(١) هويدى ، ٢٦٤ ، ص ٩٦ ٠

الاتصالات مع بريطانيا :

التقى وفد اسلامى بالقائد البريطانى (سلادن) وطلبوا منه ان يحث حكومته على مساعدتهم والاعتراف بدولتهم الاسلامية ، وان هذه الدولة الجديدة يمكنها الوقوف بجانب بريطانيا عند اللزوم . وقد اشار القائد البريطانى بارسال الأمير حسن ولى العهد الى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية نظرا لانه غير مفوض فى بحث هذا الموضوع واتخاذ قرار فيه (١) .

وفى لندن قابل ولى عهد يونان رئيس الوزارة البريطانية (جلادستون) ولكن هذا الأخير رفض فكرة تدخل بريطانيا فى شئون مسلمى الصين وطالبهم بالاعتماد على انفسهم لحل مشاكلهم .

ويأخذ البعض على السلطان سليمان الاستعانة ببريطانيا وهو يعرف اطماعها فى احتلال الصين ومنها ولاية يونان ، كما ان هذه الدولة الاستعمارية لم تقف يوما موقفا ساندا لأى ثورة تحررية ولا يتوقع منها ذلك اصلا .

ولكن من الصعب مناقشة القضايا بهذه الصورة ، والحكم على الأشياء بمقياس العصر ، فلم يكن أمام السلطان سليمان وهو فى هذا الموقف الا ان يتصل بكافة القوى لتاييده او تحيد بعضها على الأقل فى الصراع بينه وبين الحكومة الصينية (٢) .

الاتصال بالدولة العثمانية :

بعد ان فشلت مهمة الأمير حسن اتجه الى عاصمة الدولة العثمانية والتقى فيها بالسلطان عبد العزيز الذى اعلت تاييده لهذه الدولة الاسلامية ، ورحب بالتعاون معها ، لكنه اوضح للأمير حسن الصعوبات التى تواجهها الدولة العثمانية ، وقدم له بعض المساعدات المحدودة ،

---

(١) محمد فريد وجدى ، سابق ، ص ٦١٩ .

(٢) هويدى ، ص ٩٧ .

ثم عاد الى ولاية يونان ليجد الموقف قد تغير تماما عما كان عليه .

نهاية السلطان سليمان :

تمكنت القوات الصينية بعد انضمام القائدين المسلمين اليها وحصارها الطويل للمدن الاسلامية ، وقيام صعوبات مالية واقتصادية فى وجه الدولة الاسلامية وفشل السلطان سليمان فى الحصول على مساعدة بعض الدولة له تمكنت من دخول عاصمة ولاية يونان واوشكت على اسر السلطان سليمان الذى قتل نفسه بالسم فى ١٥ يناير ١٨٧٣ بعد ان ظل يجاهد حتى آخر لحظة ، وبعد ان قدم امثلة رائعة على التضحية والبطولة لتنتهى اعظم ثورة للمسلمين فى ولاية يونان وقضى على املهم فى ان تحكم الصين كلها حكما اسلاميا واصبح من الصعب تحقيق هذا الامل لاسيما بعد السيطرة الشيوعية على الصين فى هذا العصر .

ماساة تاليفو :

اقتحمت القوات الصينية المدينة من كل جانب وحاصرتها لمنع هروب المسلمين منها وضربت اعناق الآلاف من المسلمين وقتلت عائلات مسلمة باكملها دون رحمة وبوحشية لا مثيل لها .

ويقول الكاتب الفرنسى روشر الذى عاصر احداث تلك الثورة وكتب عنها انه شاهد بنفسه آلاف السيدات المسلمات يقدمن على الانتحار فى بوننافو بالقاء انفسهن واطفالهن فى الآبار خوفا من هذا المصير المظلم وان مدينة تاليفو اصبحت خاوية بعد ان قتل الجزارون المنشوريون اكثر من ٣٠ الف مسلم من الابرياء فى ابشع « مجزة بشرية » قل ان تحدث فى اى مكان (٢) وقد بعث الوالى الصينى ٢٤ سلة مملوءة بالآذان الآدمية مصحوبة برؤوس الزعماء المسلمين ووجهائهم الى العاصمة بكين (١) .

---

(١) محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٦١٠ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣) د . حسين مؤنس ، سابق ، ص ٧٢ .

نتائج ثورة يونان :

على الرغم من فشل هذه الثورة فى تحقيق اهدافها الا انها نجحت فى تلقين الحكومة المنشورية درسا من الصعب نسيانه فبدات تفكر فى اتباع سياسة جديدة لتهدئة الموقف وامتصاص الغضب الذى ظهر من خلال الثورات المتكررة للمسلمين فى الصين ، كما وجد المسلمون بعد ان انكسرت شوكتهم وقضى على دولتهم التى استمرت اكثر من ١٦ عاما ، انه من الأفضل مهادنة الحكومة ، مستحدثين الأساليب السلمية فى ممارسة نشاطاتهم ولم تمانع الحكومة المنشورية فى اتخاذ نفس الخطوة لاسيما بعد ان اطمانت الى انها قابضة على زمام الأمور فى مناطق المسلمين بيد من حديد ، ممثلة فى قوات الجيش الصينى ، والقوانين (الصارمة التى كبلتهم بها (١) .

وقد اتجه المسلمون بعد اخفاق ثوراتهم الى ممارسة الأنشطة التربوية والتعليمية ، وبدأوا يحاولون الاتصال باخوانهم فى العالم الاسلامى ولكن كانت الصين كلها على ابواب مرحلة جديدة هى مرحلة الحكم الجمهورى فى الصين .

ثورات المسلمين فى تركستان الشرقية ضد الحكم المنشورى :

منذ وقعت تركستان الشرقية تحت الاحتلال المانشورى فى عام ١٧٦٠ م واجه المسلمون فى تركستان الشرقية صعوبات جمة ، حيث صودرت املاكهم ، وانتهكت حرماتهم ، وسامتهم السلطات المنشورية سوء العذاب ، مما جعل الثورات الاسلامية تندلع فى كل مكان للقضاء على هذا الاحتلال ، واعيت الحيلة الحكام الصينيين فى القضاء على هذه الثورات حيث لا تغلب العقيدة بالسيف ، فلجأ الى الدسائس بين المسلمين ، لتفرقة صفوفهم واخماد ثوراتهم ، وبعد ان استتب لهم الأمر فى تركستان كان المسلمون قد فقدوا - دون مبالغة - ربع عددهم ، ولكن اذا كانت الثورات لا تبالى بالضحايا ولا تنظر الى ما تخسره اثناء الطريق ، فكان من الممكن اختيار الزمن المناسب

---

(١) د . حسين مؤنس : الاسلام الفاتح ، ص ٧٢ .

والاستعداد الكامل ، والحفاظ على وحدة صفوفهم ، لكن هذا ما كان ينقص الثورات التى اندلعت فى تركستان بصفة عامة ، ومناطق المسلمين الأخرى فى الصين بصفة عامة . ومن اهم الثورات الاسلامية فى تركستان الشرقية (١) :

ثورة حميد الله بك (١١٧٧) ، (١٧٦٣) :

لم يمض على الاحتلال المنشورى الأول لتركستان الشرقية ثلاثة اعوام حتى قامت حركة ضخمة فى عام ١٧٦٣ فى مدينة «اوج تورفان» وتزعم هذه الحركة حميد الله بك الذى نجح بقواته من تحرير المدينة بأكملها ، ووضع نصب عينيه تحرير جميع تركستان الغربية ، وارسل كذلك الى احمد شاه فى افغانستان بطلب المساعدة ، وقد لبى الأخير نداء الواجب الاسلامى وقاد قوات من افغانستان لنجدة حميد الله بك وقبل وصول الامدادات الى « أوح تورفان » كانت القوات الصينية قد تدفقت باعداد كبيرة وحاصرت المدينة واقتحمتها وبوحشية بالغة تمكنت من القضاء بعض اللاجئين الى تركستان الغربية والذين يقدرهم البعض بـ ١٦٫٠٠٠ مسلم وفى رواية اخرى فان ٥٠٫٠٠٠ هم الذين استطاعوا الافلات من مجزرة المنشورين فى المدينة (٢) .

ثورة جهانكير خان ١٨٢٦ (٣) :

قام جهانكيرخان خوجه وهو من احفاد برهان الدين خوجه الذى استشهد وهو يقاوم الاحتلال الصينى لتركستان الشرقية ـ كما أسلفنا ـ بثورة عارمة فى كاشغر ويارقند ، وخوين وغيرها من المناطق الاسلامية وتمكن بعد جهاد عظيم من تحرير هذه المدن .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٥٨ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ٨٧ ، محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦٠ .

(٣) د. محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦١ .

أسـباب الثورة :

١ - فرض الرقابة الشديدة على المسلمين فى تركستان ، ودخول المحسوبيات فى اختيار الموظفين المدنيين والبكوات الذين اصبحوا العوبة فى ايدى الوكيل السياسى الصينى .

٢ - اعمال النهب والسلب والابتزاز من قبل الموظفين الصينيين فى تركستان وفرض الضرائب الباهظة التى لم يتحملها المسلمون فى تلك المناطق بعد ان ضاقت بهم سبل العيش .

٣ - محاولات السلطات الصينية القضاء على الوجود الاسلامى وتحدى مشاعر المسلمين فى المناطق الاسلامية .

٤ - محاولات اخلاء المناطق الاسلامية من ابنائها وفتح الباب أمام تدفق الآلاف المهاجرين الصينيين .

وقد وصل جهانكير خان الى منصب الزعامة فى مدينة يورون باجماع ابنائها وبعد جهاد مرير تمكن من السيطرة على كاشغر اشهر مدن تركستان فى عام ١٨٢٦ (١) .

معركة نهر الخوف ونهاية الثورة :

حشدت الحكومة الصينية قوات ضخمة وصلت الى نحو ١٠٠ الف جندى وحاصرت كاشغر من كل جانب ، ولم يتوان جهانكير وقواته فى الاستعداد فحفر الخنادق وانشأ التحصينات . ولكن تفوق القوات الصينية فى العدة والعتاد ادى فى النهاية الى سقوط كاشغر وانهاء ثورة جهانكير فى ١٨٢٧ وارسل الامبراطور يطلب من قائد القوات الصينية ارسال هذا القائد المسلم حيا ولكن وضع له السم وهو فى الطريق قبل ان يصل الى بكين ويكشف للامبراطور اعمال الارتشاء والفساد فى كاشغر وغيرها .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٥٨ ، عيسى يوسف ، ص ٨٨ .

واذا كانت السلطات الصينية قد نجحت بعد مذابح رهيبة من السيطرة على تركستان الشرقية مرة ثانية الا انه بعد اربع سنوات فقط قامت ثورة اخرى قادها يوسف خان وقضى عليها بنفس الطريقة ايضا فى عام ١٨٣٠ (١٢٤٦ هـ) ، كما قامت ثورة اخرى قادها محمد امين خوجه فى عام ١٨٤٣ التى انطلقت هى الأخرى من كاشغر ونجحت فى اول الأمر لكنها انتهت بعد مقتل محمد امين خوجه وهجرة اكثر من ٦٠٫٠٠٠ من كاشغر الى تركستان الغربية .

وكانت آخر الثورات التحررية الصغرى فى تركستان ثورة ولى خان عام ١٨٥٥ . وقد تمكن خلال هذه الثورة من تحرير كاشغر لمدة ١٥٠ يوما تم استعادت القوات الصينية زمام الموقف واستعادت المدينة .

وتعتبر هذه الثورة والثورات الأخرى التى سبقتها فى تركستان الشرقية ضد الاحتلال المنشورى البغيض تمهيدا للثورة التحررية الاسلامية الكبرى فى تركستان الشرقية والتى ادت الى استقلالها لمدة ١٤ عاما كاملة ونعنى بها (١) .

ثورة يعقوب بك ١٨٦٣ - ١٨٧٧ :

بجمع المؤرخون على ان ثورة يعقوب بك هى من اكبر الثورات الاسلامية التى قامت فى تركستان الشرقية ضد الاحتلال الصينى المنشورى . وهى كغيرها تعتبر رد فعل لتصرفات الصينيين المانشوريين ، ومن جانب المسلمين يمكن اعتبارها دفاع عن النفس وجهاد فى سبيل الحفاظ على عقيدتهم واستقلالهم (٢) .

ويعلل البعض مثل هذه الثورات التى قامت بعد ١٦٤٤ م « بانه كان هناك نشاط واضح للمسلمين فى الدعوة الى دينهم وهو

---

(١) عيسى يوسف الب ، سابق ، ص ٨٨ ، محمود بيومى ، سابق ص ٤٧ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٥ ، ص ١٤ .

ما اثار السلطات الحاكمة فقامت بالتصدى لهذا النشاط ، كما ان المسلمين لم يكونوا يشعرون بضخامة عددهم من قبل وبعد ان تاكد لهم ذلك قاموا بتلك الثورات وهذا التعليل سقيم وتعوزه الدقة والموضوعية ، لأن لهذه الثورات اسبابها الموضوعية واذا كانوا قد ظلوا هادئين فى عهد الاسر السابقة فمرجع ذلك الى انهم لم يتعرضوا للمظالم التى تعرضوا لها فى عصر الاسره المنشورية .

نشأة يعقوب بك :

ولد يعقوب فى ١٨٢٥ ببلدة « بيشفند » ضواحى خوقند ، وينتسب الى آل تيمور من جانب الأم ، وقد تزوج من اخت امير طشقند التى كانت تابعة لأمير خوقند قبل استيلاء الروس عليها . ثم شارك فى مقاتلة الروس فى مدينة آقمسجد ١٨٥٣ وكان الساعد الايمن « لسيادة عالم قولى » حاكم خوقند .

وقد قدم الى كاشغر بدعوة من صادق بك الذى كان أميرا على القسم الاسلامى من المدينة ووالياً عليها . وقبل وصوله علم باستشهاد « عالم قولى » فى الميدان ، وسقوط طشقند فى ايدى الروس ، كما تولى حاكم جديد لمدينة « خوقند » هو خدايار خان » .

وصوله الى كاشغر :

وصل يعقوب مع اثنين وستين من اتباعه المغامرين ، وقصد الى يارقند حيث انضم اليه خلق كثيرون وفى نهاية ١٨٦٥ اصبح حاكما مطلقا على الكاشغرية بعد نجاح محاولاته التى قام بها وتمكنه من هزيمة القوات الصينية التى جاءت لمواجهة هذه الثورة وتدعيم الوحدات الصينية الموجوده فى تركستان وقد تحررت هذه المنطقة بكاملها من الاحتلال الصينى لتبدأ مرحلة جديدة تمكن خلالها من وضع اساس قيام مملكة واسعة حكمها لمدة ١٣ سنة من (١٨٦٥ ـ ١٨٧٧) . وبعد انهزام القوات الصينية فى اكثر من موقعة ووصل الى اوج قوته وشهرته وذلك بعد سلسلة من الجهود المختلفة (١) .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٥/٧٤ ج .

الاتصال بالدولة العثمانية :

كانت اول خطوة قام بها يعقوب بك بعد نجاحه ارسال وفد بقيادة « يعقوب قاضى » احد مستشاريه الى سفارة الدولة العثمانية عام ١٨٧٠ ، واعلن مبايعته للسلطان العثمانى (عبد العزيز) . وطلب منه الحماية والمعونة العسكرية ، وامر بالدعاء للسلطان فى خطبة الجمعة رمزا لارتباطه بالدولة العثمانية بصفتها دولة الخلافة واكبر الدول الاسلامية حينذاك . ولم يتوان السلطان عبد العزيز فارسل اليه وفدا عسكريا بقيادة العميد كاظم بك ، وضم الوفد عددا من الخبراء مثل يوسف جركس واسماعيل حقى ورمان بك من ابناء امراء داغستان . وهم من معلمى المشاة والفرسان والمدفعية (١) .

وارسل اليه السلطان بالاضافة الى ماذكر كمية من الاسلحة والذخائر .

وقد اتصل يعقوب بك بوالى مصر الخديوى اسماعيل باشا بصفته واحدا من الولاة التابعين للدولة العثمانية وانطلاقا من دور مصر المساند للدولة فى كل المواقف وقد رد الخديوى اسماعيل على يعقوب بك وارسل اليه عدد من الضباط لمساعدة جيش تركستان الشرقية وتدريب جنوده ووحداته على اساس حديث ، وارسل كذلك كمية من المدافع والبنادق (٢) .

وقد تمكن يعقوب بك بمساعدة الدولة العثمانية ومصر من بناء جيش وصل تعداده الى ٨٠٫٠٠٠ جندى ، مدربون تدريبا حديثا .

نتائج الاتصالات مع الدولة العثمانية :

اعترافا من يعقوب بك بما قدمته الدولة العثمانية من

(١) تركستان : عيسى يوسف ، ص ٨٩ .

(٢) محمد فريد وجدى : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د. احسان حقى ، سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م بيروت ، ص ٥٧٢ — ٥٧٣ ، عيسى يوسف ، ص ٨٩ .

مساعدات ، ارسل وفدا آخر ومعه بعض الهدايا للسلطان ، كما طلب من الحكومة العثمانية مساعدته فى ضرب العملة باسم السلطان عبد العزيز ، واعلن ان تركستان الشرقية ، جزء من دولة الخلافة العثمانية .

وكان لهذه الاتصالات مع العثمانيين اثر كبير على موقف الدول الأخرى مثل انجلترا وروسيا التى كانت كل منهما ترقب الموقف بحذر شديد ، وتخفى قلقها من مساهمة مصر والدولة العثمانية فى تكوين جيش كبير الحجم فى هذه الدولة الناشئة وبدات تلك الدول تنشط للقضاء على يعقوب بك والسلطان عبد العزيز والخديوى اسماعيل (١) .

وكان السلطان العثمانى قد زار اوربا ثم عاد الى استانبول بعد زيارة لمصر ترك انطباعا طيبا وقوى من جديد علاقات الدولة العثمانية بها ، كما ساند ثورة تركستان وامدها بما تحتاج اليه . ولم يغب كل هذا عن اعين اعداء الدولة العثمانية ، فضيقوا الخناق على السطان وعلى الدولة العثمانية . الى ان كان استشهاده نتيجة مؤامرة دبرت له (٢) .

وهكذا تعذر على الدولة العثمانية التى كانت تعانى من مختلف ضروب الضيق مساعدة تركستان الشرقية لتصبح بمفردها بعد ان تخلت عنها كل من بريطانيا وروسيا كما سيتضح عند الحديث عن موقف الدولتين من ثورة يعقوب بك .

موقف روسيا من ثورة يعقوب بك :

على الرغم من اهتمام روسيا فى ذلك الوقت بآسيا الوسطى بصفة عامة وتركستان الشرقية بصفة خاصة ، الا انها جاءت تطلب صداقة يعقوب بك الذى مد لها يده وبدا يبحث فى اقامة علاقات معها ومع غيرها من الدول فى محاولة لتدعيم دولته ، وفى نفس الوقت

---

(١) عيسى يوسف ، سابق ، ص ٩٢ .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، سابق ، ص ٥٧٣ .

كان يعرف ان الأطماع الروسية فى سلطنته لم تتوقف ولكنه كان فى حاجة الى فسحة من الوقت لبناء دولته وتقوية جيشها .

وكانت روسيا والصين قد وقعت اتفاقية فى ١٨٦٠ مع الصين لتعدل بمقتضاها الحدود لصالح روسيا مقابل مساعدتها للصين فى اخراج الفرنسيين والبريطانيين من الاراضى الصينية . وقد استغل هذه الاتفاقية الجنرال كوفمن الروسى ، والحاكم العام على تركستان الغربية فسيطر على المدخل الشرقى لممر « موزارت » وكان يهدف من ذلك الى مجابهة يعقوب بك ، ثم ارسل قوات روسية فى صيف ١٨٧١ لتامين منطقة الخولجا ولكن يعقوب لم يرض عن استيلاء الروس على وادى ايلى فاتخذ خطوة انتقامية فرفض ان يسمح للروس بدخول مملكته للتجارة (١) .

وبعد ان خففت روسيا من خطواتها العدائية عقدت اتفاقية بين الطرفين فى ١٠ يونيو ١٨٨٢ ، واعترفت به سلطانا على الكاشغرية وبدات تسعى لتحسين العلاقات معه ولو لفترة مؤقته حتى تحين الفرصة للتخلص منه .

وفى عام ١٨٧٥ وقعت مواجهة بين الدولتين وارسلت روسيا ٢٠ الفا من جنودها للقضاء على هذه الدولة الاسلامية ولكن ظهور ثورة اسلامية اخرى فى تركستان الغربية جعلتها تعجل بالانسحاب .

ويأخذ عليه البعض عدم مساعدته للمسلمين فى خوقند لتحرير تركستان كلها شرقها وغربها ولو انه لا مجال لهذا اللوم ، حيث انه لم يتح له من الوقت ما يمكنه من التنسيق مع المسلمين هناك ، كما ان الصين كانت قد اعدت قوات كبيرة يقودها الجنرال تسوتسونغ لاعادة تركستان الشرقية الى الصين (٢) .

وهكذا يتضح لنا ان روسيا اتبعت طريقا معوجا فى تعاملها مع هذه الدولة الاسلامية الناشئة فعلى الرغم من استقبال القيصر الروسى

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٧٩ .
(٢) عيسى يوسف ، ص ٩٧ .

لسفير تركستان الشرقية (الحاج مولاتراب) والذى وصل الى بطرس برج عام ١٨٧٤ واقامة وليمة لاكرامه الا ان القيصر كان فى نفس الوقت يعقد مع الصين مباحثات سرية بهدف القضاء على ثورة يعقوب بك . ونتيجة لذلك تيقظت لدى الصين الرغبة من جديد لاحتلال تركستان الشرقية واعادتها الى الصين وكان ذلك بالطبع بتحريض من الروس .

وقد اكد عالم الصينيات « د . ولفرام ايرهارد » بان اعتراف روسيا وبريطانيا بيعقوب بك جاء نتيجة لموقفهما ضد الصين وبدافع من المصلحة الذاتية لكل من الحكومتين المذكرتين . ويضيف بان روسيا وانجلترا كانتا لا تريدان قيام حكم صينى قوى فى تركستان الشرقية ، وفى نفس الوقت كانتا لا تريدان قيام دولة اسلامية قوية بعد ان اخفقت كل منهما فى فرض سيطرتها على يعقوب بك (١).

موقف بريطانيا من ثورة يعقوب بك فى تركستان الشرقية :

بعد ان تمكن يعقوب من تكوين هذه الدولة المستقلة ،بدأت بريطانيا تعمل على التقرب منه لأهمية ذلك فى تحقيق اطماعها فى الصين من ناحية ، ولمواجهة الأطماع الروسية على المنطقة .من ناحية اخرى. وقد اشارت الحكومة البريطانية على نائب الملك فى الهند (١٨٦٦) باتخاذ خطوات لتحسين العلاقات مع الدولة الحديدة ، ووصل لهذا الغرض وفد رسمى الى كاشغر عام ١٨٧٣ وابرمت معاهدة ودية اعترفت فيها بريطانيا بسيادة يعقوب بك على الكاشغرية ، وكما هى عادة الدبلوماسية البريطانية الملتوية امتنع المندوب البريطانى عن التعهد بشىء عملى لمساعدة يعقوب بك فى مواجهة التحدى الروسى، واكتفى بمعاهدة الصداقة .وصدر أمر للمفوض البريطانى فى بكين بان يتصل بالبلاط المنشورى تحمله على التخلى عن ثمانية مدن جنوب تركستان الشرقية كمديريات لمملكة مستقلة . وهذه المدن هى كاشغر ، يانغى حصار ـ يارقند ـ ختن ـ اتو كوشار ـ كورلا وطرقان (٢).

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ٨٥ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ٩٧ .

نهاية الدولة الاسلامية فى تركستان الشرقية :

بعد اتصال المفوض البريطانى فى بكين بالحكومة الصينية وعرضه الاقتراح الخاص باقامة دولة اسلامية فى جنوب تركستان عقد مجلس امبرطورى ضم عددا كبيرا من المسئولين للتشاور فى افضل الخطوات المواجهة الموقف ، وكان اغلب المستشارين يفضلون الحل البريطانى معللين ذلك بالتكاليف الباهظة للعمليات العسكرية وكثرة القتلى من القوات الصينية فى المراحل الأولى للحرب .

وكان اول المتحدثين « لى ـ هونج ـ جانج » وهو من كبار الوزراء فى الصين ، وقد اعلن تاييده للحل السلمى ورفضه بشدة سياسة الاستيلاء بالقوة على هذه المنطقة معللا ذلك بالاسباب الآتية :

« انه لاسباب عديدة ، وصلت الامبراطورية المنشورية الى مرحلة واضحة من الضعف ، ولذلك فان من الخطأ حصر قوة كبيرة من قواتنا فى هونى جانج (تركستان الشرقية) وينبغى تدعيم استحكاماتنا الساحلية بالقوات التى ستخصص للاستيلاء على تركستان الشرقية فهى بعيدة عنا جدا ، وطرقها محفوفة بالصعوبات والمخاطر . وهى مكان يصعب ادارته وهى بلاد ضررها بالنسبة لنا اكثر من فائدتها ، لاننا كما اصابتنا الاضرار الاقتصادية من قبل بالملايين فاننا فى نفس الوقت اصبنا بالخسارة فى رجالنا الذين ماتوا بالملايين ايضا .. والدول الكبرى الأخرى تركز عيونها على تركستان الشرقية وتطمع فيها فروسيا من الشمال وانجلترا من الجنوب وتركيا وايران فى الغرب وفى هذا خطر كبير ولو استطعنا الاستيلاء على تركستان الشرقية هذه المرة فان الاحتفاظ بها مدة طويلة فى ايدينا سيكون امرا صعبا . ثم ان حاكم تركستان يعقوب بك قد بايع الحكومة العثمانية ودخل فى حمايتها . وبناء على هذه الأسباب فان احتلال تركستان ليس ربحا لنا »

وكان معظم المستشارين الصينيين يؤيد وجهة نظر (لى ـ هونج ـ جانج) لا سيما وان تكاليف العمليات الحربية بلغت زهاء (١٫٦٨) متقالا من الذهب سنويا لكن على الرغم من ذلك كان اللجنرال

(تسو تسونغ) راى آخـــر مفاده الرفض الكامل لاى حل سلمى واعلانه عزم الجيش على القضاء على هذه الدولة ورد على معارضيه ردا لاذعا مفحما اذ قال : « اذا كانت بريطانيا مخلصة ليعقوب فلنتنازل له عن جزء من الهند » ، واضاف « لدينا فى الجنوب ٣٢ فرقة تكفى لاعادة الأمن الى نصابه فى سنيكانغ » (١) .

وقال : انه حفظ حدودنا البرية عن طريق احتـلال تركستان الشرقية ليس اقل اهمية من حفظ سواحلنا لان كل الاعتداءات الكثيرة تقريبا والتى تتعرض لها الصين منذ القدم تاتى من الشمال والغرب، ولذلك فان حكامنا القدماء لم يكتفوا بالاستيلاء على شمال تركستان، وانما احتلوا ايضا جنوبها ، وانتهى الى القول : اذا ما جئنا الى الحديث عن الجنود والتكاليف العسكرية ، فان هذا العمل لا يستلزم احتياجا لمصاريف كثيرة تكلف العاصمة ، لان تركستان بلد غنى ، وبعد فترة من احتلالها يمكننا تامين الجنود فى تركستان واعاشتهم من ثمارها هى ، وبعد هذين الحديثين ، اقتنعت الامبراطورة الام (س ـ ش ـ تاى ـ هو) بوجهة نظر القائد (تسو ـ تسوغ ـ تانج) وكلفته شخصيا باحتلال تركستان واعادتها الى سيطرة الامبراطورية (٢) .

ويعتبر البعض « تسونغ » من اكبر رجال الحرب والسياسة فى عهد الامبراطورية المنشورية .

وقد وضع يعقوب بك خطته لمواجهة القوات الصينية ، وطلبه مساعدة بريطانيا ، كما فرض الضرائب على المواطنين لشراء الاسلحة ، وحرم الاهالى من التجارة ، مع الخارج بسبب الحصار حول تركستان .

وبدات المدن الكبرى تتساقط فى ايدى القوات الصينية ، كما بدا الاهالى يتذمرون من طول الحرب والحصار والضرائب ، وبداوا

---

(١) عيسى يوسف الب ، سابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

يشككون فى ثورته وانها لم تكن فى صالحهم ، وبدات مملكته تتلاشى شيئا فشيئا واخيرا ترك الميـــدان فى عام ١٨٧٧ متوجهـا الى كورلا حيث انتحر هناك باخذ السم ، كما قتل ولده خير الله وبدا الصينيون حملة من الارهاب والبطش اعدموا خلالها بالسيف عشرات الالوف من المسلمين ، وذبحوا زوجة يعقوب بك وبعض اولاده واحفاده مـــع ١١٦٦ شخصا من رجال الدولة والمسئولين فيها من مدنيين وعسكريين وتزعم بعض الروايات ان الصينيين اخرجوا جثـــة يعقوب من قبره واحرقوها ولو انه ليس هناك تاكيد لهذه الرواية ويبدو انها من قيل المبالغة المعتادة فى مثل هذه المواقف (١) .

وانتهت بذلك اعظم ثورة اسلامية فى تركستان الشرقية لتعود مرة اخرى تحت الاحتـــلال الصينى المنشورى البغيض والشىء الذى يؤسف له كثيرا انه لم يصدر صوت احتجاج واحد على هذا الاحتلال وعلى المذابح التى اعدمت خلالها الســـلطات الصينيـــة ما يقرب من نصف مليون اغلبهم من الابرياء الذين لا صلة لهم بالسياسة او الحرب .

وتبقى الكلمـــة الأخيرة فى تاريخ هذه الثورات الاسلاميـــة والعوامل التى ادت الى اخفاقها ، والشهداء الذين ضحوا فى سـبيل الحفاظ على عقيدتهم .. هذه الكلمة لم تكتب بعد لاسيما وان تاريـخ هـــذه الثورات والمكتوب باللغة الصينية لم يجد طريقـــه الى المكتبة العربية وينتظر واحدا من المسلمين الصينيين المتعمقين فى اللغة العربية ويترجم هذه المجلدات المكتوبة بالصينية ليسهل على الباحثين الوصول الى الحقيقة ، واستيفاء النقاط العديدة التى لم تستوف بعد .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٨٥ .

(١) ص ٥٨ ، ج ٤ ، نيهايا .

الفصل الرابع

احوال المسلمين فى عصر الجمهورية الصينية

(١٩١١ ـ ١٩٤٩)

تنفس المسلمون الصعداء ، بعد سقوط اخر اباطرة الأسرة المنشورية ، فى عام ١٩١١ ، وقيام الجمهورية بزعامة الزعيم الصينى (صن يات صن) الذى عمل خلال دراسته للطب فى بريطانيا فى احدى ارساليات التنصير . وقاد اول ثورة تحررية لاقتلاع النظام الامبراطورى العتيق ، بعد ان وصل الى حالة من الضعف والهزال ، وكثرت مظالم حكام هذه الأسرة بصورة ادت الى سقوط آلاف المسلمين ، وتناقص اعدادهم نتيجة لعمليات الابادة الجماعية التى كانت تحدث فى اعقاب كل ثورة قاموا بها فى داخل الصين او فى تركستان الشرقية .

واذا كان سن ياتسن قد انتخب كاول رئيس للجمهورية الا ان فترة رئاسته لم تستمر لأكثر من شهر واحد ، واستمرت الثورة الصينية بهدف تخليص البلاد من الاستعمار ، وتحقيق الاصلاح الداخلى ، وتنفيذ المبادىء التى دعا اليها « سن ياتسن » ابو الصين كما يقول كثير من الصينيين وكان قد اعلن منذ البداية المساواة بين جميع الصينين ، وقرر فى دستور الجمهورية ان الأمة الصينية مكونة من خمسة شعوب يرمز اليها خمسة الوان ترتيبها كالآتى :

١ ـ الأحمر يرمز الى شعب الهانين (Hanchus)

٢ ـ الأصفر ويرمز الى شعب الماتشوريين (Manchus)

٣ ـ الأزرق يرمز الى شعب المنغولين (Mangols)

٤ الأبيض ويرمز الى شعب المسلمين (Mohammadus)

٥ - واما الأسود فيرمز الى شعب التبين (Tibetans) (١) .

وقرر دستور الجمهورية الصينية حرية الدين ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ، بين الصينين جميعا ، فللمسلمين ما لأبنـــاء وطنهم وعليهم ما عليهم ، ولهم الحق الكامل فى ممارسة شعائرهم الدينية ورعاية مصالحهم الدنيوية .

وقد اوصى سن ياتسن (Dr. Sun. Yatsen) ابو الجمهورية الصينية اتباعه بالتعاون مع ابناء وطنهم المسلمين ، واخـوانهم فى الخارج ، وذلك فى كتابه المشهور عند الصينيين « بالمبادىء الثـــلاثة القومية » .

١- « الهدف الأول من المبادىء القومية الثلاثة : فك رقاب شعوب الصين من الاستبداد والاستعمار وتحقيق المساواة فى الحقوق المدنية بينهمـــا . وما اصاب المســـلمين فى الصين فيما مضى من الظلم والاضطهاد كان اشد مما اصاب مواطنيهم والحرية عندهم اقـــوى منها عند مواطنيهم ايضا والواجب علينا ان نشتغل بتنبيه المسلمين ليشتركوا فى الحركة الوطنية .

وقد اشتهر المسلمون فى العالم بالشجاعة والتضحية والمســـلمون فى الصين كانوا حصنا حصينا للحركة الوطنية (٢) . والأمة الصينية لن تنس فى صفحات تاريخ المساواة والحرية ما يقدم اليهـــا اخوانها المسلمون من الاعانة والمساعدة . واول عمل من اعمـــال الحركة الوطنية مقاومة الاستعمار ولكن هذا العمل لن يتم على ايدى الأمة الصينية وحدها فلا لابد لاتمامه من اتحاد الأمم المستضعفة فى آسيا . الأمة الايرانية ، التركية ، الهندية ، الافغانية ، العربية وكلها امم مسلمة وبالجملة لن تنجح الحركة الوطنية الصينية بدون اشتراك

---

(١) انظرمحمد مكين ، سابق ، ص ٤٩ - ٥٢ .

(٢) بدرالدين ، سابق ، ص ١٣٣ .

المسلمين ولن يتم عملنا فى مقاومة السياسة الاستعمارية بدون التعاون والاتحاد مع المسلمين فى كل مكان » .

وقد استجاب المسلمون لنداء ياتسن ، واستمروا على اخلاصهم للصين ، والقضية التى دعا اليها الزعيم الصينى ولم يتحيزوا الى جانب هذا او ذاك من العسكرين الذين بدوا يسيطرون على اقاليم الصين المختلفة امثال توكونج وتشانج توليه بل وقفوا الى جانب الوطنين ، وساهموا فى توحيد البلاد تحت زعامة الجنرال « كاى شيك » الذى حمل المسئولية فى البلاد وساعده القائد المسلم الشهير عمر باى تشونج فى القيادة الأمامية لتوحيد الصين (١) .

وعلى الرغم من تاييد المسلمين للجمهورية فى الصين ، وتعاونهم مع رجالها منذ البداية الا ان بعض الحكام العسكرين عاملو المسلمين بطريقة ادت الى ثورتهم مرة اخرى كما حدث فى اواخر عام ١٩١١ فى مقاطعة « سنتياج » وانتهت باستعمال منتهى الشدة والقسوة ومقتل مائة الف شاب وفتاة من المسلمين فى عام ١٩٢٨ قام المسلمون فى مقاطعتى قانصو وليشيا بثورة مسلحة ضد فساد الحكم فى المقاطعة وذهب ضحية هذه الثورة ما يربو على عشرة آلاف مسلم قتلوا فى مذابح بشرية ، فضلا عن احراق منازلهم والاعتداء الوحشى على نسائهم وفتياتهم .

وفى فيما بين سنتى ١٩٣٠ و ١٩٤١ وقعت ثورات عديدة فى مقاطعت هبوان وكوبوان . وقد بلغت قوة رجال « الكومنتانج » . حدا كبيرا لم يرحموا صغيرا او كبيرا (٢) .

ويزعم البعض كذلك بأن المسلمين فى عصر « الكومنتانج » قد عانوا من فقر مدقع ، كما هدمت الحكومة بعض المساجد فى شيوشين وبكين وموشيا شونج ، وكان لا يتسنى لأى فرد من المسلمين ان يذبح بقرة او خروفا ، لضيق ذات اليد .

---

(١) هويدى : العدد ١٦٥ ، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

واذا كانت هذه الثورات والاحداث لم يكشف عنها النقـــاب الا بعد انتهاء الحكم الجمهورى وسيطرة الشيوعين على البلاد ، فان هذا يؤكد بان الأمر لا يخلو من مبالغة فرضتها اعتبارات السياسة والجانب الدعائى الذى كان مطروحا بعد اســـتيلاء الشيوعين على الحكم فى الصين عام ١٩٤٩ ، كما ان المصدر الوحيد لكثير منها ما ورد فى كتاب الصين المتحرره الذى صدر فى بكين عام ١٩٥٧ . ومع هذا فان الأمر لا يخلو من بعض الحقيقة على الأقل .

وقد ظهر فى الصين فى عام ١٩٢٨ - ١٩٣٦ عدد من الكتـــاب الصينيين الحاقدين ، كان هدفهم توجيـــه الاهانة للمسلمين واثارة الفتن ، يدفعهم لذلك تعصبهم الأعمى المقوت ، كما ساهمت جمعيات التنصير التى كانت تعمل فى الصين فى هذا المضمار بمهاجمة المسلمين والتشكيك فى دينهم واثارة الكثير من المسائل الجدلية بغرض احراج علماء المسلمين .

ومن بين هـــؤلاء الكتـــاب الحـــاقدين : لوتس - كيـــانغ Loetze King فى مجلة الفنون حيث قال فى أكثر من مقال له «ان المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير لانهم من ابناء (جو - يا - كاى) اى روح الخنزير التى ذكرت فى رواية (سى - يوجى) الرحلة الى الغرب وهى رواية تحكى عن اكبر راهب بوذى صينى (تانغ سين) ذهب الى الهند للدراسة والتعميق فى التعاليم والفلسفات البـــوذية والتى كانترائجة فى الهند قبل مولد المسيح عليه السلام » (١) .

ولم يحد المسلمون امام هذه المتغيرات فى المجتمع الصينى بعد عام ١٩١١ بدا من التفكير فيما اذا كان من اللازم تنظيم انفسهم فى جماعات متناسبة لكى يتمكنوا من المحافظة على وجودهم وكيانهم فى الظروف المتغيرة تلبية لمتطلبات التطور الاجتماعى والسياسى الذى حدث فى الصين فى العصر الجمهورى (٢) .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٠٨ .

(٢) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٧٣ .

ومن هنا اعيد تنظيم المساجد ووسعت انشطتها ، فاضيفت اليها مهمة التعليم الحديث ودراسة كيفية النهوض بالمستوى الاجتماعى والدفاع عن الدين الاسلامى فى الصين ضد الهجمات الشرسة التى تستهدف النيل منه وكان الحل الأمثل الاتجاه لانتشار الجمعيات الاسلامية للقيام بهذه المهمة .

وهذه دراسة موجزه عن احوال المسلمين فى الصين ابان تلك الفترة .

اولا : المسلمون فى تركستان الشرقية :

بسقوط الامبراطورية المنشورية فى الصين ، ومجىء الحكم الجمهورى اعتقد اهالى تركستان الشرقية ان الوضع سيتغير الى ما هو احسن ، لا سيما وقد اعلن (سين بات صن) مؤسس الجمهورية الحديثة ان للاقليات العنصرية فى البلاد حق تقرير مصيرهم ولكن هذا المبدأ لم يتبع عمليا ولذا فمن الطبيعى ان يسخط اهل تركستان ويتبرموا ، وان يعربوا عن سخطهم وتبرمهم بما يبدونه من معارضة شديدة عنيفة فى اكثر الأحيان (١) .

وقد استغل بعض الولاة الظروف الجديدة والصعوبات التى واجهت الجمهورية ، فقاموا بانهاء الحكم الامبراطورى من تركستان الشرقية وقامت معارك طاحنة بين انصار الجمهورية ، وانصار الامبراطورية راح ضحيتها آلاف من المسلمين فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل الى ان تمكن يانج - زينج - شين من الاستيلاء على السلطة تماما . وكان والى تركستان الشرقية فى عام ١٩١١ وهو منشورى متعصب يريد استمرار حكم الامبراطورية باستقدام (فو - يس) الامبراطور المخلوع عن العرش الى تركستنان الشرقية او الى كانسو وبعد معارك عنيفة اخفقت هذه المحاولة واصبح شين واليا على تركستان كاى حاكم مستقل لا تربطه بحكومة بكين غير روابط

---

(٢) محمود شاكر وآخرون ، الأقليات ، ص ٦٣٦ .

واهمية وشكلية واستمر حاكما مطلق التصرف فى تركستان لمدة ١٨ عاما وحتى ١٩٢٨ (١) .

وكانت فترة حكم شين مليئة بالاضطرابات والمظالم ، فرضت فيها الرقابة الشديدة على الصحف ، الصينية منها وغير الصينية وسيطر على احوال تركستان هو واتباعه بطريقة استبدادية ، وابعد المسلمون عن كافة الوظائف ، وسارت اوضاعهم الاقتصادية وانتشرت الرشوة والمحسوبية ، وعاش الشعب التركستانى على مضض كل ما حل به من كوارث على ايدى انصار الوالى « شين » وبعد ذلك على يد انصار الوالى الجديد (جين - شون - وين) (١٩٢٨ - ١٩٣٣) (٢) .

فى عام ١٩٣٠ اصدر قائد الاحتلال الصينى فى مقاطعة قومول امرا الى جميع اقسام البوليس بالقاء القبض على كل مسلم يرفض زواج ابنته من الصينى الذى يتقدم اليها والمدينة المشار اليها تقع قرب الحدود الصينية وكانت تتمتع باستقلال ذاتى داخلى بحكمها امير تركستانى شرقى ولكن القوات الصينية احتلتها نهائيا فى عام ١٩٣٠ .

ومن ناحية اخرى لجأ حاكم تركستان الشرقية الصينى الى فتح باب الهجرة لتصين شعب هذه المنطقة الاسلامية فاستقدمت آلاف الصينيين واعطتهم اخصب الأراضى وامام هذه التحديات التى وقعت فى تركستان يمكن القول بان هذه الفترة تعتبر امتدادا لفترة الحكم المنشورى على الرغم من انتهائة من الصين ١٩١١ . وسياسة هؤلاء الولاه هى التى دفعت المسلمين فى تركستان للقيام باكثر من ثورة لتحقيق الاستقلال (٣) .

---

(١) عيسى يوسف : تركستان ، ص ١٠٦ .
(٢) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٧٣ .
(٣) بدر الدين ، سابق ، ص ١٢١ .

واهم الثورات التى وقعت فى تركستان الشرقية فى تلك الفترة :

ثورة قمول وقيام حكومة الاسلامية :

ادت مظالم الحاكم الصينى الجديد لتركستان الشرقية (جين شون - مين ١٩٢٨ - ١٩٣٣ - الى قيام اكثر من ثورة فى تركستان اهمها ثورة قمول التى قامت تطالب باستقلال تركستان . والغاء الضرائب الباهظة التى فرضها هذا الوالى ومواجهة نظام الجمارك الذى استنه وادى الى اصابة الحياة الاقتصادية بالشلل التام .

كذلك استغل هذا الحاكم الجديد منصبه واصدر امرا بحل امارة الهامى وقسمها الى ٣ مديريات تابعة لأوامر الحاكم العام بماشرة (١) .

وكانت بداية الثورة ما وقع فى شمال مدينة الهامى وفى قصبة (شيويلوه) حين حاول مدير الشرطة - الزواج من كريمة وجيه مسلم يسمى عبد الله وكانت الفتاة مخطوبة لنجل زعيم تركى يدعى يولياس . وبعد التشاور فى الأمر اتفق على اغتيال مدير الشرطة وتم ذلك فعلا فى ١٤ ابريل ١٩٣١ بعد حفلة عشاء دعى اليها هو وبعض جنوده وقد قتل معه ٣٢ جنديا وضابطا . بعدها انتشر الخبر بين القبائل التركية التى وقفت بجوار عبد الله ويولياس بكل حماس وانضم اليه خوجه نياز والقائد المسلم ماتشونج مينج من قانصو .

وقد دارت معارك بين الجانبين (الصينى والاسلامى) وهزم الصينيون بشكل اثار الدهشة وعمت الثورة البلاد وتمكن من الاستيلاء على مدينة الهامى وكذلك « شانشان » ومدينة طرفان وباتت جموع المسلمين تهدد ارومجى عاصمة البلاد .

وفى نفس الوقت وقعت ثورة اخرى قادها الأخوة « موصل ومقصود ومحمود محيطى » فى تورفان فى شهر ديسمبر ١٩٣٢ . وفى

(١) عيسى يوسف البى ، تركستان ، ص ١٠٨ .

نفس الشهر قام « حافظ بك » فى « قراشهر » و « تيمور بك » فى كل من « يوكور » و « كوجار » فى يناير سنة ١٩٣٣ اما فى فبراير ١٩٣٣ فقد قام فى « خوتن » محمد امين يوغرا « وثابت داملا » وفى شهر ابريل قام « عثمان بك » فى « كاشـــغر » و « الشريف خان توره » فى « التاى » .

وفى نوفمبر ثار « ما - هى ينج » وهو مسلم صينى فى ولاية « تارابغتاى » ونتيجة لهذه الثورات تحررت جميع تركستان الشرقية من اسر الصـــين باستثناء عدة قضـــاءات تابعـة لمدينة « ايلى » و « اورومجى » (١) .

اعلان الجمهورية الاسلامية فى كاشغر :

اثناء اشتغال هذه الثورات الاسلامية فى كل المدن التركستانية تقريبا وقعت تغيرات داخلية ادت الى عزل الوالى الصينى ، وبدات المفاوضات مع المسلمين وعين خوجه نياز مستشارا فى حكومة الولاية ، وماتشونج اينج رئيسا لقوات الأمن فى شرق تركستان (٢) .

وبعد قيام ثورة غرب تركستان الشرقية ارسلت حكومة الولاية خوجه نياز للتفاوض مع الثوار ثابت داملا (اى الملا الكبير) والذى زار مصر والحجاز واستانبول فى شبابه وكذلك تيمور بك وغـيرهم وبعد مفاوضات معهم انضم اليهم خوجه نياز وفى اليوم الثـــانى من نوفمبر ١٩٣٣ اعلنوا قيـــام الجمهورية الاسـلامية فى تركســـتان الشرقية ووضع دستور لها مستمد من الشريعة الاسلامية .

وتم تشكيل جهاز الحكم فى هذه الجمهورية الاسلامية من كل من : -

١ - السيد خوجه نياز رئيسا للجمهورية الاسلامية .

---

(١) بدر الدين ، ســـابق ، ص ١٣٠ ، د . محمد على البار ، ســـابق ، ص ٢٦٠ .

(٢) د. محمد على البار ، ط ، ص ٢٦٠ .

٢ - السيد ثابت داملا رئيسا لمجلس الوزراء .

٣ - السيد يونس صادق بك (من الهامى) وزيرا للداخلية .

٤ - السيد قاسم خان (من ختن) وزيرا للخارجية .

٥ - السيد اورازبيك (قيرقيز) وزيرا للدفاع .

٦ - السيد عبد الكريم مخدوم (كاشغر) وزيرا للتعليم .

٧ - السيد على آخوند (كاشغر) وزيرا للمالية

٨ - السيد عبد الله خان (تركستان غ) وزيرا للصحة .

٩ - الحاج اعلم اخوند (كاشغر) وزيرا للاوقاف .

١٠ - السيد شمس الدين افندى (كاشغر) امينا عاما لمجلس الوزراء .

وقد اعلنت كاشغر مقرا للحكومة وعاصمة للبلاد ولكن لم ينعم المسلمون طويلا بهذه الجمهورية الاسلامية فقد تحالفت روسيا والصين لاسقاطها قبل ان تكمل استعدادتها لتكوين جيش منظم وتتمكن بعد ذلك من توحيد تركستان كاملة فى دولة واحدة (١) .

ولعبت روسيا دورا كبيرا فى اسقاط هـذه الدولة الاسـلامية بتحالفها مع الوالى جين سين والى تركسـتان الشرقية الذى اغلق حدود تركستان لمدة خمسة اعوام وحكمها حكما مستقلا عن الصـين ولكنه ادى الى تزايد النفوذ الروسى فى البلاد .

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٢٧ ، بدر الدين ص ١٣٠ .

التحالف الروسى - الصينى لاسقاط الجمهورية فى كاشغر :

حاولت روسيا التسلل الى تركستان الشرقية من خلال عرضها على خوجه نياز اثناء قيادته لثورة ١٩٣١ عن طريق وفد بعثته اليه فى قومول ولكنه نيازى رفض المساعدة خوفا من التدخل الروسى وانشار الشيوعية فى تركستان . ولم يكن امام روسيا لتنفيذ مخططاتها سوى اللجوء الى « جين شورين » للعمل على اسقاط خوجه نياز وقد نجحت روسيا فى توقيع معاهدة مع الحاكم الصينى من اهم نصوصها (١) :

١ - ان يكون للروس الحق فى انشاء وكالات تجارية ولكل من يحمل الجنسية الروسية التنقل فى جميع انحاء التركستان .

٢ - ليس من حق السلطات المحلية على الحدود حق تفتيش الواردات الروسية (وبذلك تمكنت من تسريب السلاح الى عملاء الروس فى الداخل) .

وقد قدم الروس مساعدات ضخمة لجين شو ين من بينها قرضا يبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ روبلا روسيا ذهبيا ، واخذ الروس يحرضون الطبقات بعضها على البعض الآخر ، وحاولوا نشر المبادىء الشيوعية عن طريق الوكالات التجارية السوفيتية وفروعها (٢) .

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٣٣ قدمت روسيا ثلاثة الوية روسية مجهزة بعدد من الطائرات والدبابات والمدفعية للقضاء على هذه الدولة الاسلامية . وبعد معارك دامية وكفاح مرير هزم الثوار فى يوليو ١٩٣٤ ووقع قواد الثورة فى الاسر واعدموا جميعا ومنهم الحاج (خوجه نياز) ومولا ناثابت وكل الوزراء واعدم كثير من الأبرياء ممن اشتركوا فى الثورة او كانوا بعيدين عنها ، وانتهكت الأعراض بكل وحشية ، واحرقت المدن ونهبت الأموال ، واخذت روسيا فى

---

(١) المسلمون فى الصين والاتحاد السوفيتى ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ١٣٠ .

نقل ثروات مقاطعة « ايلى » الغنية بآثارها التاريخية وتحفهـــا الثمينة (٢) .

/ اسباب هزيمة خوجه نياز :

هناك اكثر من سبب لهزيمة خوجه نياز والقضاء على الجمهورية الاسلامية فى كاشغر واهم هذه الأسباب .

(١) ـ التدخل الروسى لمساعدة الحاكم الصينى وارسال قوات ضخمة واسلحة حديثة ساهمت الى حد كبير فى القضاء على الثورة .

وكانت روسيا قد قدمت عدة مقترحات لحل المشكلة من بينها الغاء فكرة الانفصال عن الصين نحو الغاء الحكومة الوطنية وان يكون معاونا لرئيس حكومة ايالة تركستان الشرقية ، وان تستقر قوات الحكومة الوطنية فى ولايات كاشغر وياركند وآقسو تحت قيـــادة الجنرال (محمود معيطى) (١) .

وعندما رفضت هذه المقترحات كان التدخل الروسى للقضـاء على الجمهورية الاسلامية واحتلال تركستان الشرقية .

(٢) ـ الخلافات الداخلية والصدام الذى وقع بين القوى الاسلامية المؤيدة لخوجه نياز والمعارضة له .

(٣) ـ نقص القوات المحاربة لدى خوجه نياز وكذلك العتـــاد العسكرى .

(٤) ـ وقوف الدول الاسـلامية موقف المتفرج من هـــذه الدولة الاسلامية دون تقديم اى عون لها .

/ سياسة الاحتلال الروسى فى تركستان :

ارسلت روسيا بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧ نحو ٤٠٠ من عملائهم

(١) محمود بيومى ، سابق ، ص ٤٧ .

الى تركستان تحت ستار مساعدة حكومة تركستان والزعم بانهم من الخبراء ، ووضعوهم فى مناصب الحكم المختلفة العسكرية والمدنية والاقتصادية والتعليمية واخذوا على عاتقهم ادارة هذه الأماكن وبينما تزايد نشاط التشكيلات السرية الروسية ، كان المتخصصون فى الارهاب الشيوعى يطورون اساليبه لاجبار المسلمين على التعاون مع السلطات الشيوعية والاعتراف بذنوب لم يقترفوها .

وعقد دورات لتعليم جنود الشرطة الصينيين هذه الأساليب التى تقشعر منها الأبدان فى المناطق الاسلامية . وكان مفتش الشرطة فى كاشغر يشغله قادر حاجى اكبر عملاء المخابرات السوفينية وهو من تركستان الغربية ويعاونه هاشم حلجى مفتش الشرطة فى الهامى وكثير من العملاء غيرهم .

ومن جملة ما استحدث من وسائل الارهاب ١٢٥ وسيلة ، و ٢٨ وسيلة اغتيال وهذه بعض الأساليب كما صورها يوسف عيسى

١ - تعذيب السيدات والفتيات بوضع اللمبات الكهربائية فى سكرتير عام حكومة تركستان قبل الاحتلال الشيوعى .

اعضائهن التناسلية وفتح التيار الكهربائى .

٢ - ربط الراس والقدمين بآلتين وممارسة التعذيب بتحريك كل آلة منهما فى اتجاه مضاد للأخرى .

٣ - التعذيب بفتح فتحه فى الجسد وغرس خيط معقود عدة عقد والانتظار على هذه الغرس يومين ثم يحرك الخيط فى الجرح كما يحرك المنشار .

٤ - اتخاذ المواطن التركستانى المسلم هدفا فى التدريبات العسكرية .

٥ ـ القتل بالغازات السامة فى مناجم المعادن (استشهد بهذه الطريقة الشريف خان نوره ، بطل التاى) (١) .

وكانت روسيا وهى تمارس هذه الأساليب البربرية فى تركستان الشرقية تعمل جاهدة على انتشار الشيوعية فى هذه الدولة الاسلامية تمهيدا لضمها كما حدث فى تركستان الغربية .

وقبل قيام الحرب العالمية الثانية كانت تركستان الشرقية تغلى بالعديد من الثورات لمواجهة الاحتلال الروسى ـ الصينى .

احوال المسلمين فى الصين الداخلية بعد قيام الجمهورية :

بلغ عدد المسلمين فى الصين قبل ان تبتلى هذه البلاد بالحكم الشيوعى عام ١٩٤٩ حوالى خمسين مليونا كما يؤكد العلامة الصينى المسلم تا (داود) تنج اى ان واحدا من ١٢ من سكان الصين حينذاك كان مسلما .

وليس فى تقرير ذلك العلامة مبالغة على الاطلاق ، ففى طبعة سنة ١٩٤٨ من الكتاب السنوى الصينى Chine Year Book ، الذى كان يصدر فى شنغهاى نجد عدد مسلمى الصين قد بلغ ٤٨ر١٠٤ر٠٠٠ نسمة وفى نفس الكتاب جاء ان نسبة المسلمين فى الصين هى ١/١٠ من سكان الصين .

ويلاحظ ان هذا الاحصاء لا يشمل المسلمين فى تركستان الشرقية التى احتلتها الصين واطلقت عليها اسم « ستكيانج » وهم لا يقلون عن ١٥ م مسلم .

احوال مسلمى الصين الدينية :

الدين عند مسلمى الصين ـ كغيرهم من المسلمين ـ حيـــاتهم

---

(١) انظر التفاصـــيل الكاملة فى : عيسى يوسـف : تركســـتان ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

ومصدر فخرهم وعزتهم والطفل هناك يلقن الاسلام منذ طفولته ويوضحون له دائما انه افضل من غير المسلم بكثير كما كان مسلمو الصين يدركون انهم ينتمون الى المجتمع الاسلامى على الرغم من تباعد المسافات بينهم وبين اخوانهم فى العالم الاسلامى وهذا الانتماء يضفى عليهم شعورا بالقوة (١) .

واذا كانوا قد مارسوا حياتهم الدينية بحرية كاملة فى عهد الاسرات الصينية - ما عدا فترات من الحكم المنشورى فانهم فى عهد الجمهورية الصينية تمتعوا بقدر كبير من هذه الحرية وهم من اهل السنة فى غالبيتهم العظمى يتبعون المذهب الحنفى ، لكن بصمات التاثير الشيعى واضحة فى ثقافتهم وممارساتهم ! وهناك نسبة ضئيلة للغاية من الشيعة الاسماعيلية (يقال انهم ٢٠ الفا فقط) ينتمون الى قومية « التاجيك » ويتوزعون على الحدود الصينية الافغانية (٢) .

لكن اكثر المسلمين لا يعرفون شيئا عن المذهب الحنفى ، ولا يدركون ان فى ثقافاتهم وممارساتهم خلطا بين ما هو سنى وما هو شيعى ، ولا بين ما هو عربى او فارسى فقد اراحوا انفسهم - عن غير قصد - من الجدل الذى يمكن ان تثيره هذه القضايا ونظرا لانقطاع الصلة بين المسلمين فى الصين واخوانهم فى العالم الاسلامى، ليعد الشقة ، وانشغال كل دولة اسلامية بمشاكلها ، ظل المسلمون هناك بعيدين عن خرافات البابية والبهائية وغيرها لكنهم مع ذلك يؤمنون بكرامات الأولياء ويتوسلون بهم احيانا ، ولا سيما فى ولاية كانسو ، حيث وجدت طائفة صغيرة منهم تهتم ببناء القباب على القبور تسمى هذه الطائفة بالقبوية .

والاغرب من ذلك انه لاتزال بينهم بقايا للطرق الصوفية . وكان ابن بطوطة قد اشار الى وجود هذه الطرق عند زيارته للصين قبل ستة قرون . وهذه البقايا متمركزة فى مناطق تجمع المسلمين

---

(١) محمد مكين ، سابق ، ص ٥٣ .
(٢) فهمى هويدى ، ٦٦ ، يناير ١٩٨١ ، ص ١٣٤ .

فى تركستان الشرقية التى تضم اكبر كثافة سكانية مسلمة فى الوقت الراهن . ويونان فى الجنوب ، التى كانت معقل النشاط الاسلامى قبل تفريغها من سكانها (١) .

وتوحد بين مسلمى الصين طائفتان تسمى احداهما بالجهرية ، اتباع الثائر « ما هو الونغ » ويقراون القرآن بصوت عال ، ويعظمون الاولياء ويقيمون الاضرحة او المزارات لشيوخهم وهم موجودون فى تنج شيئا قانصو وبعض المناطق فى ولاية يونان .

ويعتقد اتباع الجهرية بان الثائر ماهو هو الونغ « قطب الزمان وان خلفاءه ، يتوارثون الخلافة من بعده ويزعم الجاهلون والمتشددون منهم بان زيارة قبر « لونغ » افضل من فريضة الحج بل وقام البعض منهم ببيع « تذاكر الجنة » وهى تشبه الى حد كبير صكوك الغفران التى لجات اليها الكنيسة الكاثوليكية لابتزاز الأموال من الموطنين المسيحين (٢) .

ويكفر معظم علماء الصين اتباع هذه الطائفة الجهرية واطلقوا عليهم « سين جياو » اى المذهب الحديث .

واما الباقون من المسلمين هناك تسموا « لوحيا » اى المذهب القديم » وقد اشتد الخلاف بين انصار القديم والحديث حتى نشب القتال بينهم احيانا ، وكانوا لا يتزاورن ولا يتصاهرون .

ولما توفى « مايو نجانغ » خليفة « ماهو الونغ » فى عام ١٩١٨ لم يكن له خليفة من بعده فضعفت هذه الفرقة وكاد الخلاف ينتهى تماما بين الطائفتين (٣) .

ويهتم معظم مسلمو الصين بصلاة الجماعة حتى اعتقد البعض

---

(١) هويدى ، سابق ، ص ١٣٤ .
(٢) محمد مكين ، سابق ، ص ٢٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

منهم بأن الصلاة فى المنزل لا تجوز وقد وصـــل تعداد مساجدهم فى عام ١٩٤٨ اكثر من ٤٢ر٠٠٠ مسجد ، ويقراون القرآن بالعربية ولو لم يفهموا منها شيئا على الرغم من وجود ترجمات لمعانيه بالصين .

ويهتم المسلمون فى الصين بصوم رمضان وهم يجتمعون قبـل المغرب فى اروقة المساجد وتقدم اليهم الحلوى للافطار ، ويدعـو بعضهم بعضا الى بيوتهم لتناول الطعام وفى بعض المناطق يشـترك الصائمون فى الأكل الذى بعـد فى اروقة المســجد فلا يرجعون الى مساجدهم الا بعد صلاة العشاء والتراويح . والمســافرون يتناولون طعامهم على هذه الموائد والزكاة هى اهم مصدر للانفاق على المعاهد الدينية وابناء السبيل . والعاملون فى المساجد .

والحج عندهم اعز العبادات لبعد الشقة وكثرة المتــاعب فى السفر وهناك من الصينيين من حج على قدمه فى ثلاث ســنوات واكثر :

وكان المسافرون للحج من المناطق الداخلية فى الصين يسافرون على ظهر الابل خارج سور الصين حتى يصلوا الى شنغهاى ، وفى جامع البوابة الغربية تقام لهم الاحتفالات من اخوانهم المسلمين ثم يذهبون للحج .

وفى تركستان الشرقيـة كانوا يحجون عن طـريق آسـيا الوسطى (١) .

والعاملون فى ميدان الدعوة هناك اربعة هم :

الامام والخطيب والمؤذن وخادم المسجد . والامام غير الخطيب فى كثير من المساجد . بحيث يلقى الخطيب خطبة يوم الجمعة على سبيل المثال ، ولكن الامام هو الذى يقوم بامامة الناس فى الصـلاة

---

(١) د. حسين تونس ، سابق ، ص ٧٤ .

والامام له وضع متميز فى مجتمعات المسلمين . وله دورة عندما يولد الشخص وعندما يتزوج وعندما يموت ، وحتى عندما يدفن (١) .

ومسلمو الصين كانوا ينشطون دائما فى الدعوة للاسلام سواء بالتحول فى مناطق الصين المختلفة او بالزواج من صينيات واقناع اسرهن بالاسلام وقد مر بنا قبل ذلك الاقبال على شراء الاطفال الصغار لتربيتهم تربية اسلامية وقد زار القاهرة فى ١٨٩٤ مسلم من ولاية يونان ، يدعى سليمان ، قال انه لهذه الطريقة يدخل فى الاسلام اعداد تفوق الحصر والعد . وقد ظلت هذه الطريقة منتشرة فى العصر الجمهورى وان قد قلت كثيرا عما كانت عليه (٢) .

واخيرا على الرغم من كل الصعوبات التى واجهها المسلمون فى العصر المنشورى لم يتمكن احد - حتى من اعداد المسلمين - من رصد حالة واحدة لمسلم تحلى فيها عن عقيدته الاسلامية وبعد السيطرة الشيوعية على الحكم فى الصين ازدادت التحديات كثيرا وكان للمسلمين موقفهم كذلك .

الجمعيات الاسلامية فى الصين :

فى عهد الجمهورية الصينية ومع حصول المسلمين على قدر من الحرية الدينية سمح لهم باقامة الجمعيات الاسلامية للاشراف على شئونهم الاجتماعية والتعليمية ومن اشهر هذه الجمعيات .

١ - جمعية تقدم مسلمى الصين :

تم تاسيسها فى عام ١٩١٢ على يد زعيم مسلم من اهل بكن يدعى « وانج هاوزين » الذى زار عددا من البلدان الاسلامية وبعد عودته الى الصين قام بالدعوة الى انشاء هذه الجمعيات لتوطيد جهود المسلمين فى الصين وجمع شتاتهم وقد تم انشاء مركز فى بكين

---

(١) مكين ، سابق ، ص ٣١ .

(٢) توماس ارنولد ، مصدر سابق ، ص ٣٤٤ .

يشرف على توجيه برنامج تعليمى لتعليم اولاد المسلمين ، وباموال الصندوق الخاص الذى ساهم كثير من المسلمين فى الاكتتاب لتمويله ونتيجة لهذا وجد فى كل مسجد مدرسة خاصة يتعلم فيها التلاميذ العلوم الدينية والعلوم الحديثة .. وقد بلغ عدد فروع هذه الجمعية ٣ آلاف فرع موزعة على انحاء الصين كافة كذلك قام عدد من اعضاء هذه الجمعية بانشاء بعض المدارس الاعدادية والثانوية الخاصة فى مناطقهم ، واجروا فيها البرنامج التعليمى الذى ينفذ فى المدارس الحكومية وبصفة عامة كان نشاط هذه الجمعية اجتماعيا وتعليميا محضا بعيدا عن اى لون سياسى لكنها مع الايام تحولت الى جمعية سياسية وتركت اثرا عظيما فى الجمعيات الأخرى التى ظهرت بين المسلمين فى الصين (١) .

٢ - جمعية الأدب الاسلامى فى الصين : -

انشئت هذه الجمعية فى عام ١٩٢٥ فى شنغاى على يد الحاج هلال الدين هاند تشنج الذى تلق تعليمه فى الأزهر ثم زار عدد من العواصم الاسلامية وكان يتكلم العربية والأردية بطلاقة وقد توفى عام ١٩٤٨ وكانت جمعية الأدب الاسلامى قد اعلنت ان برنامجها يتمثل فى : -

١ - عرض مبادىء الاسلام وتعاليمه بصورة يسيرة الفهم .

٢ - النهوض بالتعليم الاسلامى بين ابناء المسلمين .

٣ - توثيق علاقات المودة والتعاطف بين مسلمى الصين وغيرهم .

٤ - دعم اعمال الخير وسائر الجهود الاجتماعية التى تهدف الى رفع المستوى الاجتماعى للمسلمين (٢) .

---

(١) د. محمد السيد وآخرون ، الاقليات ، ص ٦٣٣ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ١١٠ .

وقد وضعت الجمعية خطة لعملها تتلخص فى :

١ - وضع ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الصينية .

٢ - اصدار مجلة شهرية تهتم بشئون المسلمين وقضاياهم .

٣ - القيام بنشر الدعوة الاسلامية بين ابناء غير المسلمين .

٤ - انشاء مدارس المعلمين الاسلامية .

٥ - انشاء مراكز الثقافة الاسلامية .

٦ - تخصيص منح دراسية لمساعدة الطلاب المتفوقين لاكمال دراساتهم العالية .

٧ - افتتاح الفصول المسائية لدراسة العلوم العربية والاسلامية.

وتعتبر هذه الجمعية - كما يرى مسلمو الصين - من احسن الجمعيات التى انشئت فى الصين فى الثلاثينات من هذا القرن .

جمعية دار المعلمين الاسلامية (تشندا) (١) :

تاسست هذه الجمعية فى بكين عام ١٩٢٥ وقد انشاها عدد من زعماء المسلمين ، من بينهم عبد الرحيم ماسونج تونجوبرنامجها يتمثل فى :

١ - الدراسات العامة المتضمنة ادب الصين وتاريخها وجغرافيتها والرياضيات والطبيعيات .

٢ - الدراسات الاسلامية المشتملة على تعليم القرآن الكريم والتفسير وتاريخ الاسلام والأدب العربى وغيره .

---

(١) محمود شاكر ، سابق ، ص ٦٣٣ .

٣ - التربية : وتتضمن التعليم نظريا وتطبيقيا ، وتاريخ التعليم ، والادارات التعليمية ، وعلوم الأخلاق والتربية وعلم النفس .

٤ - العلوم السياسية والاقتصادية .

وكان لهذه الدراسة مطبعتان احداهما صينية والأخرى عربية لطبع كتب الدراسة والمجلات والنشرات وكانت لها مكتبة رائعة تسمى باسم مكتبة فؤاد الأول ، وقد سميت باسم فؤاد الأول ملك مصر لانه تبرع لها باكبر كمية من الكتب العربية والاسلامية وارسل الأزهر بعض علمائه للتدريس فى هذه المدرسة (١٩٣٠ - ١٩٣٧) .

وتم نقل هذه المدرسة الى اقصى الجنوب بعد احتلال اليابان شمال الصين ثم عادت ثانية الى بكين عام ١٩٤٥ بعد هزيمة اليابان وانهاء الحرب .

وحاول الشيخ عبد الرحيم ماسونج مؤسس الجمعية انقاذها من ايدى الشيوعيين بعد مجيئهم الى الحكم عام ١٩٤٩ ولكنه لم يتمكن وقام بجولة فى الدول الاسلامية يطلب انقاذ هذه الجمعية ولكنه لم يجد صدى فعاد مرة اخرى الى الصين وعمل بالتدريس والتأليف وهناك جمعيات اخرى عديدة انشئت فى الصين من بينها : جمعية الاتحاد الاسلامية ونقابة المسلمين ، وجمعية الشعب الاسلامى الصينى ، وجمعية الهداية الاسلامية (١) .

المنظمات شبه السياسية عند المسلمين فى عصر الجمهورية :

نشأت هذه المنظمات متأثرة بجمعية التقدم الاسلامية وقد نظرت اليها بعض الحكومات بعين الشك والريبة وحتى تقلل من اهميتها ونشاطاتها ساندت الحكومة جماعة اخرى من مسلمى الصين فى

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١١٥ .

تاسيس « اتحاد المسلمين » فى اكتوبر ١٩٢٩ فى شنغاى . واعلنت ان هدفها يتمثل فى : -

١ - توحيد صفوف المسلمين فى انحاء الصين .

٢ - تشكيل الجبهة الموحدة من المسلمين لتاييد الثورة الوطنية التى دعا اليها الزعيم «سين باتسن» والمساعدة على تنفيذ برنامجه .

واهتمت بجانب هذه الأمور السياسية بالنشاط التعليمى وتشجيع التعليم المهنى ليتمكن المسلمون من الحصول على فرص افضل للكسب (١) .

وكانت اليابان قد حاولت استغلال عدد من مسلمين لتنفيذ خطتها فى السيطرة على الصين وبالتالى على آسيا . فاسست « اتحاد المسلمين فى الصين » ومقره بكين ثم صدرت عنه مجلة تحمل اسم « الاسلام » وجريدة اخرى فى شنغاى تحمل اسم نور الاسلام ومجلة اخرى فى بكين تحمل اسم « الصراط المستقيم » كانت تعمل بتوجيه من اليابانين ايضا وسمح للمهاجرين الصينين الذين كانوا يقيمون فى اليابان بالعودة الى الصين وبناء المساجد وفتح المدارس ، كذلك نشطت اليابان فى دعايتها فى البلدان الاسلامية الأخرى (٢) .

الجمعية الاتحادية الاسلامية لكل الصين :

عندما كانت اليابان تتقدم بقواتها الى جنوب الصين فى عام ١٩٣٨ اجتمع عدد كبير من المسلمين فى مدينة « هانكيو » وبحثوا القضية الوطنية واعلنوا فى ختام مؤتمرهم انشاء هذه الجمعية التى تلقت تاييدا كبيرا من الحكومة الصينية ومن المسلمين فى الصين وبدا نشاطها ينتشر وغطت على كل الجمعيات الأخرى ، كما عملت على مقاومة نفوذ جمعية « اتحاد المسلمين الصينين » الموالية لليابان

---

(١) الاقليات الاسلامية ، ص ٦٣٥ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ١١٧ - ١١٨ .

والتى انشئت قبل ذلك ببضعة اشهر وتم انتخاب الجنرال عمر باى تشونج رئيسا للجمعية الاتحادية وكان وزيرا للدفاع الوطنى آنذاك فقام بجهود رائعة لتوحيد صفوف المسلمين ، وتحسين اوضاعهم كما حاول ايجاد علاقات طيبة بين حكومة الجمهورية الصينية والعالم الاسلامى ، والرد على الدعاية التى تقوم بها اليابان فى بعض البلدان الاسلامية .

احوال المسلمين الاقتصادية فى عصر الجمهورية الصينية :

على الرغم من المستوى الذى وصل اليه المسلمون فى عصر اسرتى (يوان ومنغ) الا انهم بعد ذلك فى العصر المنشورى عانوا كثيرا من الفاقة والفقر مع انهم يمثلون نسبة ١٠ ٪ من السكان فى الصين . ويفسر بعض زعماء المسلمين فى الصين هذه الظاهرة بأن المسلمين لم يحققوا مستوى متقدما فى ميادين التعليم وكان معظمهم اميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولذا ظلوا بعيدين عن الوظائف الهامة والمراكز المرموقة التى تدر عليهم دخلا طيبا الشىء الثانى ان الكثيرين منهم قد اعتادوا الخمول والكسل وقبلوا عيشة الزهد والكفاف وهم لا يدرون ان هذا ليس من الاسلام فى شىء ، كما ان اجدادهم فى الماضى كانوا من اثرياء الصين ، ودخلو البلاد تجارا ، وضرب بهم المثل فى النشاط والحيوية . ولكن بعد ذلك ضرب بهم المثل فى الفقر ، كما ضرب بهم المثل فى الشجاعة . واصبح من الشائع فى الصين « انه قد يوجد مسلم فقير ولا يوجد مسلم ضعيف » (١) .

وزاد من جهالتهم ان كثيرا من علمائهم كانوا يعظونهم بالزهد والقناعة ولم يعلموا ان الاسلام يدعو المسلمين للعمل فى كثير من الآيات « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » . الآية وقوله تعالى « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » .

وعموما كان للمسلمين نشاطهم الاقتصادى فى الصين وقد برز

---

(١) محمد مكين ، سابق ، ص ٥٣ .

عدد منهم فى المدن الصينية فى تجارة العقيق والاحجار الكريمة مثل الفيروز والعقيق والمرجان . وكذلك كان لهم نشـــاطهم فى تركيب المجوهرات وتصـــنيعها ولهم مركزهم فى اسواق شـــنغاى وبكين وس آن ونانكين . وكان للمسلمين سوق خاص للتجارة فى العقيق والتحف المصنوعة من الأحجار الكريمة الأخرى .

وحتى فى نيويورك كان للمسلمين الصينين المهـــاجرين الى الولايات المتحـــدة محلتـــان اثنتان فى جادة ماريسون تحتويان على التحف النادرة القديمة من الفغفوريات والأوانى الخزفية والفخـــارية الرائعة الصنع .

ويمكن القول بأن تجارة الجواهر والأحجار الكريمة تكاد تكون خاصة بالمسلمين فى الصين .

وفى ولاية يونان يقوم المسلمون بالتجارة فى الجـــلود والفحم النبـــاتى والأرز ، وفى المدن المجاورة لسور الصـــين كان المسلمون يتاجرون فى الفراء والأصواف والأدبار والخيول والماشية ، وبعضهم يعمل بالقصابة وافتتاح المطاعم التى لا تقدم فيها لحوم الخنـــازير وهى موجودة فى المدن الكبرى التى يكثر فيها المسلمون ، ويحرصون على تقديم اللحوم البقرية المذبوحة على الطريقة الاسلامية .

وفى بعض المناطق الأخرى يشتغل عدد منهم بالفلاحة وتربيـــة الماشية وقد احتكروا فى ولاية يونان نوعا من الشـــاى عرف بشـــاى المكية ، كما سافروا الى « التيت » و « بورما » وعادوا محملين ببضائعها (١) .

وعلاوة على ذلك فان الأغنام والضأن والماعز هى من الثروات الحيوانية فى شـــمال الصين الغربى حيث مازال المسلمون يعيشون عيشة الرعاة حيث المراعى المتوفرة والفرص المهيـــأة لتربية الماشية

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٠٥ .

وبالتالى كانت ثروة المسلمين فى شمال الصين الغربى ثروة حيوانية وفى مناطق المسلمين وجد الذهب والفحم وموارد اخرى ذات قيمة اقتصادية ولكن المسلمين لم يحسنوا استثمارها وتركوها فى ايدى الصين . وقد يرجع ذلك الى المنافسة الشديدة مع الصين عندما كانت تقوم صـــناعة هامة فى مناطقهم كانت تجلب لهم العـــداء الشديد وما احداث ثورة يونان بعيدة ، وكان سببها الأصلى وجود نزاع بين المسلمين والصينيين حول استغلال بعض المعادن فى يسن يانغ تشانغ».

ومن الجدير بالذكر ان العاملين فى مجال الدعوة الاسـلامية بالصـين او العلماء المسلمين عموما كانوا يعيشـون على الاستزراق وعانى الكثيرون منهم الفقر وكانت الوظائف الدينية محدودة لانه لا توجد محاكم شرعية ولا قضاه او محامون وكان من الشائع ان ياخذ هؤلاء اجرا او صدقة على قراءة القرآن الكريم ويشترك فى هـــذا امام المسجد والخطيب والمؤذن والمدرسون وبعضهم كان يكتب بعض المقالات او يؤلف بعض الكتب ومن اجره عنها كان يعيش حياة الكفاف.

واما عن الصناعات والحرف الأخرى فنظرا لوفرة القوة البدنية والنشاط فى كثير من المسلمين الصين ، ولأن اجدادهم كانوا من جنود قتيبه او جنود الخليفة العباسى المنصور او المهاجرين من اواسط آسيا الى الصين فى عصر اسرة يوان ظهر شغفهم بالجندية . ووصل بعضهم الى مراتب كبار الضباط ، واما اقبالهم على الوظائف المدنية فكان اقل ، لكن فى عهد الجمهورية بداوا يشاركون بنصيب اوفر فى رقى البلاد باشتراكهم اشتراكا فعليا فى الادارة الحكومية (١) .

احوال المسلمين الاجتماعية فى الصين :

امتازت الأسرة الاســلامية فى الصين عن غـــيرها بالترابط الاجتماعى واحترام الأبناء للآباء وتوقير الصغير للكبير ، ولم يتاثر المسلمون بالشائع عند الصينيين من عبادة الاسلاف الآباء والأجداد).

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٥ ، ص ٩ .

وتحافظ الفتاة المسلمة على الحجاب ولا تخرج من بيتها الا مع محرم لها ، وعادات الزواج عندهم تشبه الى حد كبير مثيلاتها فى المجتمعات الاسلامية ويقبل الشباب على الزواج فى الخامسة عشر من عمره غالبا والفتاة تزوج فى الثالثة عشر وفى عهد الجمهورية قيدت سن الزواج بـ عشرين للشاب و ١٨ للفتاة ولا تتزوج المسلمة من الكافر مهما علا شانه (١) ويتزوج المسلمون من صينيات غير مسلمات بغية حملهن على الاسلام .

والأحكام الشرعية فى الميراث لم يعمل بها عند مسلمى الصين لانهم يسيرون وفقا للأحكام المدينة . فكان الورثة للميت هم اولاده ووالديه واخوته اذا لم يكن له ولد او ابن اخيه الذى تبناه فلا ترث تنات الميت الا من كان زوجها متبنى له ، ولا تستحق الباقيات الا ما يتفضل به والدهن عليهن عند الزواج وقد سنت الحكومة الصينية عام ١٩٢٧ قانونا يقضى بالمساواة فى الميرات بين الولد والبنت .

وهناك عادة متعارف عليها ، وهى ان يقسم الرجل امواله وعقاراته بين اولاده اذا عدم ، او فقدت الألفة بين اولاده ويبقى لزوجته ولنفسه جزءا منها وقد يوصى بجزء كبير منها للمساجد والمعاهد الدينية .

واوقاف المسلمين يوقف الواقفين بعضها ، وبعضها تركة الكلالة ومن ريع الأوقاف ينفقون على المساجد والمعاهد وموظفيها .

وعاداتهم فى دفن الميت انه يدفن فى قبر مستطيل ويقام المأتم فى اليوم السابع ، والأربعين والمائة ، والسنة الكاملة ، والسنة الثالثة ، ويقرأ القرآن كله ثلاثون شخصا فى المأتم (٢) .

---

(١) ذحمد بكين ، سابق ص ٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦١ .

المستوى التعليمى :

فى العهد المنشورى ، ونتيجة لما وقع للمسلمين فيه ، ابتعدوا عن الحياة فى المجتمع الصينى ، وكان اغلبهم اميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وتخلفوا عن الركب الاجتماعى شيئا فشيئا . ولم تكن لهم مؤسسات تعليمية ، تعمل على رفع مستواهم العلمى ، كما لم يسمح لهم باقامة مراكز التعليمية . واضيف الى ذلك انهم شغلوا بتأمين اقواتهم ، وكانوا فى حاجة لعمل ابنائهم ليساعدونهم فى مواجهة أعباء الحياة اليومية .

وجاءت السنوات من ١٩٠٠ الى ١٩٤٩ بمثابة مرحلة لالتقاط الأنفاس بالنسبة للمسلمين فى الصين ، مرحلة النهوض من الكبوة لممارسة الحياة الطبيعية بغير كبت ولا قهر ولا اضطهاد .

كانت مدارسهم ومعاهدهم يتزايد عددها ويتحول فيها المنهج التقليدى العتيق الى آخر اكثر عصرية وجدوى ، وكانت جمعياتهم - كما اسلفنا - تتدعم وتوسع من نشاطاتها راسيا وافقيا (١) .

ويرجع بعض زعماء المسلمين فى الصين تاخرهم من الناحية الثقافية قبيل العصر الجمهورى الى عدة اسباب :

١ - صعوبة تعلم العربية بالنسبة لهم .

٢ - طرق التعليم العقيمة التى سادت بينهم .

٣ - عدم ترجمة الكتب الاسلامية وقلة المراجع الاسلامية .

٤ - عزلة مسلمى الصين عن اخوانهم فى العالم الاسلامى واهمال المسلمين فى الخارج لاخوانهم فى الصين وعلى الرغم من هذه لصعوبات كان للغة العربية - باعتبارها لغة القرآن الكريم - مكانة كبيرة عندهم يهتمون بها كاللغة الصينية تماما .

---

(١) هويدى ، ٢٦٥ ، ص ٩٠ .

كان الطالب يلتحق بالمدرسة التى كانت غالبا فى اروقة المساجد ، فيمكث فيها بضع سنين يحفظ فيها قصار السـور وبعض الأدعية المشهورة . ويقراون بعض الكتب الصغيرة .

واذا انتهوا من دراستهم الابتدائية احترف بعضهم الفلاحة أو التجارة ، ودخل البعض المدرسة الثانوية وكانت كتب الدراسة باللغة العربية التى لا يعرف الطالب الا القليل من مفرداتها ويتلقون من المعلم ترجمتها الشفوية باللغة الصينية من هنا كانت الفائدة قليلة .

واذا اتم الطالب الدراسة الثانوية انتقل إلى المدرسة العـالية وفيها يدرس شرح الكافية ، وشرح التلخيص ، وتفسير الجلالين ، وشرح العقائد النسفية وشرح الوقاية وهى الكتب المشهورة عند مسلمى الصين بالكتب الخمسة الكبيرة ومدة الدراسة فيها طويلة قد تمتد الى سنوات الا انهم احيانا لا يقراون من هذه الكتب الا بعضها ، واذا اتم الطالب سنوات الدراسة وظن فيه استاذه الكفاية إذن له بالشهادة وهى عمامة بيضاء ذات ذنب على قلشوة مخروطة مطرزه ويلسان يشتريها الطالب وتقدم اليه امام الجمـاهير فى المسجد فى عيد الفطر أو عيد الأضـحى ولقب بعـد ذلك يلقب « اهونغ » وهـو محرف « آخوند » بالفارسية وتعنى الشيخ (١) .

ونقائص هذا النظام كثيرة منها طول مدة الدراسة ، وضـحالة المعلومات والضعف فى اللغة العربية ، والأهم من ذلك انها لم تكن امامهم من ابواب العمل سوى التدريس او الخطابة أو العمل كمؤذنين فى المساجد .

وبعد قيام الجمهورية فى الصين شعر المسلمون بحاجاتهم الى التعليم فانشاوا الكثير من المدارس الابتدائية فى المسـاجد من ريع أوقاف المسلمين وتبرعاتهم ونظام الدراسة فيها ، كنظـام المدارس الحكومية (٢) .

---

(١) محمد مكين ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) محمود شاكر ، الاقليات ، ص ٦٣٣ .

وقد اسس المسلمون فى السنوات العشر الأولى ما يقـــرب من ١٥٠٠ مدرسة ابتدائية ، وحوالى ٣٠٠ مدرسة ثانوية ، كما اتجهوا لانشاء مدرسة فى كل مسجد تحت مراقبة او اشراف المديرية التعليمية التابعة للحكومة البلدية وفى كل المدن والولايات الصينية تقريبا ، واقروا فيها البرنامج التعـليمى الذى ينفـذ فى المدارس الاعـدادية والثانوية الحكومية (١) .

وكانت صلة المسلمين فى الصين بالعالم الاسلامى قد تجددت ، وعادت وفود الحجاج الصين الى بيت الله الحرام . وقطعت الجمعيات الاسلامية لصينية شوطا لا بأس به فى ميدان التعليم ، وايفاد مبعوثين صينين للدراسة فى الأزهر ، اذ سافر خمسة اشخاص عام ١٩٣١ ، وخمسة آخرون فى العام الذى يليه ، ثم ثلاثة فى عام ٣٣ ، وسته فى عام ٣٤ ، ثم ١٦ مبعوثا دفعة واحدا عام ١٩٣٧ ، وقد اطلق على هذه المجموعة التى سافرت الى مصر اسم البعثة الفاروقية ، مجاملة لملك مصر السابق « فاروق » .

وبذلك بلغ مجموع الصينية الذين درسوا فى الأزهر ٣٥ شخصا، فى الفترة بين عامى (١٩١١ و ١٩٤٩) على الرغم من أن بعضهم واجد مشـــاكل فى الاعتراف بشـــهاداتهم فى ظـــل حكومة الكومنتانج (الشغب) .

وكانت هذه هى المرحلة التى افرزت عددا من علماء المسـلمين الصين الذين برزوا فيما بعد ، وبذلوا جهودا مضنية من اجل تعريف مسلمى الصين بدينهم على وجه صحيح . ومن بينهم الشيخ وانغ جينغ تشاى المتوفى فى عام ١٩٤٩ ، وصاحب مجلة «(نور الاسلام)» وقد ترجم معانى القرآن الكريم المطبوع فى سنة ١٩٤٥ .

ـ الشخ محمد تواضغ يانغ شي تشيان المتوفى سنة ١٩٥٨ وكان ضمن المجموعة الأولى التى التحقت بالأزهر من ابناء مسلمى لصين.

---

(١) ابراهيم شيونغ ، سابق ص ١٤ ـ ١٥ .

ومن مؤلفاته كتاب « تسع سنوات فى مصر » وترجم عددا من الكتب الاسلامية الهامة ٠

ـ الشيخ ماليانج جيون المتوفى سنة ١٩٥٧ كان ولا يزال موضع الاحترام والتقدير لدى المسلمين الصين بصفة عامة ومسلمى تركستان الشرقية بصفة خاصة ٠

الأستاذ محمد مكين عضو اول بعثة درسة الاسلام فى الأزهر وظل يعمل استاذا فى جامعة بكين حتى توفاه الله فى عام ١٩٧٨ وله عدة مؤلفات من بينها « سيف محمد ﷺ » « موجز شرح القرآن الكريم » « ورسالة التوحيد » وتاريخ التعليم الاسلامى « ومنهاج التقويم الهجرى » (١) ٠

وهكذا استطاع المسلمون تجديد نشاطهم السياسى وتمكنوا من استعادة مركزهم الاجتماعى وحقوقهم الشرعية المضمونة فى دستور الجمهورية وذلك بعد ان نهضوا بمستواهم التعليمى وتقدموا الى الصفوف الأولى فى المجتمع الصينى واصبح لهم فى عام ١٩٤٦ ما يزيد عن مائة ممثل برلمانى مسلم فى مجلس النواب ووضعت ادارة المقاطعات الشمالية الغربية وتركستان ـ شينغاى ـ ينشان خانسو بايدى المسلمين ـ وكان زعماء المسلمين امثال سافوسيان ـ ماليه ومسعود اعضاء فى اللجنة الادارية وكان اللواء المسلم عمر ياى اول وزير مسلم يتولى وزارة الدفاع اكثر من مرة آخرها فى السنوات (١٩٤٣ ـ ١٩٤٦) ثم عين مارشالا مسئوولا عن الادارة المدنية والعسكرية فى الصين الوسطى ٠

وهذه النهضة التى حققها المسلمون فى عصر الجمهورية لم تستمر طويلا ، حتى كان قيام الحكم الشيوعى فى الصين الذى اضاع على المسلمين كل شىء ، وكان همه الأول محاربة الاسلام والمسلمين فى الصين باعتبارهم اعداء الشيوعية الأقوياء (٢) ٠

---

(١) هويدى ، ٢٦٥ ، ص ٩٠ ٠

(٢) شيونغ ، سابق ، ص ١٥ ٠

الفصل الخامس

دور المسلمين فى الصين

فى مقاومة الاحتلال اليابانى والتغلغل الشيوعى

١٩٣٧ ـ ١٩٤٩

قبل وقوع الحرب العالمية الثانية ، كانت الصين تواجه استعمارا آسيويا شرسا ، هو الاستعمار اليابانى ، الذى اتخذ شعار مضللا يخدع به الشعوب الآسيوية واطلق عليه : « آسيا للآسياوين » يبرر به توسعه الاستعمارى . وتحت ذات الشعار احتلت اليابان كوريا ، وفرموزا ، ومنشوريا والصين واندونيسيا ، والهند الصينية ويورما والملايو وسنغافورة والفلبين ، وكانت حجتها فى الهجوم على الصين انها تمهد بذلك لتوحيد آسيا ضد الاستعمار الاوربى ـ كما زعمت ـ وتحرير شعوبها من رق العبودية واغلال الفقر والتخلف . ولم تخدع شعوب تلك الدول بالدعاية اليابانية فاعمال اليابان كانت تؤكد انه استعمار لا يقل صلفا وغرورا ووحشية عن اى استعمار اوربى (١) .

وهناك حقيقة واضحة ، وهى ان اليقظة العسكرية اليابانية ، واطماع اليابان كانت من عوامل تدمير الصين ، واحتلالها ، فاليابانيون كانوا يرون فى أرض الصين وثرواتها سببا كافيا يدفعهم لتدميرها ، ورأوا فيها حقوقا مستباحة لهم ، فضيقوا الخناق عليها وغزوا ارضها المرة تلو الأخرى ، بل انهم فى سبيل اشباع هذه الرغبة المدمرة تعاونوا مع بقية المستعمرين لاقتسام الصين (٢) .

هذا من ناحية . ومن ناحيا اخرى كانت الحكومة الشيوعية

---

(١) محمد سعيد اسمعيل : مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٢) عبد الفتاح سعيد : مجلة البعث ، العدد ٢ المجلد ٢٩ : شوال ١٤٠٤ هـ ، ص ٨٧ .

فى الاتحاد السوفيتى لها اطماعها فى الصين ، فبدات تعمل على اعداد من اسمتهم « بطلائع المثقفين الصينيين » وهم الذين تلقوا ثقافة غربية صليبية فى احضان الاستعمار وعملائه ، او من الذين ذهبوا للدراسة فى الاتحاد السوفيتى وبدات تعد هؤلاء وهؤلاء لنشر الشيوعية فى الصين وجاءت الشعارات البراقة عن تحرير العمال والعبيد ، وحكم الطبقة العاملة ، والقضاء على الامبريالية وغير ذلك من الشعارات والوعود المعسولة بالغاء نظام السخرة ، والقضاء على الاقطاع والنظم المتخلفة وكان من الطبيعى ان تجد هذه الشعارات مكانا لها فى الصين والبلاد مشغولة برد الاعتداءات اليابانية ، وحكومة « الكومنتانج » تواجه تحديات داخلية وانقسامات فى كل مكان ، واصبحت المخاطر تهددها من داخل الصين ومن خارجها .

ولنا ان نبحث وسط هذا الضباب عن موقف المسلمين فى الصين من التدخل العسكرى اليابانى (وهو موقف يسجل لهم) . وموقفهم فى ذات الوقت من محاولات نشر الشيوعية والالحاد على ارض الصين (وهو كذلك موقف يشرفهم ما عدا بعض الفترات التى تعاونوا فيها مع ماوتس تونتج ورفاقه باعتبارهم يحاربون عدوا واحدا هو الاحتلال اليابانى) .

وكانت بداية الاعمال العسكرية ، التى قامت بها اليابان فى الاراضى الصينية بعد احتلال مانشوريا فى عام ١٩٣١ واخذت اليابان تنشر الدعاية بين المسلمين فى الصين داعية اياهم لتاييدها ، وذلك بزعمها ان المسلمين فى الصين موضع اهتمامها وانها ستعمل على اعطائهم استقلالا ذاتيا ، وبدات ترسل عملاءها الى الصين لدراسة اوضاع المسلمين فيها وكان اول عملائها « ساكو ماسادا » الذى قام بجولة فى العالم الاسلامى وبدا فى تاسيس مجلة اسلامية كانت تصدر باسم « نور الاسلام » وكتب فيها باسم مستعار هو «تسو تشونج شان» وقام بحملة على الحكومة الصينية متهما اياها بالتعسف مع المسلمين وظلمهم واضاعة حقوقهم ومهددا بثورة المسلمين لمواجهة هذه المظالم ، والهدف من هذه الحملة واضح تمام الوضوح وهو الايقاع بين المسلمين وبين الحكومة الصينية .

وبعد الاستيلاء على مانشوريا قامت اليابان بنشاط كبير لكسب تاييد المسلمين لسياستها التوسعية ، وبدأت بمسلمى الصين واعادت تنظيم نشاطهم وخاصة المسلمين الذين لجأوا الى اليابان من الصين (١) .

وفى شتاء ١٩٣٢ حاول اليابانيون تحريض احد الزعماء المسلمين « لى تشو تشونج » على الثورة فى نيان تشين لتشويه سمعة المسلمين ، ولكن الثورة لم تستمر طويلا ، ولم يؤيدها الاقلة قليلة من المسلمين . وتمكنت الحكومة من القضاء عليها .

وقد استفادت اليابان من المسلمين اللاجئين اليها امثال الشيخ عبد الرشيد ابراهيمى والشيخ عبد الحى قربان ، والشيخ عوض اسحاق والشيخ محمد مخدوم والسيد على بالاضافة الى عدد من التجار المسلمين بالهند (٢) .

وقد اتخذ المسلمين موقفا رائعا بعد ان تقدمت القوات اليابانية نحو جنوب الصين فى عام ١٩٣٨ اذا اجتمع مندوبو المسلمين فى اجتماع حاشد وقرروا الدفاع عن الوطن ومقاومة الاحتلال اليابانى ورفض كل المحاولات التى تبذلها اليابان لاستمالتهم الى صفوفها ، وقرروا الاتصال باخوانهم فى العالم الاسلامى لتوضيح الموقف ومساندة حكومة الصين وناشد المسلمون فى الصين اخوانهم ممن انضموا الى جانب اليابان ، وانشأوا جمعية « اتحاد المسلمين الصينيين » ان ينتبهوا لخطورة الموقف وان واجبهم يحتم عليه الدفاع عن وطنهم ورفض التعاون مع الاحتلال اليابانى .

وعلى الجانب الآخر كانت حكومة اليابان تزعم ان المسلمين فى الصين يتعاونون معها ضد حكومة كاى شيك وانها ستساعدهم فى الحصول على استقلال ذاتى لهم .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) محمد السيد غلاب وآخرون : سابق ، ص ٦٣٦ .

وفى الوقت ذاته اعلنت الحكومة الوطنية برئاسة جنرال كاى شيك انها ستحارب اليابان حتى النهاية ، وان المسلمين فى الصين جزء من الامة الصينية وهم يتعاونون معها فى مقاومة الاحتلال ، واشادت بالجهود الرائعة يبذلها كبار الضباط المسلمين فى قيادة عمليات الدفاع والمقاومة (١) .

وهكذا كان كل طرف من الاطراف المتصارعة فى الصين يعلن تأييد المسلمين له وهو ما يؤكد اهمية موقف المسلمين وقوتهم لاسيما وان الكثيرين منهم كانوا بالجيش الصينى . وكان الموقف - كما اسلفنا - على النحو التالى : -

١ - حكومة الصين الوطنية وقد وقف معظم المسلمين بالفعل موقف التأييد والمساندة لها .

٢ - اليابان التى زعمت هى الأخرى بان المسلمين يؤيدونها بينما اكدت الأحداث كذب هذا الادعاء ، وان القلة القليلة التى تعاونت معها معظمهم كانوا من المهاجرين الصينيين الى اليابان ، وقد خدعوا بالدعاية اليابانية بالاضافة الى ان ولاءهم للصين كان مشكوكا فيه الى حد كبير (٢) .

٣ - الشيوعيون الذين بداوا القتال المحدود فى بعض المناطق ضد الاحتلال اليابانى ، وكان هدفهم الأول تقوية مراكزهم على الحدود ، واهتبال هذه الفرصة السانحة لاثبات وجودهم على الساحة الصينية ، وتدريب اعداد من الصينين ليكونوا عونا لهما فى المستقبل عندما يستولى الشيوعيون على الحكم فى الصين والحقيقة التى كشفت عنها الاحداث ان هؤلاء الشيوعيين كانوا يتخيرون المناطق البعيدة عن مسرح العمليات حتى لا يقحموا انفسهم فى مواجهة غير متكافئة مع قوات اليابان ويظلون فى نفس الوقت بعيدين عن قبضة الحكومة الصينية التى كانت تطاردهم من مكا الى آخر .

---

(١) الاقليات الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٣٧ .

(٢) العربى ، العدد ٢٦٥ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

وقد بعث الشيوعيون الصينيون برسالة الى جميع المسلمين فى المناطق المختلفة ، امتدحوا فيها روح التضامن فيما بينهم واشادوا كذلك بشجاعة المسلمين فى محاربة الاعداء ، وتناولوا فى هذه الرسالة الحديث عن المتاعب التى واجهها المسلمون فى المدن والقرى لوقف تقدم الجيش اليابانى ، وطالبوا جميع المسلمين بوضع جميع الامكانات الموجودة لديهم تحت تصرف قوات التحرير (الشيوعية) ليتمكنوا بالتعاون فيما بينهم من دحر العدوان والقضاء عليه .

وقدم الشيوعيون قائمة طويلة من الوعود المعسولة للمسلمين نظرا لدورهم الوطنى من بين هذه الوعود : مساعدة المسلمين فىتشكيل حكومات ذاتية فى المناطق الاسلامية ، وابطال الديون والمحافظة على التقاليد الاسلامية ، والمساعدة على تنظيم وحدات خاصة لجيش المسلمين فى الحرب ضد اليابانيين . ومساعدة المسلمين داخل الصين ومنغوليا الخارجية وتركستان الشرقية فى توحيد صفوفهم مع اخوانهم من المسلمين فى الاتحاد السوفيتى (١) .

المسلمون فى مقاومة الاحتلال اليابانى :

كان موقف المسلمين فى الصين عندما دقت طبول حرب المقاومة الصينية الوطنية ضد الاحتلال اليابانى موقفا يشرفهم ، ويعلى من شانهم ، كوطنيين مخلصين ومقاتلين اشداء ، وقادة شاركوا فى وضع الخطط وقادوا المقاومة الصينية .

وقد شكل المسلمون اثناء الحرب « فصيلة قومية هوى » التى عرفت باسم « الجحافل الحديدية » بقيادة ضابط مسلم دخل تاريخ الصين الحديث لبسالته الفائقة ودوره الرائع ، هذا الضابط يدى هامين تشاى . الذى قاد « الجحافل الحديدية » فى معاركها ضد اليابانين شمال الصين ، وحقق فيها انتصارات باهرة كانت سببا

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٥٠ .

فى وقف محاولات اليابان الاستيلاء على منطقة تركستان الشرقية .

وكذلك فى جنوب الصين شارك المسلمون مشاركة فعالة فى المقاومة ضد الاحتلال اليابانى وقام الجنرال عمر باى بجهود كثيرة فى تنظيم المقاومة وتوحيد صفوف المسلمين فى الصين .

هذا على الصعيد العسكرى . واما على الصعيد السياسى فقد شكل المسلمون اربع بعثات سافرت الى العالم العربى ودول آسيا الأخرى فى مهمة رسمية لكسب الراى العام فى تلك الدول الى جانب حكومة الصين الوطنية ضد العدوان اليابانى (١) .

المسلمون فى مواجهة الشيوعية :

على الرغم من النداءات التى وجهها الشيوعيون فى الصين الى المسلمين ، ووعودهم البراقة ، بمنحهم الاستقلال بعد طرد المستعمرين ، فان المسلمين لم يخدعوا بهذه الشعارات ووقفت اغلبيتهم مع حكومة الصين الوطنية وحاربت الشيوعية فى كل مكان .

ففى ١٦ اكتوبر ١٩٣٥ دارت معارك ضارية على الضفة الغربية من النهر الاصفر ، وقد احاط المسلمون ومعهم قوات حكومة « كاى شيك » بالشيوعيين فى مقاطعة خانس وبعد ان فر الاخيرون عن طريق جنوب الصين الى مقاطعة « زتهوان » حيث انقسموا الى فريقين الأول براسه ماوتس تونج وجاتاو ، تراجع الى مقاطعة سيان سى والثانى بقيادة جوسيار حبان الذى تراجع الى مقاطعة خانسو والتقى القائد الشيوعى جيان ومعه قوة تقدر بستين الفا من الشيوعيين بالجيوش الوطنية التى كان اغلبها من الجنود المسلمين برئاسة الجنرال المسلم « حسين يوفان » واخوه الجنرال «بوشين ماو» فحاصرت الجيوش الاسلامية الشيوعيين من كل ناحية وهاجمتهم قوات الدفاع المدنية لمقاطعات كانسو وشينغاى فهلك معظم الجيش الشيوعى ولم ينج الا قلة قليلة من الشيوعيين تمكنت من الفرار (٢) .

---

(١) ابراهيم شيوفع ، سابق ص ١٧ ، فهمى هويدى ، ٢٦٥ ، ص ٨٩ .

(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ١٥١ .

وقد اغتنم الشيوعيون قيام الحرب العالمية الثانية ووحدوا صفوفهم مستغلين انشغال الحكومة الوطنية فى المقاومة ضد الاحتلال اليابانى .

ويمكننا ان نوضح خداع وتآمر الشيوعيين الصينيين من التقرير الذى وضعه الجنرال « البرت وديماير » حيث قال :

كنت على علم تام بنشاط الشيوعيين فى شمال الصين وكنت اعرف ان ماوتسى تونج وشواين لاى والقادة الشيوعيين الآخرين كانوا لا يهتمون بمحاربة اليابانيين ، فقد كان هدفهم الرئيسى احتلال المناطق التى يخلو عنها الحكومة الوطنية (١) .

ويمضى « وديماير » تقريره فيقول :

« .. وعندما بحثت مرة موضوع الشيوعية مع ماوتسى وشواين سالتهما لماذا لا يعملان لتحقيق اهداف شن ياتسن العظيم ، مؤسس الجمهورية ١٩١١ ، دون اعتناق اى عقيدة اجنبية اخرى ، اجابنى شواين لاى ، ان المحررين الصينيين لا يمكن فصلهم عن الدولة الاشتراكية ، ولا يمكن ان يعملوا دون مساعدة « البروليتاريا » فى العالم والافلا يمكن الانتصار على الدكتاتورية البرجوازية (٢) .

وعندما قيل « لشواين لاى ذات مرة ان الاهداف الماركسية كالكذب والارهاب والقتل والاستعباد وغيرها يستخدمها الشيوعيون ليصلوا للحكم . غضب واجاب : ان عامة الشعب اضطرت الى الالتجاء لهذه الوسائل من اجل طرد عدوها اللدود .

وكانت القوات السوفيتية قد استولت على المقاطعات الشمالية الشرقية التسع من الصين قبل اعلان اليابان التسليم بايام قلائل بحجة فتح جبهة جديدة فى حرب الباسفيكى . وعندما استسلمت اليابان

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩ .

سلم الاتحاد السوفيتى هذه المقاطعات مع الذخائر التى غنمهـــا الى الشيوعيين الصينيين غنيمة باردة (١) .

وفى: احد القرى واى تشو وتقع غرب سى ـ ان والتى كان يسكنها زهاء عشرة آلف من السكان المسلمين وقد بعث اليهم قائد القوات الشيوعية الذى سيطر على المنطقة المجاورة ضـــابطين للاجتماع بزعمـــاء المسلمين والتباحث معهم حول تشكيل حكومة مديرية اسلامية يتمتـــع فيها المسلمون بالحكم الذاتى ، كمـــا ادعى الضابطان الشيوعيان انه يوجد بالجيش الثورى الشيوعى عشرة آلاف مســـلم . وقـــد رفض المسلمون مقابلتهم قائلين « اذا كان الامر بالموت وحياة البلاد فعلى المسلمين ان يخضعوا لاوامر الزعيم اليسيمو كاى شيك فى جميـــع التحركات والعمليات العسكرية لا لشخص آخر . واذا كنتم قد جئتم لاحتلال البلاد بقوة السلاح فاننا مستعدون للدفاع عنهـــا بدم حار ، وايمان عميق وثابت حتى آخر الرجال » .

وقد تعرضت القرية للهجمات الشيوعية المتكررة واستبسل المسلمون فى الدفاع عنها حتى وصلت النجدة المرسلة من قبل الحاكم المســـلم عمـــــاد الدين ما هونج كوى وانقذتهـــــا من الســـقوط فى ايدى الشيوعيين (٢) .

الدفاع عن « لين جو » :

ومن البطولات الرائعة التى ظهرت فى الحرب ضـد الشيوعيون ما قام به قائد الجيش الثانى والثمانين المســـلم « جى يون » الذى تمكن هو وقواته من قتل زهاء ٢٠ الف جندى شيوعى واسر ١٠ آلف آخرين وقد احيا هذا النصر آمال الشعب الصينى فى وقف تقـــدم الشيوعيين على يد هؤلاء المسلمين البواسل وقام المسلمون كذلك بدور رائع فى الدفاع عن « لين جيو » فى عام ١٩٤٩ ولكن الجيش الثانى والثمانين تغلب عليهم وقتل منهم اعداد كبيرة . ولكن نظرا لنقص

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٣٠ .
(٢) بدر الدين سابق ، ص ١٥١ .

الامدادات والذخائر وتخاذل القوات الحكومية ، اضطر المسلمون الى الانسحاب فاحتل الشيوعيون الصين الشمالية الغربية التى يؤلف المسلمون الاكثرية الساحقة من سكانها عندما كانت الحرب بين الصين واليابان قد بلغت اشدها وبدات قوات كاى شيك تتقهقر امام الزحف الياباني نحو الجنوب لم تستطع الحكومة السيطرة على الولايات الشمالية ، وتركت امور هذه المناطق الواسعة الى ايدى القواد المسلمين المنتسبين الى عائلة (ما) الشهيرة ، ايمانا منها باخلاصهم وولائهم للقضية الوطنية ، وقد قاوم هؤلاء القواد المسلمون الشيوعية ومحاولتها الانتشار والتوسع ، غير ان المساعدات السوفيتية لما وتسى تونج وعصابته كانت كبيرة فسقطت هاويهوجهار خلال سنوات الحرب مع اليابان (١) .

مواقف اخرى لبعض المسلمين فى الصين :

نتيجة للدعاية الشيوعية المكثفة حول تعاون المسلمين وقوات التحرير لممارسة العدو المشترك للصين وهم اليابانيون ، خدع البعض بالشعارات البراقة التى رفعها ماو ورفاقه وانضموا الى جانب الشيوعيين « ليحرروا الوطن ويدافعوا عن آمال الفقراء والمطحونين » وبدا نجم ماو يصعد باعتباره رمزا لنضال الشعب الصينى وكان المنضمون الى الكتائب الشيوعية معظمهم من الشباب المتحمس الذى استهوته الشعارات التى رفعها الشيوعيون .

وقد اكد احد المراسلين العسكريين فى الصين بانه عندما وصل الى بكين فى عام ١٩٣٨ شاهد كتيبتين من الجنود المسلمين تحت قيادة ضابط مسلم كذلك فى معسكرات الجيش الشيوعى (٢) .

وهنا يمكن للباحث المنصف ان يتساءل عن الاسباب التى ادت الى تفرق المسلمين فى الصين ، وتشتت جهودهم فى مختلف الولايات وبين الاطراف المتصارعة بطريقة جعلتهم يتخذون هذه المواقف

---

(١) هويدى ، سابق ، ص ٩٠ ، شيونغ ، سابق ، ص ٢٠ .
(٢) بدر الدين ، سابق ، ص ١٥١ .

المتناقضة فقد انضم جانب كبير منهم للحكومة الوطنية بصفتهـــا الحكومة الشرعية المسئولة عن البلاد بالاضافة الى ان مساندتهم لهـا يحفظ لهم حقوقهم وكرامتهم وكيانهم الاسلامى واما الذين انضـــموا إلى جانب الشيوعيين فقد اعتقدوا انهم سيحررون الصين من الاحتلال وسيحققون للبلاد ما عجزت حكومة « الكومنتانج » عن تحقيقه خلال سنوات حكمها ٠

وليس الموقف فى حاجة الى تبرير ، او دفاع ، لان الحقيقة ان المسلمين اخطأوا فى تشتيت جهودهم ، وتناقض موقفهم ، وكان من الممكن الاستفادة من هذه الاحداث فى الحصول على امتيازات اكثر ، وتكوين دولة فى المناطق التى يشكلون فيها اغلبية ، ولكن ما حدث كانت نتيجته ضياع حقوقهم ووقوعهم ضحية للشيوعية التى تسلطت على الصـــين ٠

قيام الشيوعية فى الصين :

ساندت الولايات المتحدة « كاى تشيك » لـــكن بعـــد ان كان الشيوعيون قد تمكنوا بمساعدة السوفيت من الســـيطرة على معظم مناطق الصين واستطاعوا بعد انتهـــاء الحرب العـــالمية الثانية ان يسيطروا على البقية الباقية ولم يكن امام « شيك » سوى الانســحاب فى حماية البوارج الامريكية الى « جزيرة فرموزا » وكان هـــذا ايذانا بقيام ثانى اكبر دولة شيوعية فى العالم ٠

تركستان الشرقية والسيطرة الشيوعية :

تمكنت الحكومة السوفيتية من القضاء على الدولة الاســـلامية التى قامت فى تركستان الشرقية برئاسة خوجه نياز واصبح المسلمون فيها تحت ابغض استعمار وهو الاستعمار السوفيتى ـ الصينى وحتى تكتمل سيطرتهم على تركستان ، عسكر جزء كبير من الجيش السوفيتى فى « مار لباش » التى تعتبر مفتاح البلاد ، كما اتوا باكثر من عشرة آلاف جندى سوفيتى لتوزيعهم فى بعض المنـــاطق الأخرى ، وقوات

لحراسة الحدودين تركستان وكل من الهند وافغانستان خوفا من اتصال مسلمى تركستان الشرقية باخوانهم فى تلك البلاد ، كما عسكرت قوات شيوعية فى مقاطعة « قومول » المتاخمة لحدود الصين . وعينت فى ١٩٣٤ عددا من المستشارين السوفيت من العسكريين والمدنيين كانت لهم السيطرة الكاملة على مجريات الأمور فى البلاد ، وكانت سلطات الوالى الصينى سلطات اسمية .

واستعانت الحكومة السوفيتية بعدد من التركستانيين الذين تلقوا العلم فى روسيا وتشبعوا بالمبادىء الشيوعية نذكر منهم .

منصور افندى ، سيد حاجى ، هاشم حاجى ، قادر حاجى ، وعين سيد حاجى رئيسيا لمؤسسة « ج.ب.او » التى كانت على غرار الجستابو فى المانيا النازية وكان يتولى تحرير الجرائد ، ووظائف التدريس فى المدارس المتوسطة والعالية الشيوعيون من عملاء الاتحاد السوفيتى فى محاولة لنشر الشيوعيين على نطاق واسع فى هذا البلد المسلم (١) .

ثورة ١٩٣٦ :

كان لسياسة الارهاب التى اتبعها الاستعمار السوفيتى - الصينى اثرها فى نشوب ثورة ١٩٣٦ ، التى قادها الياس خان ، سلطان شريف ، حسين تايحى ، نور على ، وقبل استكمال هؤلاء الثوار استعدادتهم قضى على الثورة واضطر الوف الثوار الى مغادرة البلاد والهجرة الى مقاطعة قانصو الصينية ، وتعقبتهم المقاتلات الجوية السوفيتية ، وتكبد المسلمون خسائر جسيمة ، وكان عدد النازحين الى الهند ٤٥٠٠ مسلم بقيادة الياس خان لم يصل منهم سالما سوى ٨٠٠ شخص فقط ، والباقون لقوا حتفهم من الجوع والبرد والأوبئة (٢) .

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ثورة ١٩٣٧ :

قامت ثورة اخرى فى عام ١٩٣٧ قادها الجنرال « عبد النياز » فى « باركند » وكان هدفها تحرير البلاد من الاستعمار الصينى - السوفيتى وقد انضم اليها آلاف المسلمين الناقمين على سياسة الاحتلال وقد ساندت الحكومة السوفيتية مرة اخرى الوالى الصينى لمجابهة الثورة ، فارسلت ٣٠ الف جندى روسى ، تعززهم ٢٠ طائرة ، ١١ سيارة مصفحة ، ٣٠ دبابة ، ٥٠ سيارة نقل .

وقد انتهت الثورة وقبض على الجنرال عبد النيار » الذى لقى حتفه على ايدى الشيوعيين السوفيت بعد مذبحة رهيبة فى المدن التى ساندت الثورة ، كما اعدم عدد كبير من المدنيين الذين لم يشتركوا فى الثورة ، وتعرضت المدن الاسلامية للنهب والسلب واحرقت بعض المساجد على ايدى القوات الشيوعية .

ثورة عثمان باتور :

لم تتمكن روسيا بكل وسائلها ، من القضاء على الثورات الاسلامية فى تركستان الشرقية ، لذلك لم تهدأ هذه الثورات فى أى وقت ، وقد نشبت فى عام ١٩٤٠ ثورة اسلامية فى مقاطعة آلتاى الغنية باليورانيوم وغيره من المعادن ، وقائد هذه الثورة « البطل عثمان باتور » وقد استمرت ٤ سنوات على الرغم من الجهود السوفيتية للقضاء عليها ، لكن الثوار لجأوا الى حرب عصابات تطارد القوات المحتلة من مكان الى آخر حتى أصبحوا يعيشون فى رعب دائم الى ان كانت ثورة ١٩٤٢ بعد ان قام الشيوعيون بحملة شرسة على المسلمين هناك ، فقتلوا الآلاف وسجنوا أعداد هائلة ، وسلطوا على الشعب المسلم انتقامهم فقام الشعب بثورته الجديدة التى اتخذت شكل الحرب النظامية (١) .

---

(١) عيسى يوسف ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

قوات المسلمين تهاجم العاصمة اورومجى :

اخذت قوات المسلمين بقيادة عثمان باتور تكيل الضربات للقوات السوفيتية والصينية فى تركستان الشرقية ، وتتقدم فى مواقع مختلفة حتى اصبحت على ابواب العاصمة ، والحقت بالقوات الشيوعية خسائر جسيمة وقد اضطر السوفيت الى الانسحاب للدفاع عن ستالينجراد ضد الهجمات الالمانية ، ولانقاذ البقية الباقية من قواتهم ، كما ان خلافا شديدا وقع بين السوفيت والوالى الصينى الذى استنجد بحكومة كاى شيك ، ثم طرد فى اوائل عام ١٩٤٣ الجنود الروس الموجودين فى البلاد ، وكذلك كل العمال والخبراء الروس ثم احتلت القوات الصينية المجهزة باحدث الاسلحة تركستان من جديد .

وهناك عدة عوامل ادت الى انهاء الوجود السوفيتى فى تركستان الشرقية :

اولا : ثورة الشعب المسلم التى قادها عثمان باتور والخسائر الفادحة التى لحقت السوفيت .

ثانيا : التغيير الذى حدث فى موقف حاكم تركستان الجنرال شين ـ شى ـ تساى » والذى اتى به الروس الى الحكم ، وذلك بعد ان راى تقدم القوات الالمانية النازية فى الاراضى السوفيتية (١) .

وبعد هذه الضربة المؤلمة والموجعة التى تلقاها السوفيت بعد انهاء الوجود السوفيت تماما من كل المرافق ومحاصرة القنصليات السوفيتية فى تركستان الشرقية ، وكذلك الوكالات التجارية ، وجهت حكومة شيك الصينية ضربتها للحاكم الصينى وابعدته عن منصبه وعينت مكانه صينيا متعصبا هو « او جونج شين » .

مساوىء الاحتلال الشيوعى السوفيتى فى تركستان الشرقية :

بعد انهاء الاحتلال ظهرت على السطح حقائق غريبة كانت

---

(١) سعيد اسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

مختفية تحت وطأة الاحتلال فقد ظهرت من السجلات التى تركهـا المحتلون ان هناك عائلات تركستانية مسلمة قد اختفت تماما ، كما بلغ عدد المعتقلين فى معسكرات الاعتقال ٣٠٠ الف مسلم واعدم فى تلك الفترة من ١٩٣٤ وحتى ١٩٤٣ مائة الف بوسائل بربرية وتعتبر هذه الارقام كبيرة ومخيفة اذا علمنا بأن تعداد تركستان فى هذا الوقت كان ثمانية ملايين تقريبـا .

ـ روى المعتقلون الذين افرج عنهم بعد انسحاب السوفيت قصصا رهيبة عن التعذيب الوحشى الذى تعرضوا له فى معسكر الاعتقـال وكانت الصور التى رسمت لهذه الاعمال مما تقشـعر لهوله الابدان وتكاد تنفطر من فظاعتها القلوب .

وقد عثر على جثتين فى احدى المنـاجم المملوءة بالغـازات الخانقة . تبين فيما بعد انهما للسيد خوجة نيـاز رئيس جمهورية تركستان السابق ، والجنرال شريف خان احد قواده .

ـ حدث نتيجة للامطار الشديدة ان انهارت عمارة كانت تشغلها ادارة (ج.ب.او) والتى كان الروس يعتمدون عليهـا فى البطش بخصومهم وقد وجد تحت انقاض العمارة المتهدمة هياكل بشرية بلغت ٣٥٠٠ هيكل ، مما يدل على انه كان يوجد تحت البناء المتهدم سجن كبير لافراد الشعب ، وان هؤلاء لقوا حتفهم دون ان يشعر بهم احد ، او حتى يفتح لهم الأبواب (١) .

سياسة الحاكم الصينى الجديد :

لم تكن القوات الصـينية الانتحـارية التى بعثت بها حكومة « كاى شيك » الى تركسـتان الشرقية بأقل وحشـية من القوات السوفيتية ، وقد واجه المسلمون هـذه القوات محتسـبين وغرقت الارض فى طوفان من دماء المسلمين فى تركستان الشرقية ، وتاكـد بكل الادلة ان الاستعمار هو الاستعمار لا فرق بين سوفيتى او صينى .

---

(١) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١١٨ ، محمود بيومى ، سابق ، ص ٤٧.

وقد اعلن الحاكم الصينى الجديد برنامجه لحكم هذه المنطقة الاسلامية ويتضمن (١) :

١ - بقاء شعب تركستان الشرقية ضمن الامبراطورية الصينية الى الأبد ، فهو شعب لا يختلف عن الشعب الصينى فى شىء وهو قبيلة منه .

٢ - الفروق اللغوية بين التركستانيين والصينيين انما هى نتيجة لبعد الصين عن اخوانهم فى تركستان فترة طويلة ويلزم تعليم الشعب التركستانى اللغة الصينية للتعبير عن مشاعر الاخوة بينها .

٣ - تزويج الصينيين بالتركستانيات لزيادة القرابة والمودة والمحبة بين الشعبين .

٤ - ضرورة هجرة الكثيرين من الصينيين ، حيث ان تركستان بلاد واسعة ، وعدد سكانها قليل جدا ، وهى فى حاجة الى اعداد كبيرة من الصينيين .

وقد بدا الحاكم الجديد خطته لتنفيذ هذا البرنامج ، فغير جميع المؤسسات المدرسية ، ومناهج التعليم لتتفق مع النظم الموجودة بالصين ، واعلن ان اللغة الرسمية للبلاد هى الصينية وهى لغة التعليم فى كل المراحل .

كذلك عمل على ابعاد الاشخاص المثقفين من دوائر التعليم واسناد هذه الوظائف الى عملاء الحكومة والمتعصبين منهم .

- فتح الابواب واسعة امام الهجرة الصينية الى تركستان - واعطاهم اخصب الاراضى فى البلاد .

- استغل بعض ضعاف النفوس ، واسند اليهم مناصب هامة وحيوية ليستعين بهم فى فترة حكمه .

---

(١) عيسى يوسف ، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

- أطلق سراح عدد كبير من المسجونين من اعوان حزب « الكومينتاج » - حزب الشعب الصينى - وابقى اعدادا كبيرة من الوطنيين المخلصين فى السجون .

- رفض السماح للتركستانيين المنفيين بالعودة الى بلادهم وخاصة المثقفين فى كل من الهند وافغانستان (١) .

ثورة « على خان تورة » فى ايلى :

تزايدت مظالم الحاكم الصينى فى تركستان وبدا المسلمون يعدون للثورة عليه بعد ان عمل على التخلص من الطبقات المثقفة فى تركستان واتبع سياسة الادماج والاستيطان واعتقل الكثيرين مما جعل اهالى . ايلى « يعجلون بالثورة لولا انهم كانو يخشون التدخل السوفيتى الشيوعى ومساندته للحاكم الصينى وقد ادرك السوفيت ذلك فتعهدوا لهم بعدم التدخل فى شئون تركستان ومساندتهم فى تحريرها من الاستعمار الصينى وحصولهم على استقلال وهى محاولة منهم للانتقام من الصين لطردها السوفيت من تركستان (٢) .

وكان قائد ثورة « ايلى » العالم الفاضل « على خان تورة » الذى اشعل الثورة فى نهاية عام ١٩٤٤ والحرب العالمية على وشك الانتهاء . وبعد معارك عنيفة استولى الوطنيون على مقاطعة (ايلى) واعلنت فى مطلع عام ١٩٤٥ تاسيس حكومة اسلامية فى تركستان الشرقية . وقد انضم الى الثوار القائد الكبير عثمان باطور الذى عين واليا على مقاطعة « آلتاى » بعد نجاح الثورة واستتباب الأمور. وساعد ذلك على الثوار المسلمين فى تحرير معظم اراضى تركستان بعد انسحاب القوات الصينية وتراجعها .

التدخل السوفيتى لوقف القتال :

تدخلت روسيا كوسيط بين الثوار المسلمين والحكومة الصينية

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) سعيد اسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

لتوقيع معاهدة صلح بينهما وتمكنت بالفعل وبعد مفاوضـــات جرت فى اورومجى عاصمة تركستان من التوقيع على معاهدة سياسية فى يناير ١٩٤٦ (١) .

وجاء فى المعـــاهدة :

١ ـ انسحاب القوات الصينية من المدن الرئيسية .

٢ ـ الاعتراف بالاستقلال الذاتى لتركستان الشرقية .

٣ ـ اجراء انتخابات لاختيار حكومة وطنية .

٤ ـ احلال الوطنيين فى الوظائف محل الصينيين .

٥ ـ ابقاء الجيش الوطنى للدفاع عن تركستان .

٦ ـ توكل امور الدفاع والخارجية الى الحـكومة المركزية فى بكين .

موقف السوفيت من الجمهورية الاسلامية :

بعد توقيع المعاهدة بين الجمهورية التركستانية والحـكومة الصينية خشى السوفيت قوة هذه الحكومة الاسلامية وانتقال عدواها الى تركستان الغربية ، فوضعوا خطة للاستيلاء على المقاطعات الثلاث « ايلى » ، « آلتاى » تشوشك » ورفض رئيس الجمهورية على خان التنازل عن هذه المقاطعات ورفض الوصاية الروسية على حكومته .

وبينما كان المسـلمون يستعدون للانتخابات وتشـــكيل حكومة وطنية تقدمت القوات السوفيتية لاحتلال هذه المقاطعات الغنية وفى نفس الوقت تم اختطاف السيد على خان رئيس الدولة وقبض على

---

(١) د. محمد على البار ، ج ١ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

كثير من اعوانه وثم تعين احمد خان الموالى لهم رئيسا على المقاطعات الثلاث تمهيدا لفصلها فصلا تاما عن تركستان الشرقية . وبررت روسيا اختفاء على خان بانه ذهب الى موسكو للاستشفاء (١) .

وبعد اجراء الانتخابات فى المقاطعات السبع المتبقية وعلى الرغم من التدخل الروسى فى شئون البلاد نجحت المجموعة الوطنية فى الحصول على الاغلبية .

الحكومة الوطنية برئاسة مسعود صبرى :

بعد اعلان نتائج الانتخابات وفوز الوطنيين ، تم تشكيل حكومة وطنية برئاسة مسعود صبرى الذى درس الطب فى تركيا وكان احد الشخصيات الاسلامية البارزة فى تركستان ، وعين فى الحكومة الوطنية عيسى يوسف ، محمد امين بوغرا ، عثمان باتور ، جاسم خان ، وكانت حكومة مختلطة ضمت ٢٥ شخصا منهم ١٤ من التركستانيين ، والباقون صينيين ـ منشوريين ـ مسلمين من الصين .

وكانت سياسة الحكومة الوطنية برئاسة مسعود صبرى تقوم على :

١ ـ فصل جميع الأفراد ذوى الميول اليسارية من جميع الدوائر الحكومية وتعيين مسلمين وطنيين مكانهم .

٢ ـ عزل المسئولين عن تحرير جريدة سينكيانج ومعظمهم من اليساريين واعادة رئيس تحريرها القديم .

٣ ـ منع النشر والتدريس باللهجات المحلية التى اقرها السوفيت .

٤ ـ تدريس التاريخ التركى والاسلامى فى جميع المدارس(٢) .

٥ ـ تعديل مناهج التعليم .

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٢٥ .

٦ - انهاء الخلافات الداخلية التى اوجدها الاستعمار الصينى والسوفيتى ٠

رات روسيا ان هذه الحكومة الوطنية خطر عليها ، لانها ستدفع فى المستقبل مسلمو تركستان الغربية للمطالبة بالاستقلال ، كما ان قيام حكومة اسلامية فى تركستان سيكون عقبة امام استيلاء الشيوعيين على هذه المناطق وتحويلها الى دولة شيوعية ، من هنا بدات روسيا تعمل على اسقاط الحكومة الوطنية وتمكنت بواسطة عميلها برهان الدين شهيدى من توقيع معاهدة سرية مع الجنرال خانج جى جونج حاكم تركستان الشرقية الصينى الذى عزل من منصبه ٠

كذلك عزل مسعود صبرى عن منصبه وعين برهان شهيدى بدلا منه ٠

وقد بادرت قوات ماو تسى تونج الشيوعية تحت تاثير نصائح جانج الحاكم السابق بالتقدم لاحتلال تركستان قبل وقوعها فى قبضة السوفيت والغريب فى الامر ان قائد القوات الصينية فى تركستان سلمها دون مقاومة تذكر الى الشيوعيين مما يؤكد تواطؤه معهم بواسطة الاتحاد السوفيتى ٠

دور المسلمين فى الدفاع عن تركستان ضد السيطرة الشيوعية :

تحمل المسلمون وحدهم ومعهم جنرالات الجيش الصينى من اتباع « كاى شيك » المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الشيوعى ، ووقعت معارك بين المسلمين والشيوعيين ، وقدم السوفيت كل عون ومساعدة لقوات ماو تسى تونج ولكن على الرغم من المقاومة الباسلة سقطت تركستان الشرقية فى ايدى الشيوعيين لتبدا مرحلة جديدة فى تاريخ هذه البلاد الاسلامية ما تزال مستمرة حتى اليوم وتعتبر من اخطر المراحل واصعبها (١) ٠

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٧٦ ٠

المسلمون فى فرموزا (تايوان) :

سيطر الشيوعيون على السلطة فى الصين وتركستان وهرب كاى شيك فى حماية الاسطول الامريكى الى جزيرة « فرموزا » . وهى مستعمرة يابانية سابقة ولم تكن فى اى يوم جزءا من الصين ، واهلها لا ينتمون الى الجنس الصينى ويتميزون بلغتهم الخاصة .

وبعد قيام الحكم الشيوعى هاجر كثير من المسلمين الى فرموزا او « تايوان » لا سيما من تعاون منهم مع حكم كاى شيك ، ثم تزايد عددهم على اثر ما لاقوه من بداية تحول الصين الى المعسكر الشيوعى . وكان معظم اللاجئين الى تايوان من القادة والضباط والعلماء والمهندسين . خرجوا جميعا من مقاطعات الصين المختلفة(١) .

وقد وصل الاسلام الى جزيرة فرموزا على يد عدد من المسلمين الصينيين الذين هاجروا اليها من فوكيانج وتركستان الشرقية وكوانتونج وفيها اقاموا المساجد والمدارس الدينية حتى اذا احتل اليابانيون الجزر على اثر معارك عام ١٩٨٥ عمدوا الى القضاء على الصلة بين مسلمى الجزيرة وبين مسلمى الصين الكبرى ، وقد اسس المسلمون فى الجزيرة رابطة الشباب المسلم واهدافها الدعوة للاسلام وذلك بنشر المجلات الاسلامية وترجمة القرآن الكريم والكتب الاسلامية واذاعة المحاضرات الدينية .

وفى احصاء عام ١٨٩٥ كان عدد سكان الصين الوطنيين (تايوان) ستة ملايين والمسلمون من بينهم خمسون الف وعدد سكانها الآن يزيد عن العشرة ملايين ولا توجد احصاءات عن عدد المسلمين هناك ولكنهم يقتربون من المائة الف مسلم ولهم مساجدهم المتعددة وهم احسن حالا من المسلمين فى الصين الشيوعية (٢) .

---

(١) د. عبد الرحمن زكى : آسيا الاسلامية ، ١٩٥٩ النهضة ، ص ٨٤ ، بدر الدين ، سابق ، ص ١٥٥ .

(٢) محمد كمال حسين : انتشار الاسلام فى العالم ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١١٨ .

الفصل السادس

المسلمون فى الصين تحت السيطرة الشيوعية

١٩٤٩ ـ ١٩٧٦

قاوم المسلمون فى الصين ما وسعتهم المقاومة ـ باستثناء قلة منهم ـ التغلغل الشيوعى فى الصين واستشهد منهم الكثيرون فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ الصين ، ولم ينس لهم الشيوعيون ذلك بعد تسلمهم مقاليد الأمور فى البلاد ، فاضطهدتهم كما اضطهدت غيرهم من اهل الأديان الأخرى المنكرة للشيوعية ، وقامت بحملة قاسية وعنيفة تستهدف الافناء الكامل للمسلمين فى الصين فاعدمت الملايين ، وزجت بمئات الآلاف فى السجون ، وشردت كثيرين غيرهم ، واحلت اعداد هائلة من الصينيين الشيوعيين محلهم ، بغرض اذابة البقية الباقية من المسلمين فى المجتمع الشيوعى الصينى (١) .

ولسنا فى حاجة الى القول بأن البناء المادى للدولة الشيوعية قام اولا على حساب هدم جميع العقائد والقيم الروحية كما خطط اليهود لذلك بواسطة « ماركس » و « انجلز » (٢) ثم « لينين » ، وكما هى عادة الماركسيين فى تثبيت دعائم حكمهم ، لجأوا الى القوة والكبت وتكميم الافواه لكل المعارضين للسيطرة الشيوعية ، وعاش المسلمون فى الصين فترة حالكة السواد ، تناقص عددهم بصورة غير عادية فبعد ان كانوا باعتراف الحكومة الصينية ذاتها فى عام ١٩٤٧ خمسين مليونا ، اصبحوا الآن اقل من ذلك بكثير طبقا لما تعلنه الحكومة الشيوعية فى الصين ... ويمكن القول بأن المسلمين فى الصين بالنظر الى الزيادة العامة للسكان هناك يأتون فى المرتبة

---

(١) د. حسين مونس ، سابق ، ص ٧٣ ، د. محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) عبد الفتاح سعيد ، البعث الاسلامى . العدد الثانى من الجلد التاسع والعشرون ١ شوال ١٤٠٤ هـ .

الخامسة فى اعداد المسلمين فى العالم بعد اندونيسيا وبنجلاديش والهند وباكستان (١) .

وفى بداية الحكم الشيوعى فى الصين عام ١٩٤٩ اعلنوا قدرا من التسامح فى محاولة لتهدئة الموقف وامتصاص الغضب ، وتاجيل الضربة القاصمة الى وقت آخر ، بعد ان تهدأ الأمور ويسيطرون على الموقف تماما ، ويقضون على كل معارضة .

وقد اعلن الشيوعيون دستورا للبلاد نصت المادة الخامسة منه « ان الشعب فى جمهورية الصين الشعبية له حرية التفكير والقول والنشر والاجتماع والعقيدة الدينية وغيرها » .

وفى المادة التاسعة : « ان جميع القوميات فى الصين (الجماعات السلالية) لها حقوق وواجبات متساوية داخل جمهورية الصين الشعبية » .

وفى المادة الحادية والخمسين : « ان الحكم الذاتى المحلى سيكون نافذ المفعول فى المناطق التى تتجمع فيها اقليات القوميات » (٢) .

على ضوء هذه المواد الموجودة فى الدستور الصينى زعم البعض ان المسلمين هناك منحوا الحرية الدينية والمساواة فى الحقوق والحرية فى تنمية حياتهم الثقافية والتعليمية باعتبارهم اقلية من القوميات الصينية ، وان الحكومة الشيوعية قد وعدتهم بالحكم الذاتى ، لكنهم ثاروا ضدها واعلنوا عداءهم للشيوعية مما حرمهم من تنفيذ هذا الوعد . وستثبت الحقائق والوثائق ان هذا الزعم كان باطلا وان الحرية التى زعموها لم تستمر الا فترات محدودة وكانت نوعا من الخداع والتمويه فقط فمن المستحيل ان تتعايش الشيوعية مع الاسلام ، لأنها الحاد وبهتان ، والاسلام دين توحيد خالص ومهمة المسلمين كشف زيف الشيوعية ومواجهتها والتصدى لأباطيلها .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٦٥ .

(٢) فهمى هويدى ، العدد ٢٦٥ ، ص ٩٣ .

وقد حاول الشيوعيون فى الصين بعد انتصار ماو توسى تونج ودخوله بكين لتولى السلطة هناك رفع شعارات ومثاليات تحاول بها التمكين لنفسها وخداع الصينيين بما فيهم المسلمون . كما رات الحكومة الشيوعية ان تعاملها مع المسلمين فى الصين ينطلق من محاولتها تحسين علاقاتها بالعالم الاسلامى ، لاسيما وان الكثير من البلدان الاسلامية قد استقبلت باستياء بالغ قيام دولة شيوعية فى الصين واقلقها فى الوقت ذاته مصير الملايين من المسلمين فى تلك البلاد النائية .

لم يجرا الحكام الشيوعيون فى الصين منذ عام ١٩٤٩ على مهاجمة الدين الاسلامى صراحة ، ولكنهم شرعوا يهاجمون الفرق الدينية بطرق غير مباشرة وتمكنوا من تسديد البطشة الكبرى الى الفرق الدينية الضعيفة والمنعزلة ، واستخدموا ضدها سلاح الضغط الاقتصادى والاجتماعى والسخرية اللاذعة مشفوعة بالحملات الدعائية ضد الأديان عموما والاسلام بصفة خاصة (١) .

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر وهى ان الشيوعية فى الصين قامت بمساعدة الاتحاد السوفيتى وتاثرت به بعد ما وصل ماو تسى تونج وشواين لاى الى السلطة ، فقد اعلن قادة الانقلاب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى التسامح مع المسلمين وتاييدهم لتكوين دول اسلامية مستقلة لهم فى بخارى وسمرقند والقرم وغيرها من المناطق وقبل اقل من شهر من صدور البيان الشيوعى كانت الهجمات الشرسة وعمليات الابادة التى انتهت باحتلال كل هذه المناطق الاسلامية التى تشكل ٩/١٠ من مساحة الاتحاد السوفيتى الحالية ، وكان نفس الشىء فى الصين ، حيث تظاهر قادة الانقلاب الشيوعى بالتسامح مع المسلمين ، ثم انقلبوا عليهم واوقفوا انشطة الجمعيات الاسلامية ، وطاردوا المسلمين الذين تعاونوا مع نظام « كاى شيك » فى كل مكان وبداوا خطة مدبرة للقضاء على الاسلام .

ويؤكد هذا الاسلوب القائم على الخداع ما اعلنه ماو تسى تونج

---

(١) ابراهيم شيونغ ، سابق ، ص ٢٥ .

فى عام ١٩٤٠ « ان اى تسامح من الشيوعية حيال الدين ما هو الا امر مؤقت تمليه الضرورة » (١) .

ولم يكن اسلوب الخداع والتمويه بجديد على زعماء الانقلاب الشيوعى فى الصين ، فقد قامت الشيوعية اصلا على اساس الاحتيال على الشعوب باسم الاشتراكية تارة ، وتارة باسم الديمقراطية الشعبية ، وهم دائمو البحث عن النفوس الضعيفة لشرائها الى جانب ما يملكونه من السماسرة والماجورين فى كل مكان من بقاع العالم .. ينطلقون للبحث عن ضحاياهم تحت قناع المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية ، التى تعتبر ستارا زائفا ، تخفى وراءه حقيقتهم وهى الوحشية والاستبداد البربرى الذى لم يشهد التاريخ له مثيلا .. ولقد اتخذ الاستعمار الروسى ـ الصينى هذه الطريقة ، طريقة النفاق والكذب والخداع وسيلة لتنفيذ اغراضه الدنيئة الخبيثة ، وهى نشر المبادىء الشيوعية ، تمهيدا لاحداث الانقلاب الشيوعى العالمى ، وتاسيس الامبراطورية الروسية الصينية على سطح الكرة الأرضية ، وللوصول الى هذه الأهداف يتوسل الاستعمار الشيوعى بنظريتى الدفاع عن السلام ، وتحرير الشعوب من سيطرة الأجنبى ثم يتسلل بعد ذلك ويزحف ليصل الى الأعماق ، متخفيا فى ثياب الرهبان والتقوى والورع ، والوعود الخلابة والكلمات المعسولة لنشر الجواسيس والعملاء واستخدام القوة والعنف اذا احتاج الأمر ، وقد جاء على لسان ماركس : « فلنعتمد على العنف والخديعة والمكر ، اذا كان هناك امل يحقق رسالتنا الأولى ، وهى نشر الشيوعية حول العالم » (١).

الجمعية الاسلامية الصينية :

استدعت الحكومة الصينية الشيوعية بعض زعماء المسلمين المعروفين بالاعتدال فى الصين وممن لديهم الاستعداد للتعاون مع الحكومة الشعبية ، وطالبتهم بتشكيل جمعية تمثل مسلمى الصين ،

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ٢٥ .

(٢) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٨٧ .

وتتحدث باسمهم وتقدم مطالبهم للحكومة ووجهت الدعـــوة الى ٥٣ شخصية اسلامية من بينها سيف الدين من كبار المؤيدين والمتحمسين للشيوعية ، وبرهان الدين شهيدى حاكم تركستان الشرقية الواقعة تحت الاحتلال الصينى ، والشيخ ابراهيم اوبوشنج من شنغهاى ، ومحمد مكين من يونان ، والسيد تواضع يانج ، والسيد يانج تشونج من شمال الصين .

وبعد اجتمـاع تحضيرى عقـــد فى بكين ظهرت الى الوجـــود « الجمعية الاسلامية الصينية » كجمعية وحيدة ممثلة للمسلمين وقد شكلت ادارة الجمعية بتوجيه من السلطة الشيوعية فى الصين وكانت تهدف الى اقناع المسلمين بالوقوف وراء الحركة الشـــيوعية ، ووقف المعارضة التى اظهرها بعض المسلمين للنظام الشعبى ، وقدمت لزعماء الجمعية وعودا معسولة بتحقيق مستقبل طيب لمسلمى الصين ولهؤلاء الأعضاء بصفة خاصة (١) .

وقد اصدرت الجمعية مجلة باسم مسلمى الصين فى العام التالى لعقد اول مؤتمر للمسلمين فى الصين مايو ١٩٥٣ . كما تم انشاء معهد اسلامى تابع للجمعية فى عام ١٩٥٥ ولكن هذا المعهد مالبث ان اغلق بعد افتتاحه باربع سنوات وتوقف نشاط مجلة مسلمى الصين ايضا .

وقد اوفدت جمعية مسلمى الصين بعثة للحج عام ١٩٥٣ ولكن هذه البعثـة وصلت الى الباكســـتان فقط ولم تواصل رحلتها لعـــدم استطاعتها الحصول على تأشيرة دخول بســـبب عدم اعتراف المملكة العربية السعودية بالصين الشيوعية .

وبعد عام ١٩٥٥ ســـمح لبعض الصينيين بالحج كل عام ولكن الحكومة الشيوعية اوقفت بعثات الحج ، كما اوقفت البعثات التعليمية والمدارس التى كانت ملحقة بالمساجد وغير ذلك من الخطوات التى اتخذتها لمحاربة المسلمين فى الصين (٢) .

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

النشاط المريب لجمعية مسلمى الصين : -

كان من الواضح تماما ، ان هذه الجمعية انشئت لاغراض مشبوهة ، وقد بدأت عملها لتنفيذ رغبات الحكومة الشيوعية التى اشرنا اليها ، وتم انشاء كثير من المراكز قيل انها لرعاية شئون المسلمين فى الصين ، منها التعلمية ومنها الاجتماعية . بينما استغلت هذه المراكز للترويج للمبادىء الشيوعية فى صفوف المسلمين فى الصين .

والشىء الأخطر من كل هذا قيام اعضاء الجمعية بتاليف الكتب عن الاسلام وفقا للنظرية الماركسية ، وترجمة معانى القرآن الكريم وفقا لهذه النظرية الفاسدة ، واجبروا المسلمين على العمل بهذه التفسيرات المبنية على النظريات الشيوعية . وعلى سبيل المثال فسروا قوله تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » قالوا اولى الأمر هم الحكام الشيوعيون فى الصين ، وهم من اهل الصين لا من قوم غيرهم ومعنى اطيعوا الرسول اطاعة من جاء بالرسالة الشيوعية رحمة بالطبقة الكادحة .

ومن رفض هذه التفسيرات أو احتج عليها حرم من وسائل المعيشة ثم من الحياة ذاتها وكان الشيوعيون فى الصين يهدفون من هذه الجمعية :

١ - تقيد حركة المسلمين وتحديد نشاطهم ومراقبة كل افعالهم .

٢ - تقوية الدعاية للشيوعية فى البلدان الاسلامية بواسطة هذه الجمعية وقد ادت هذه الغاية التى انشئت من اجلها وهى توجيه المسلمين الى الفكرة التى تعمل الشيوعية على الترويج لها ثم المضى فى هذا السبيل بالدعاية فى البلدان الاسلامية عن طريق نشر مجموعة من الكتب والرسائل بالعربية والانجليزية والصينية عن نشاط المسلمين فى الصين واظهارهم بمظهر المتمتعين بالحرية الكاملة (١) .

---

(١) د. محمد السيد غلاب وآخرون ، سابق ، ص ٦٣٦ .

وكانت الجمعية تقدم معلومات مسبقه للوفود الاسلامية القادمة من مصر وسوريا والعراق وباكستان واندونيسيا وغيرها من الدول الاسلامية التى اعترفت بالصين الشيوعية واقامت علاقات معها ، كما دعيت بعض الشخصيات الرسمية والشعبية من تلك الدول لزيارة الصين والتعرف على احوال المسلمين فيها ، ثم تقدم لهم المعلومات غير الصحيحة عن احوالهم وتعود هذه الوفود تشيد بالحرية الدينية والتسامح الذى يلقاه المسلمون فى الصين وان مساجد المسلمين عامرة بالمصلين اكثر مما كانت عليه قبل الحكم الشيوعى وقد خدع الشيخ احمد حسن الباقورى وزير الأوقاف فى مصر بهذه الدعاية عن غير قصد عندما زار الصين واعلن فى تصريح له « ان السلطة الحاكمة فى الصين الشعبية تمنح المسلمين قدرا كبيرا من الحرية فى العقيدة والعمل والعبادة (١) ·

- وكانت الخطوة التالية للسلطات الشيوعية الصينية لافناء المسلمين هناك هى محاولة عزلهم وحصرهم فى مناطق الخاصة بهم تحت عنوان براق هو ما عرف بالحكم الذاتى للاقليات والهدف الحقيقى ان يعيشوا متباعدين متفرقين حتى لا يتجمعوا ويتكتلوا لمقاومة الحكم الشيوعى ·

وفى هذا المجال اعلن الشيوعيون انهم يعترفون بعشر قوميات اسلامية هى :

١ - قبائل شعب العنصر الاسلامى (الهوى) وهم الصينيون بالجيش والذين اختلطوا بغيرهم ·

٢ - يوور ·

٣ - الكزخ ·

٤ - الكرقز وكلها من اصل تركى ·

---

(١) بدر الدين ٠٠ ، سابق ، ص ١٥٨ ·

٥ - التاجيك (من اصول فارسية) .

٦ - ثاوسان .

٧ - سالر (مهاجرين من سمرقند) .

٨ - اوزبك .

٩ - التتر .

١٠ - يوآن (التبت) .

ولوحظ بان الشيوعين فى الصين لم يعترفوا الا بهذه القوميات الاسلامية العشر واعلنوا بعد حصر هذه القوميات ان المسلمين بلغوا عشرة ملايين . وقد رأينا ان آخر احصاء للمسلمين قبل الحكم الشيوعى كان ٥٠ مليونا وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان اعدادا هائلة من المسلمين قد لقيت حتفها على ايدى الشيوعين عن طريق التقيل او التشريد او ابعادهم الى اماكن مجهولة ، يرمون بذلك الى تقليل اهميتهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا كما انها تجاهلت مناطق اسلامية كانت بها اعداد هائلة من المسلمين مثل سيشوان ، كوان ، هوتان - كنيانسو ، شانج قونج ، شانى وغيرها . واما المناطق التى حكمت حكما ذاتيا فلم تستمر طويلا حتى زالت من الوجود (١) .

وهناك نسبة من المسلمين امام الضغوط الشيوعية ومظالم الحكم الشيوعى تخفى عقيدتها وتكتب فى استمارة الاحصاء بانها لا تنتمى الى اى دين او يكتب كلمة شيوعى .

والذين تحدوا السلطات واعلنوا عن انفسهم وملأوا خانة الاحصاء بانهم مسلمون بلغوا عشر ملايين (٢) .

---

(١) محمود شاكر وآخرون ، ص ٦٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٣٦ ، ابراهيم شيونغ ، سابق ، ص ١٦ .

- ومن وسائل محاربة الاسلام فى الصين ما قامت به الحكومة الشيوعية من تعين سكرتير شيوعى لكل مسجد مهمته مراقبة المسلمين ووضع تقارير مفصلة عن نشاط المسجد وما يقال فيه ثم اصبح ينظم المحاضرات عن الشيوعية لتلقى فى المساجد ولما وجدوا اعراضا من المسلمين لجأوا الى الوسيلة الثانية وهى اغلاق المساجد فى الصين أو تحويلها الى اغراض اخرى غير العبادة .

- وضعت الحكومة الشيوعية يدها على الأوقاف الاسلامية ولم يعد للمساجد او المدارس الاسلامية مصدر للدخل ، فقد كانت الأوقاف هى المصدر الوحيد ، فتركها القائمون عليها ليضربوا فى الأرض يبتغون من فضل الله وتوقف عمل هذه المساجد والمدارس وانتهى دورها فى الحياة الاجتماعية للمسلمين فى الصين (١) .

وقد خفف الشيوعون من قبضتهم على المناطق الاسلامية بعض الشىء بعد مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ لاسيما وان الصين كانت تزعم بانها رافعة لواء التعايش السلمى . ثم عادوا مرة اخرى منذ منتصف ١٩٥٧ ليفرضوا قيودا مشددة ضد المسلمين فى الصين .

ولم تكتف السلطات الشيوعية بهذه الاجراءات ولكنها زجت بآلاف المسلمين فى السجون بحجة انهم كانوا من المتعاونين مع الجنرال حسين يوفان ما ، والزمت الكثيرين من علماء المسلمين وائمتهم بحضور مؤتمرات الحزب الشيوعى . واعلان تأييدهم لسياسة الدولة .

التسجيل والمحاكمات :

شن الشيوعيون بعد استيلائهم على السلطة «حملات اصلاحية» عرفت فى هذا الوقت « بالتسجيلات » كانت اشبه بالمجازر ، حيث حوكم الكثيرون بتهمة الرجعية ، وانهم من بقايا المجتمع الاقطاعى ، ومن اعداء الشعب الى آخر تلك القائمة من التهم التى كانت تكال

---

(١) بدر الدين ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ .

لكل المشتبه فيهم او الذين ابدوا قدرا من المعارضة ومن هؤلاء الـذين حوكموا بهذه التهم السيد « سن فوانغ بى » ناظر احدى المدارس الابتدائية والسكرتير الثقافى السابق لجمعية تشجيع الاسلام حوكم لمدة أسبوعين ، واهين اثناء المحاكمة وعذب ، وفى النهاية حـكم عليه بالاشغال الشاقة .. وفى شنغاى قبضـوا على « سن فوانغ » وفى اثناء المحاكمات كانوا يسـجلونه ويعذبونه حتى شلت قدماه وانسلخ جلده .

وفى مقاطعة هونان ، قبضوا على السـيد « باى جى لان » وكان شيخا طاعنا فى السن ، اتهمة الشيوعيون بانه عدو للشعب لأنه كان صديقا للقائد الوطنى المسلم هاجى قانغ ، وانه يؤدى الصـلاة فى اوقاتها . وقد حكم عليه كذلك بالأشغال الشاقة . فضرب واهين وعذب حتى صار اقرب الى الموت منه الى الحياة .

وهكذا ذهب آلاف المسلمين ضحايا المرحلة الأولى من الحملة الشيوعية للقضاء على الاسلام فى الصين الشيوعية (١) .

سـندات الحكومة :

اصدرت الحكومة فى عام ١٩٥٠ سندات قيل انها للمساهمة فى حل الأزمة الاقتصادية التى واجهتها الصين فى السنوات الأولى . وكانوا يلزمون المسلمين ، حتى الفقراء منهم على شراء هـذه السندات والا عوقبوا بالسجن والأشغال الشاقة حتى لم يعد هناك من يملك شيئا حتى حياته ذاتها .

وفى نفس الوقت بدا الشيوعيون حملة اخرى أطلقوا عليهـا « الحملة الاصلاحية الديموقراطية » واعلنوا أن هدفها التخلص من الاقطاعين والرجعيين والموالين للمستعمرين » .

وما عاناه المسلمون خلال تلك الحملة شىء لا يصدق فقد شملت

---

(١) شيونغ ، ماذا حدث ... ، ص ٣٣ .

الحملة المسلمين فى كل مكان من الصين ولم تقتصر على المسلمين وحدهم بل شملت كبار الملاك الصينين ايضـــا ولكن تاثـيرها على المسلمين كان خطيرا وضحاياها من المسلمين كانوا بضعة آلاف فى السنوات الأولى . ومن الأمثـــلة على ماعاناه المسلمون ما وقع فى مقاطعة خانسو الشيخ « ما منغ جى » البالغ من العمر ٧٠ عاما ، وهو مسلم لديه بعض الاملاك التى كونها بكسب يده ومن تجارته التى كانت تدر عليه ربحا معقولا ، وبعد ان علم بالفظائع التى ترتكب ضد أصحاب الأملاك تقدم من تلقاء نفسه ومعه كل ما يملكه لينقذ نفسه واسرته من المصير الذى ينتظرهم . وقد امتدحه الشيوعيون ووصفوه بانه « ملاك تقدمى » وعلى الرغم من ذلك حـكم عليه بالأشـــغال الشاقة ، وعين لجمع سته براميل من اقذار الشارع يوميا فى مساحة ٣ أميال . وتحديد الثلاثة اميال لم يكن احسانا له او شفقة عليه ولكن كان بهدف منعه من جمع الكمية المحددة له فيكون جـــزاؤه الضرب والتعذيب ولم تشفع له شيخوخته وضعفه ، فكان يتعثر بسلاله فى الشوارع ، فلا يتوقف عن العمل من الصباح الى المساء . ولم يرحموه لكبر سنه ، فهم يعتبرون الطاعنين فى السن اشخاصا لا فائدة منهم ، وادوات تخريب فى المجتمع ! اذ انه «لا عمل ، ولا طعام» كان القانون الذى طبقته الشيوعية فى الصين وغيرها . ولم يكتف الشـيوعيون بهذا مع الشيخ « مامنع جى » بل حلت بعائلته المصائب تباعا ، فقد حكم على ابنه بالأشغال الشاقة لمدة ١٢ ســنة بحجة انه ابن احـــد الرجعين (١) .

وهناك الجنرال المسلم « ما يوان » من خانسو وكان مريضا فى السبعين من عمره وهو احد القواد المسلمين الذين حاربوا ضـــد الشيوعية بشجاعة منقطعة النظير فى عام ١٩٣٥ ، لذلك اعتبروه عدوا لهم ، فنظموا له « محاكمة صورية » وطافوا به فى الشوارع مقيدا من يديه امام اعين الناس واذاقوه التعذيب والهوان (٢) .

كما اعدم كثير من المسلمين فى هذا الحملة من بينهم الجنرال

---

(١) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ١٥ .

(٢) ابراهيم شيونغ ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .

جى فانغ قائد فرقة الفرسان برئاسة الجنرال حسين مايوفان وقد اتهم بانتمائه الى طبقة الراسمالية واللصوص ولم يسمح بالصلاة عليه فى المسجد ، ودفن بعد ان تبرع المسلمون لشراء كفن له وقد جمع التبرعات التاجر المسلم « ماكين جى » فقبض عليه هو الآخر واعدم بتهمة العطف على الرجعيين (١) .

اغلاق المساجد فى الصين :

بلغ عدد المساجد فى الصين قبل الحكم الشيوعى اكثر من ٤٢ الف مسجد حسب احصاء الحكومة الصينية ذاتها ، لكن بعد مجيء الشيوعيين ظهرت حملة اعلامية ضخمة تبنتها الصحف الشيوعية بتوصية من الحكومة تتساءل عن جدوى ذلك العدد من المساجد المنتشرة بكثافة فى بعض المقاطعات ، ودعت الى استغلال مثل هذه المنشآت . وتوظيفها توظيفا اقتصاديا ملائما ، وضمت المساجد الى ملكية الدولة واهملت واغلقت وحول الكثير منها الى قاعات طعام وعنابر ومخازن بل واسطبلات وزرائب للخنازير وحول البعض الآخر منها الى ورش ومخازن ومحال تجارية .

اما المساجد القليلة التى لا تزال قائمة فانها للعرض على الأجانب فقط وتعرضت المقاطعات ذات الكثافة السكانية الى قدر متزايد من هذه الاجراءات .

الحملة الشيوعية على علماء المسلمين فى الصين :

بعد ان تحولت المساجد والمدارس التابعة لها الى ملكية الدولة اصبح على ائمة المساجد العمل ليل نهار للحصول على القوت الضرورى لحياتهم ، واعتقل الكثيرون منهم الى السجون وعذبوا تعذيبا شديدا ، والذين لم يسجنوا ضربوا فى الشوارع او اقتيدوا وسط تهليل الجماهير وسخريتهم وقد علقت على ظهورهم كلمات مثل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

الشياطين ، الاشباح الغيلان . وقام بهذه العمليات شـــباب الحرس الأحمر (١) .

ليس هذا فقط ، ولكن هؤلاء الشباب اقتحموا بيوت العماء ، واخذوا كل ما وجدوه من مصـــاحف وكتب ، واحرقوه علنـــا فى الشـــوارع ، بحجة ان هـــذه الكتب من بقـــايا الثقـــافة الرجعية والبورجوازية ، وبسبب هذه الأعمال الربربية فقد المسلمون مئـات من الكتب والمخطوطات النادرة ، وبسببها ايضا ظلت اعـداد كبيرة من علماء المسلمين فى الصين حبيسة البيوت اشهر طويلة خشـــية الخروج الى الشارع والتعرض للاهانة والسخرية ولكنهم لم يسلموا مع ذلك من المصير المؤلم ، فكانوا ينتزعون من منازلهم وتوجه اليهم الشتائم باعتبارهم رموزا للرجعية (٢) .

ومن الأمثلة التى توضح ما لحق بزعماء المسلمين فى الصين ما حدث فى مقاطعة هانان للعالم المسلم الامام « مايو يو سين » وكان قد بلغ من العمر حينذاك ٢٨ سنة ، فاحضره الشيوعيون للمحاكم ، وحاولوا ارغامه على افعال لم يرتكبها ومؤامرات لا علم له بهـــا ، وراحت الصينيات فى ثورة هستيرية ينتفن لحيته ، وضرب وجرح ، وعير بعدم تربية الخنازير ، فأرغم على السير خلف خنزير ، امعانا فى اهانته واذلاله ، ولما رفض الاعتراف اعملوا فيه ضربا حتى اوشك على الموت ولكن لم يفقد ايمانه بالله لحظة واحده ، وظـــل مصرا على الرفض فما كان منهم الا اختراع وسيلة للتعذيب للقضاء على ارادته بعملية تقشعر منها الابدان ، ولم يتمكنوا امام شجاعته من الوصول الى شىء فشوهوا جسده الى الأبد (٣) .

هكذا فعلت الشيوعية فى الصين بعلماء المسلمين وائمتهم دون

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : المسلمون فى مواجهـــة الزحف الاحمـــر ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ، فهمى هويدى ، ص ٩٨ .

(٢) د. على جريشة ، محمد شريف الزئبق ، أساليب الغزو الفـكرى ، ص ١٣١ .

(٣) شيونغ ، سابق ، ص ٣٥ .

ان نسمع ولو كلمة احتجاج او موقف اسلامى موحد امام هذا الطغيان والتجبر والسلوك غير الانسانى ٠

نظام الكوميونات ونتائجه المدمرة :

حددت الحكومة الشيوعية فى الصين المراحل الآتية للاصلاح الزراعى :

✓ المرحلة الأولى : وفيها قضى الشيوعيون على كل عدو محتمل فى مقاطعات الأرياف الواسعة مثل الملاكين والفلاحين الاغنياء وجمع الشيوعيون المال والطعام من الفلاحين والزموهم بالانضمام الى الجيش ٠

✓ المرحلة الثانية : وقد انتهت بالغاء المزارع الخاصة ووضع رقابة شديدة على دخل الفلاحين الفردى وبذلك منع الناس من الحصول على حاجاتهم اليومية ٠

✓ واما المرحلة الثالثة فهى التى انتهت بانشاء الكوميونات وهى اخطر المراحل على الاطلاق لانها دمرت نظام الأسرة عند المسلمين وحولت الصينيين الى قطيع من الأغنام يساقون الى الكوميونات التى وصفها البعض بانها نوع من « حدائق الحيوانات الآدمية » (١) ٠

✓ والكوميونات عبارة عن مستعمرات زراعية ـ صناعية اجتماعية شبه مستقلة وهى امتداد للمجمعات التعاونية للفلاحين والعمال والتى انشئت فى مرحلة متقدمه وكان يطبق على الجميع دون استثناء تشمل علماء المسلمين ، وشيوخهم ، ونساءهم ودفع بهؤلاء الى المزارع والمصانع فجأة ودون اى مقدمات ٠

وهو نظام عسكرى يفرض على جمع السكان كبيرهم وصغيرهم، ذكورهم واناثهم ، ان يعيشوا عيشة جماعية ، كما فى المخيمات

---

(١) عيسى يوسف : سابق ، ص ١٧٥ ٠

والمعسكرات ، حتى يعمل كل فرد فيها لصالح تلك الوحدة الزاما طالما يعيش فيها ، ونتيجة لذلك يجب على كل فرد من افراد الوحدة ان ياكل فى المطعم المشترك وينام فى عنـــابر مشتركة كجنود الجيش ليس هذا فقط بل كل فرد ينضم الى الكوميونات اصبح لا يحتاج الى بيت او منزل خاص له ، وكل ما قد امتلكه من عقارات واملاك اصبح جزءا من ممتلكات الكوميونات التى يعيش فيها .

وهنا كان من الصعب على المسلم ان يقـوم بواجباته الدينية الضرورية ، وتحقيق القدر المطلوب من الحـرية الشخصية ، فكان لا يستطيع النوم وقتا كافيا بعد الاشغال الشاقة الطويلة من اجـــل الانتاج وزيادة المحاصيل الزراعية . والاستعداد « للقفزة الكبرى الى الامام » كما اطلقوا عليها (١) .

وقد ادرك المسلمون بعد ان فرض عليهم هذا النظام ، بالاضافة الى انهم مكرهون على قبول الزواج المختلط ، والتعود على اكل لحوم الخنازير فى الكوميونات ، والمعيشة فى وحدات الكوميونات كغيرهم، كما كان هذا النظـام المشئوم يمنعهم من تادية شعائرهم الدينية ، وبصفة عامة يعيشون حياتهم كسائر الشيوعين فى المعسكر .

ويقول بعض المتخصصين فى الشئون الصينية د. « كان شمار » الذى قضى مدة من الوقت فى الصين الشيوعية « قضى الشيوعيون على نظام الأسرة تماما بحيث يمكن وصف الكوميونات بأنها « نوع من حدائق الحيوانات » والشيوعيون لا يبغون القضاء على نظـــام الأسرة فقط ، بل على الدين كذلك ويهدفون الى احكام قبضتهم على اعناق الشعب بالماركسية ـ اللينية الالحادية .

ومن اسوا ما قاموا للقضاء على العلاقات الأسرية المتينة التى كانت تميز الأسرة المسلمة فى الصين . فقد نظم الشيوعيون معسكرات للأطفـــال يعدونهم فيهـــا اعدادا شـيوعيا صرفا ، ويربونهم على التجسس على عائلاتهم ، وابلاغ المسئولين الشيوعيين عما يتحدثون به

---

(١) ستونغ ، سابق ، ص ٤٦ .

فى السياسة وفى كل شىء . واما المراهقون فقد دربوا كذلك على اتهام آبائهم فى « المحاكمات العلنية » وجميع الأطفال والمراهقين يعيشون ويأكلون فى مدارس الكوميون ولذلك فليس للجيل الجديد من المسلمين اى حظ فى تعلم امور الدين الاسلامى وسط هذا الطغيان الشيوعى وقد اكد بعض مسلمى الصين الذين فروا الى «هونج كونج» ان الصراع بين النظام الشيوعى فى الصين والمسلمين قد ازداد حدة بادخال نظام الكوميونات الشعبية الذى قضى على التقاليد الاسلامية، وشرعوا فى نبش القبور لزيادة الانتـــاج الزراعى واصبحت جثث الأموات من المسلمين تحرق لتستخدم سمادا للأرض (١) .

حملة الاصلاح فى دين الاسلام :

لم تكتف السلطات الشـيوعية فى الصـــين بكل الجرائم التى ارتكبتها فلجات الى القيام بحملة اخرى اطلق عليها اسم « الاصلاح فى دين الاسلام » وفقا للتعليمات الصادرة من القيادة الشيوعية فى يناير ١٩٥٩ ، الى جميع مناطق الحكم الذاتى للمسلمين ان يتبعوا التوجيهات الآتية :

١ ـ ترك القيود او الشروط الدينية المتعلق بالزواج لكى يتمكن المسلمون وغير المسلمين انيتعاقدوا زواجا مختلطا بهدف توليد جيل جديد ينسى تلك العادات والتقـــاليد التى كانت رائجة بين المسلمين منذ قرون وذلك فى سبيل اكتمـال الدولة الشيوعية القـــائمة على النظريات الماركسية (٢) .

٢ ـ ضرورة التعود على اكل لحوم الخنازير ، وترك القيـود الدينية تدريجيا لكى يتعايشوا مع غيرهم (اى اغلبية سكان الصين) تعايشا اكثر تفاهما وتقاربا ، كما ان الدولة محتاجة الى الأبقـــار التى تذبح للعمل فى الحقول .

٣ ـ نظرا لأن عادة لف الموتى وتكفينهم بالقماش الأبيض عادة

---

(١) بدر الدين ، المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٢) د. محمد على البار ، ج ١ ، سابق ، ص ٢٦٤ .

برجوازية قديمة فعلى المسلمين ترك هذه العادة ودفن موتاهم كما يفعل كل الصينيين حتى لا تضيع هذه الكميات من الأقمشة البيضاء اللازمة لصناعة الملابس للأحياء (١) .

المسلمون فى الصين والثورة الثقافية :

كشف رئيس دائرة الشئون الدينية فى الصين عن سياسة الحكومة الشيوعية التى تهدف فى النهاية الى التخلص من الوجود الاسلامى بالصين بكل الطرق والوسائل واعلن ان الشئون الدينية لا يسمح بها فى الصين الا لخدمة الشيوعية فقط ، واذا كان المسلمون على استعداد لقبول هذه السياسة فعليهم أن يتاكدوا من ان الدين « افيون ضار » « وعقبه فى طريق تحرير الانسان الكامل » وان سياسة الحكومة الشعبية المقررة والثابتة هى القضاء على الأديان (٢) .

وفى عام ١٩٦٠ طالب الشيوعيون باجراء اصلاح موحد بين جميع طبقات الشعب الصينى دون تفرقة ، وهذا الاصلاح هو ما اسموه « توحيد عقائد افراد الشعب ، وتوحيد المأكل والمشرب ومراسم الزواج والتصرف بالموتى » .

وقد اصبح المسلمون بعد هذه الاجراءات فى حالة يرثى لها ، واصبحوا يخفون صلاتهم واصبحت اركان الاسلام الخمسة فى قائمة التحريم المحظور عند الشيوعين توجب العقاب واحيانا الاعدام .

وقبيل عام ١٩٦٦ كانت الصين كلها تعيش فى فراغ روحى ادى بها الى انتكاسة اخلاقية كان لها اثرها البالغ على الحياة الاجتماعية للمسلمين وغيرهم وبدلا من تفكير القيادة الشيوعية فى وسائل اصلاحية تحرر المواطنين من الديكتاتورية الشيوعية ، قامت بما

---

(١) فهمى هويدى ، العدد ٢٦٥ ، ص ٩٨ ، محى الدين القضمانى ، سابق ، ص ٩٦ .

(٢) محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦٥ .

عرف باسم « الثورة الثقافية » (١٩٦٦ - ١٩٧٦) (١) فاعلنت حكما ديكتاتوريا فوق الدكتاتورية القائمة ، وبطشت بالمثقفين واغلقت مساجد المسلمين وكنائس النصارى ومعابد البوزين والكاوين وغيرهم من الطوائف والنحل والمعتقدات التى كانت منتشرة فى الصين ، وضاعفت تكميم الأفواه ، وارسلت باعداد كبيرة من المثقفين والعلماء الى معسكرات العمل والسجون ولم يسلم من ذلك كبير او صغير .

وقد وجه الحزب الشيوعى فى بداية قيام الثورة الثقافية منشورا الى رجال الحرس الأحمر ونشرته صحيفة تمديات الصادرة فى هونج كونج - اكتوبر ١٩٦٦ وقد جاء فى هذا المنشور (٢).

« .. يا رجال الحرس الأحمر لا يمكننا ان ندع احدا من اعدائنا يهرب ، وعلينا من الآن فصاعدا ان نهاجم اكثر الأعداء تخفيا .. اى المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصين تحت قناع الدين المزعوم .. من الآن فصاعدا لا تسمحوا لهم بوضع قناعهم الدينى على وجوههم سنطردهم وندمرهم .

قولوا لهم (للمسلمين) .. من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تاكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب اكل لحوم الخنازير .. لا تضيعوا وقتكم فى الصلاة ولا تتكلموا اللغة العربية التى هى ضد الصينية .. ولن يسمح لكم بأن تقراوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن) .

ايها المسلمون .. دمروا جوامعكم .. حلوا المنظمات الاسلامية .. احرقوا القرآن .. القوا الحظر على الزواج المشترك .. كفوا عن الصلاة .. الغوا الختان .. ادرسوا افكار ماو .. اذا لم تندمجوا ستطردكم وندمركم ، يجب سحق جحور الجرذان الدينية وتدميرها .. فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى فليحيا الرئيس ماو (٣).

---

(١) عبد الفتاح سعيد ، سابق ، ص ٩٠ .
(٢) الغزالى ، الاسلام .. ، ص ٣٤ - ٣٥ .
(٣) د. على جريشه وآخر ، سابق ، ص ١٣١ .

هكذا بدات هذه الفوضى المسماة « بالثورة الثقافية » وسط جو هستيرى اعلامى ٠ وحملة مكثفة على الاديان جميعا وكل « الغيبات الموروثة من عصور الاقطاع والراسمالية » وداعية الى « القضـــاء على بورجوازية الفكر والتقـــاليد التى تقف حجر عثرة فى طريق التطبيق الاشتراكى ـ وكما كان للاسلام موقعه المتميز بين الأديان الأخرى فى الصين كان له نصيب متميز ـ بنفس القدر ـ من اجراءات التعسف وعمليات التشهير والتجريح حتى شكلت الثورة الثقافية منذ بدايتها « مجموعة ثورية » لمقاومة الاسلام تولت ترتيب واصدار كل الاجراءات ، وغير ذلك من الوسائل بطبيعة الحال ٠

واما عن ضحايا الثورة الثقافية فى الصين فقد قدروا ببضعة ملايين من المسلمين اهدرت دماؤهم رخيصة وتواطا العالم كله على اهدارها ، دون ان يرفع احد فى هـــذا العـــالم عقيرته بما يسمى بحقوق الانسان » (١) ٠

والشىء الذى يوســـف له كثيرا ان هـــذه المآس كانت تحدث للمسلمين فى الصـــين فى نفس الوقت الذى تزايدت فيـه علاقات الصداقة بينها وبين كثير من الدول العربية والاسلامية وما تزال هذه العلاقات قائمة حتى اليوم وما يزال المسلمون يعانون الشىء الكثير ٠

وقد مرت على المســـلمين ســـنوات الثورة الثقـــافية العشر (١٩٦٦ ـ ١٩٧٦) ثقيلة بطيئة مليئة بالمآسى والأحداث الجســـام اعدم خلالها الكثيرون واقتيد الكثيرون الى السجون وعذبوا تعذيبا شديدا والذين لم يسجنوا ٠٠ ضربوا فى الشوارع واهينوا كما الغيت عطلة عيد الأضحى وعيد الفطر « حتى لا يتعطل الانتاج » وكانت من الأعياد المعترف بها ، قبل الثورة الثقافية ، كما منع المسلمون من ارتداء ثيابهم القومية واجبروا على استخدام الثياب الزرقاء اللون ، كما جرت عمليات تضييق على المسلمين فى تقاليدهم وحياتهم الخاصة وكل من ايدى مقاومة لهذا النظام الاستبدادى الطاغى ، كان يلاقى اشد انواع التعذيب مثل قلع الأظافر ، وسلخ جلد الرأس والجسم ،

---

(١) د٠ عبد الحليم عويس : المسلمون فى معركة البقاء ، ص ١٣ ـ ١٤ ٠

وادخاله فى ثلاجات ، وضربه بالسياط السلكية حتى يتقطع لحمه ويتناثر (١) ٠

ومن مساوىء الثورة الثقافية اجبار المسلمين على تربية الخنازير واكل لحومها ومنعهم من الصيام والحج ومن وجد منهم يصلى فانه بذلك يكون قد خان تعاليم « ماو » الاله الجديد (كما يزعم الشيوعيون) وعليه فانه يواجه مزيدا من اعمال السخرة فان تكرر ذلك منه فانه يواجه التعذيب والسجن والموت فى احيان كثيرة وفى هستيرية بالغة وضع شباب الحرس الاحمر ملصقات فى كل مكان تنادى « الدين ضد العلم » « الدين افيون ضار » الاسلام اختراع اغنياء العرب » « الاسلام دين رجعى خرافى » « الاسلام فى خدمة الاستعمار » وغير ذلك من الملصقات التى امتلأت بها الشوارع وحوائط المصانع وفى كل مكان بالصين (٢) ٠

وقد تلاحقت الأحداث بسرعة فى منتصف السبعينات بدءا بمحاولات ماوكنج جماح الثورة الثقافية ، وحصار نشاطها بعد ان تزايدت أعداد الضحايا الى ان كانت نهاية ماو تسى تونج وموته فى عام ١٩٧٦ ، لتبدأ مرحلة الصراع على السلطة والتى انتهت « بسجن عصابة الأربعة » والاعلان عن طى صفحة الماضى وبدء مرحلة جديدة (٣) ٠

ويلاحظ ان مآسى ما سمى بالثورة الثقافية كان من الممكن ان تظل فى طى الكتمان لولا محاكمة تلك المجرمة الشمطاء زوجة « ماو تسى تونج » ومن معها والتى كشفت الكثير عن الأحداث الدموية التى وقعت فى تلك الفترة ٠ وقد نشرت بعض فضائح « ماو » ورفاقة فيما سمى بالثورة الثقافية بعد وفاته وكيف استخدموا احط الوسائل واكثرها بشاعة لاخضاع خصومه ، وكيف تسبب هذا النظام

---

(١) فهمى هويدى ، ٢٦٥ ، ص ٩٨ ، القضمانى ، سابق ، ص ٩٦ ٠

(٢) د٠ محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ٠

(٣) عبد الفتاح سعيد ، سابق ، ص ٩٠ ، عبد الحليم عويس ، ص ١٣ - ١٤ ٠

فى مجاعات مات فيها الملايين نتيجة لتخريب الزراعة فى الصين. ويمكن القول ان احوال المسلمين بعد عام ١٩٧٦ افضل مما كانت عليه ، حيث خفت فى الوقت الحاضر وسائل البطش والتدمير واعطى المسلمون بعض الحرية ، وسمح لهم بممارسة بعض الشعائر وان كانوا لا يزالون فى مرحلة المعاناة طالما استمرت الشيوعية فى الصين .

ثورات المسلمين ضد الحكم الشيوعى فى الصين ١٩٤٩ - ١٩٧٦ :

يتضح لنا من استعراض وسائل الشيوعية فى الصين للقضاء على الوجود الاسلامى استحالة التعايش بين الاسلام والشيوعية وان الصراع بينهما امر لا مفر منه ، فهو صراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الدين والالحاد . ومن الطبيعى ان الدين الاسلامى الذى تمتع أنصاره بالحرية فى الصين ما يزيد على الف عام على الرغم من تبدل الأسرات الحاكمة وتفاوت مواقفها من المسلمين سيقاوم بلا هواده اى محاولة للقضاء عليه .

وعلى الرغم من ندرة المعلومات التى نشرت عن مقاومة المسلمين وثوراتهم فى تلك الفترة الا انها تؤكد الارادة القوية للمسلمين وتصميمهم على الدفاع عن انفسهم ومقاومة الطغيان (١) .

وكانت البداية فى عام ١٩٤٩ عندما احتلت القوات الشيوعية مقاطعة « شنغاى » كانت فلول جيش الجنرال « حسين مايو فان » تقوم باضطرابات وثورات ضد السلطات الشيوعية ، وتحرض عامة الشعب على طرد الحزب الشيوعى والحكومة الشعبية وكان شعار هذه الجماعات المسلمة « قاوموا طغيان الشيوعية واقضوا على الهان » .

ولم تستمر هذه المقاومة طويلا ، حيث تمكنت القوات الشيوعية من القبض على الكثيرين منهم ، واعدامهم ، وايداع البعض منهم السجون .

وقد استمرت المقاومة بشدة فى عدد كبير من المقاطعات حيث

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ٦٤ - ٧٥

تألفت فرق مدربة تحت قيادة الجنرال « مافو شانغ » وفرق اخرى تحت قيادة عدد من القواد المسلمين البواسل الذين كانوا يعيدون تنظيم القوات الوطنية لمكافحة الشيوعية (١) .

وكانت التهم التى توجهها الحكومة الشيوعية للمسلمين المتعاونين مع هؤلاء القادة بانهم استغلوا الدين كشعار للتعاون مع « جواسيس المستعمرين » وحولوا المساجد الى مراكز نشاط ضد الثورة ، ونشروا انواعا مختلفة من الاشاعات ودبروا الثورات المنظمة ، وشجعوا الانتفاضات ضد الثورة ، وقاوموا الاشتراكية وحاولوا قلب الحكومة الشعبية ، وصاروا خطرا على سلامة الشعب والدولة وكثيرا ما وجهت هذه التهم للأبرياء حتى ممن لم يشتركوا فى الثورة ضد الشيوعين واعدم الآلاف من المسلمين بعد توجيه هذه التهم اليهم (٢) .

وقد نشرت جريدة الحرب الشيوعى فى شنغاى ان الشيوعين اعدموا اربعة من زعماء المسلمين فى اماكن بعيده من ولاية شنغاى بتهمة القيام باعمال معادية للثورة ، وان حركة مناهضة للثورة قام بها امام بلدة « قالون » « به على » الذى نظم اتباعه واتخذوا من المساجد قواعد رئيسة لحركاتهم ، ووصفوا بانهم اعداء الداء للحزب والثورة واعدم عدد كبير منهم فى عام ١٩٥٨ وفى مدينة « جى جاى بنغ » قاد المسلم « ما هيو تاد » و « يانغ جى يون » ٢٠ الف مسلم فى ثورة عارمة تمكنوا خلالها من طرد الشيوعين من مناطق مختلفة وقتلوا اكثر من ثلاثة آلاف شيوعى قبل ان يتمكن الشيوعيون من اخماد الثورة فى نهاية العام وقد استشهد عدد من زعماء المسلمين وأسر عدد آخر .

ومن زعماء المسلمين الذين قادوا الثورات الوطنية ضد الشيوعين فى الصين الامام « ما جيونغ وو » الذى قام عدة ثورات،

---

(١) بدر الدين ، سابق ، ص ٧٧ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٦٧ .

ووقف بصلابة ضد سياسة الحزب الشيوعى واعلن استخفافه واحتقاره للحكومة الشيوعية ، واعلن ان هدفه اقامة جمهورية اسـلامية فى منطقة « يتين سان » (١) .

وقد تمكنت الحكومة من محـاصرة قواته وقبض عليه وعلى عدد من اتباعه واعدم الكثيرون منهم ، كما قبض على بعض زعماء المسلمين فى تلك المنطقـة واتهموا بانهم شركاء « ما جونغ وو » ونقوا نفس المصير .

انضمام المسلمين الى ثورة التبت :

قام المسلمون فى المناطق الوسطى والشرقية من التبت بالانضمام الى سكان الولاية فى ثورتهم العارمة ضد حكومة الصين الشـيوعية وهاجم المسلمون الجنود الشيوعيين فى عدة مراكز من التبت وبعـد القضاء على الثورة صب الشيوعيون غضبهم على المسلمين لمشاركتهم فى الثورة فاحرقوا مسجد المدينة (مدينة لاسا) الذى ظل كالطود الشامخ طيلة خمسة قرون ودامت النيران مستعرة ثمانية ايام التهمت خلالها مخيمات وقرى المسلمين (٢) .

المسلمون فى مواجهة مساوىء الثورة الثقافية :

قام المسلمون فى « نيو كاى » احد الشوارع الرئيسية فى بكين والتى يسكنها عدد كبير من المسلمين بحركة ضـد مساوىء الثـورة الثقافية فى مارس ١٩٦٧ قادها جماعة من المسلمين المتحمسين والذين رفضوا التعاون مع الحكومة الصينية فى تنفيذ برامج الثورة وكان المنظمون لهـذه الحركة حسين يانج ، محمد مكين ، عبد الرحيم ماسونج وآخرون من وراء ستار ، وقد تجمع اكثر من ٤٠٠ مسلم وهاجموا مركز الشرطة فى نيو كاى وقبضوا على بعض الجنـود ،

---

(١) ابراهيم شيونغ ، مصدر سابق ، ص ٨٦ .

(٢) محمود شاكر وآخرون : الاقليات .. ، ص ٦٣٧ ، شيونغ ، ص ٨٩ .

وانزلوا بهم ضربا اليما ، كما طردوا الحرس الحمر من المساجد ومحلات المسلمين .

ويلاحظ ان عددا من قادة هذه الحركة كانوا ممن تعاون مع نظام الحكم الشيوعى فى البداية وانضموا الى جمعية الصين الاسلامية بايعاز من الحكومة ولكنهم بعد ذلك اتخذوا هذا الموقف الطيب بعد ان فاقت مظالم « ماو تسى تونج » كل حد ممكن .

واما ما حدث بعد ذلك فقد هبت القوات الشيوعية الى اماكن الثورة وحاصرتها وقبضت على عدد من زعمائها وقد توفى بعضهم فى الحبس بعد عمليات التعذيب التى تعرضوا لها (١) .

ويلاحظ على ثورات المسلمين انها كانت محدودة ، وانه لم يكن هناك تنسيق بينها وذلك راجع الى احكام الشوعين قبضتهم على المناطق الاسلامية ، ومحاصرة المسلمين بأعداد كثيرة من الصينين ، وعمليات الارهاب التى تعرض لها المسلمون منذ البداية وملايين المسلمين الذين قتلوا او شردوا او سجنوا .

ولكن على الرغم من ذلك مازال المسلمون يعيشون هناك فى محاولة مستمية للتمسك بعقيدتهم والدفاع عن وجودهم ، وما يحتاجه هؤلاء ليس التباكى على احوالهم ولكن مد يد العون لهم ، واسماع صوتهم للعالم كله ليعرف الجميع ان هؤلاء الملايين من المسلمين فى الصين يقاسون ابشع انواع التسلط والقهر وان تاريخهم فى حاجة الى الاهتمام به وتسجيله .

---

(١) محمود شاكر ، سابق ، ص ٦٣٧ .

الفصل السابع

تركستان الشرقية تحت السيطرة الصينية الشيوعية

١٩٤٩ - ١٩٧٦

سيطرت القوات الصينية الشيوعية على تركستان الشرقية فى مطلع عام (١٣٦٩ هـ / اكتوبر ١٩٤٩) بعد اعلان « تاوسى يو » قائد القوات التابعة لحكومة الصين الوطنية ، وبرهان شهيدى (الموالى للاتحاد السوفيتى) الاستسلام ، ودعوة القوات الشيوعية لاحتلال تركستان الشرقية (١) .

وقد ادرك المسلمون فى تركستان انهم يقبلون على فترة مظلمة تعيد الى اذهانهم فترة الحكم الشيوعى السوفيتى لبلادهم بكل ما صاحبها من مظالم ومآسى ، واجتمع زعماء المسلمين لمواجهة هذا الخطر المحدق ولم يعد امامهم سوى المقاومة والتضحية دفاعا عن دينهم ووطنهم وكان هذا اختيار الغالبية العظمى وعلى راسهم الجنرال « عثمان باتور » و « جاتم خان » وغيرهم من الزعماء . بينما اختارت جماعة أخرى من زعماء تركستان طريقا آخر ، حيث قررت الهجرة وابلاغ حكومات العالم اعتداء الصين الشيوعية على هذا البلد المسلم ودعوة هذه الدول الى مساندة الشعب التركستانى ، وكان على راس هؤلاء الزعماء « محمد امين بوغرا » نائب الحاكم العام لتركستان الشرقية ، وعيسى يوسف البب السكرتير العام لحكومة تركستان قبيل الاحتلال (٢) .

ويعتبر سقوط تركستان التى تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٤ ٪ ضربة قاصمة كان لها تاثيرها البالغ على اوضاع المسلمين فى شمال

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٧٩ .

(٢) د. محمد على البار ، سابق ، ص ٢٦٣ .

الصين الغربى الذين كانوا على اتصال وثيق باخوانهم فى اواسط آسيا وبلاد ما وراء النهر (١) .

معركة لانشو :

بايعاز من الحكومة الشيوعية الصينية وجه « برهان شهيدى » وبعض المتعاونين مع الحكم الشيوعى نداءا عاما الى مسلمى تركستان الشرقية جاء فيه .

« اذا اردتم سلامة الحياة فعليكم ترك (ستكيانج) فى اسرع وقت بحياتكم وزويكم ومن تريدون ان يرافقوكم ، مع ما تستطيعون حمله من امتعة شخصية عن طريق عبور جبال الهمالايا ، والا فعليكم بالقاء السلاح والخضوع للحكم الشيوعى والتعاون معه » .

وهذا البيان كان يهدف الى تفريغ تركستان الشرقية من سكانها تمهيدا لتحويلها الى منطقة شيوعية ينعم فيها الصينيون الذين يتم تهجيرهم اليها بخيرات البلاد تماما كما حدث فى فلسطين ، حين وجه بعض القادة العرب نداءات للفلسطينيين لاخلاء قراهم ومدنهم ، بهدف اتاحة الفرصة للقوات العربية التى دخلت فلسطين لتعمل بحرية ، وتوجه ضرباتها للعدو ، وكانت النتيجة بالطبع اخلاء مناطق باكملها من ساكنيها ، واحتلال اليهود لها بسهولة بعد ان حلت اكبر مشكلة كانت تنتظر اليهود حينذاك .

وفى تركستان الشرقية كان الوضع يختلف الى حد كبير ، حيث رفض قادة المسلمين فيها اخلاء مواقعهم ، وكان الجنرال المسلم « ما تشينج هيانج » اكثرهم تصميما على المقاومة وهدد باعدام « برهان شهيدى » وجماعات المتعاونين مع الحكم الشيوعى ولكن كان يخشى التدخل السوفيتى فى تركستان الشرقية ، وقد تمكنت القوات الصينية من هزيمته فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٩ فى معركة لاننشو بعد ان

---

(١) عيسى يوسف الب ، سابق ، ص ١٣٩ .

جاهد جهاد الابطال واستشهد من جنوده حوالى ٢٠ الف مسلم ، بينما لجأ مع عائلته الى هونج كونج (١) .

الجنرال عثمان باتور والمقاومة الشعبية فى تركستان الشرقية :

اعتصم الجنرال عثمان باتور حول منطقة باريكول ومعه عشرون الف من الوطنيين المخلصين الذين آثروا الموت على الفرار ، وصمموا على قتال القوات الشيوعية الى آخر لحظة فى حياتهم ، وكان عثمان باتور معروفا بشجاعة النادرة وبطولته الفذة . ولذلك حاولت الحكومة الشيوعية فى تركستان الشرقية تفادى الصدام به فارسلت وفدا من عملائها تحت رئاسة الماركسى « احمد تايجى » الى باريكول ليعرض على الوطنيين الكف عن القيام بأى هجوم على قوات حكومة الصين الشعبية ، وارسال وفد من قادتهم لعرض مطالبهم على المسئولين الصينيين وكانت المطالب التى قدمها الوفد الاسلامى الذى ارسله « باتور » تتضمن :-

١ - ضمان الحريات ، حرية العقيدة ، حرية الرأى ، حرية التنقل ... الخ .

٢ - الكف عن اعتقال الوطنيين التركستانيين ، المناهضين

٣ - وقف حركة مصادرة الممتلكات التى بدأتها السلطات الشيوعية ، عن الزج بهم فى السجون (٢) .

٤ - وقف حركة مصادرة الممتلكات التى بدأتها السلطات الشيوعية ، والتعهد بعدم فرض ضرائب باهظة على المواطنين .

وقد رفض الشيوعيون بالطبع هذه المطالب ولم يكن أمام الجنرال عثمان باتور وقواته غير الجهاد وتنظيم انفسهم لمواجهة مرحلة طويلة وشاقة ، فتم تشكيل حكومة اسلامية برئاسة « جانم خان » احد زعماء

---

(١) بدر الدين .. ، سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٨١ .

الكزخ (١) المسلمين وكان رئيسا للدائرة المالية فى تركستان الشرقية قبل الاحتلال الشيوعى ، كما عين عثمان باتور قائدا عاما للجيش وعين « يول يارسى » حاكما عاما لتركستان الشرقية (٢) .

القضاء على الثورة واستشهاد جانم خان وعثمان باتور :

استعد الشيوعيون للعمل قبل استفحال الحركة الوطنية وتقدمت قوات اجنبية وسوفيتية كبيرة مزودة باحدث انواع الاسلحة ، وحارب المسلمون بشجاعة وفدائية ، وكبدوا الصين والسوفيت خسائر كبيرة، حيث قتل فى « حامى » حوالى ٨٠٠ جندى وكان هناك اكثر من ١٦،٠٠٠ جندى شيوعى على شفا الهلاك ، لولا النجدة السوفيتية التى اشتملت على قوات ومدفعية ثقيلة ودبابات ، مما اضطر القوات التركستانية الى الانسحاب الى حدود تركستان وخانسو ومنغوليا(٣)

وفى كوشنغ تصدى « جانم خان » الذى انضم الى المقاومة الوطنية تحت قيادة « يول يارس خان » وحقق انتصارات باهرة فى حروبه مع الشيوعيين ، ولم يهزم الا بعد نفاد ذخيرته ، واستشهاد كثير من جنوده ، وتم اسره وعذب تعذيبا شديدا ، وطافوا به فى اسواق المدن وميادينها ، واخيرا اعدم فى نوفمبر ١٩٥٠ مع عدد من اخوانه المجاهدين (٤) .

وفى « ماخاى » وضع الطرفان كل قواتها وحارب المسلمون بقيادة عثمان باتور حرب الابطال وبعد معارك دامية هزمت القوات الاسلامية واسر قائدها الذى اعدم امام ٩٠١ الفا من المسلمين فى تركستان الشرقية فى ابريل عام ١٩٥١ ، واضطرت اعداد هائلة من

---

(١) تعنى كلمة « خزخ » رجل سيد لا مسود ويمثلون البدو من مسلمى الصين وتركستان الشرقية وكان معروفين بالباس والشدة والروح الاستقلالية النادرة .

(٢) ابراهيم شيونغ ، سابق ، ص ٥٨ .

(٣) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٨٣ .

(٤) ابراهيم شيونغ ، ص ٥٩ .

المسلمين بعد هذه المعارك الى مغادرة « شيتهاى » والتوجيه نحو « خانسو » وكان عددهم يقترب من ال ٤٠ الف ومعهم ما يقرب من مليون راس من الماشية ، والكثير من امتعتهم ، وفى طريقهم الى الى خانسو هاجمتهم الطائرات السوفيتية ، فلم يتمكن من الوصول الى خانسو سوى ١١ الف نفس مع عشرة آلاف راس من الماشية (١) .

وقد استمرت مطاردة الطائرات الشيوعية لهم حتى تناقص عددهم ولم يصل الى التبت سوى (٨٥٠٠) ، واغلقت امالهم ابواب التبت ، فنزحوا مرة اخرى الى كشمير فى ظل اوضاع مناخية قاسية، ولم يصل منهم بعد ذلك سوى (٣آلاف) مسلم اسكنوا مرة اخرى فى تركيا .

وفى السنوات التالية حاول ١٩ الفا من اقاربهم الفرار فلم يقدر لهم الوصول باستثناء اربعمائة فقط ولم يكن هذا الجهاد الرائع ، قاصرا على هؤلاء الابطال الذين اعتصموا بالجبال حول « باريكول » بل ان مدنا كثيرة اخرى قامت عن بكرة ابيها تقاتل الشيوعيين مثل « كوتشار » و « ايلى » الواقعة تحت النفوذ الروسى منذ عام (١٩٤٦) (٢) .

وهذه شهادة اوردها « جيوشن » وكيل وزارة الداخلية الصينى و « شاولى جي مين » السكرتير الثانى للحزب الشيوعى فى تركستان الشرقية من خلال تقرير لها الى الحكومة المركزية فى بكين تؤكد ان الشعب التركستانى جاهد بكل ما اوتى من قوة ، للحيلولة دون وقوع بلاده فى براثن الاستعمار الشيوعى . وتؤكد هذه الشهادة بان عدد المعارك التى خاضها الجيش الصينى فى عام ١٩٥٠ فقط ضد التركستانيين بلغت (٦٦) معركة وبلغ عدد الذين اعدموا فى نفس العام (٧٧٥٩) مسلما والمعتقلون (١٣٥٦٩) شخصا (٣) .

---

(١) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، سابق ، ص ٢٢ .

(٢) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٨٢ .

(٣) رابطة العالم الاسلامى ، نوفمبر سنة ١٩٨٤ .

سياسة الحكومة الشيوعية فى تركستان الشرقية :

اتخذت ادارة الاحتلال الشيوعى الصينى عدة اجراءات بعد احتلال تركستان شملت كل نواحى الحياة ، وقصدت منها تامين كل الخطوات التى تنوى استخدامها فى المستقبل وهذه الاوامر هى :

١ - تسجيل ممتلكات التركستانين من مال وعقارات ، وثروات مختلفة ومنعهم من التصرف فى هذه الممتلكات ، كما منعتهم من بيع المحاصيل ، وغير ذلك دون اذن مسبق من السلطات المختصة .

٢ - اجبار الشعب المسلم على ايداع ربحه اليومى فى بنك الحكومة يوميا ، ومنعه منعا باتا من الاحتفاظ باى قدر منه . وقد نتج عن هذا ان موظفى البنوك كانوا فى سبيل تحقيق هذا الامر يقتحمون اماكن العمل ويستولون بالقوة على الارباح ويودعونها فى البنك الحكومى .

٣ - جمعت السلطات الشيوعية كل سجلات شعب تركستان الشرقية ، وعمدت الى استخدام اصحاب الكلمة النافذة من بين المسلمين ، كالعلماء والوطنيين كما عمدت كذلك الى استخدام بعض الرجال الخبثاء وذوى السلوك السيء ثم عمدت الى التخلص من المجموعة الأولى ، وتسليط المجموعة الثانية على رقاب العباد . واتخذت بعض الخطوات الأخرى من بينها :

(أ) اختيار اخبث فرد من كل عائلة وتعينه رئيسا عليها ، ولم تراع فى هذا التعيين كونه كبيرا او صغيرا ، رجلا ، او امراة . وكانت مهمة هذا الرئيس المعين مراقبة افراد العائلة سواء فى احاديثهم اليومية ، او نشاطاتهم المختلفة . وتقديم المعلومات لمركز الشرطة عما فعله كل فرد فى عائلته يوميا ، ماذا اكل ، وماذا شرب وبمن اتصل وفى اى موضوع تحدث (١) .

---

(١) محمود بيومى : رابطة العالم الاسلامى ، سابق ، نوفمبر سنة ١٩٨٤ .

(ب) شكلت مجموعات اطلق عليها اسم « الاستماع » ومهمتها اخبار الشرطة عن نشاط المواطنين واحاديثهم ، وعن كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم .

(جـ) اجبار كل تركستانى شرقى على الذهاب الى مركز الشرطة مرة فى كل ثلاثة ايام وتقديم تقرير عن نشاطه خلال الثلاثة ايام الأولى ، وكذلك عن ثروته .

(د) اشترطت الحكومة على كل شخص مراجعة الشرطة قبل ذهابه لزيارة اى شخص آخر ، وان يخطر مركز الشرطة بمعلومات تفيد الدلالة على الاسرة التى يزمع زيارتها ، واعطاء بيانات عن سبب الزيارة (١) وفى اى وقت تتم ، والموضوعات التى سيتناولها الحديث .

٤ ـ وكان من بين الاجراءات التعسفية التى اتبعتها السلطات الصينية الشيوعية فى تركستان الشرقية تقيد حرية المواطنين فى التنقل بين القرى والمدن واشترطت عليهم استيفاء عدة امور من بينها الحصول على تصريح انتقال ، واخبار مركز الشرطة بكل التفاصيل والمعلومات التى عرفتها هذه الاسرة التى زارها ويعنى هذا ان السلطات الشيوعية حرضت المواطنين على الجاسوسية وشجعتها بين المسلمين فى تركستان الشرقية مستهدفة بذلك عدة امور هى :

١ ـ القضاء على وحدة المسلمين وتماسكهم واشاعة الفرقة بينهم وفى هذا الصدد اتخذوا اساليب متعددة منها التخويف والتهديد ، والثواب والعقاب ، وحرضوا المراة على الرجل ، والزوج على زوجته ، والاولاد على ابويهم وكانوا يطلبون من كل شاب او فتاة تقديم معلومات عن آبائهم وامهاتهم ، وعما يجرى بينهم من احاديث حول سياسة الحكومة وادارة الاحتلال ، واغرت الطلاب من بينهم بالدرجات الأعلى والطعام الكافى ، وبهذه الطريقة اصبحت سلطات

---

(١) عيسى يوسف الب : تركستان .. ، ص ١٥٥ .

بيوتها لاسكان الجنود والضباط الشيوعيين وعائلاتهم ، واحتل الشيوعيون المساجد والمدارس الاسلامية وجعلوها معسكرات للجيش، وقام هؤلاء الجنود بنهب الاهالى وهتك اعراض الفتيات القاصرات والنساء المتزوجات امام اعين آبائهن وارواحهن ومن يعترض على ذلك فجزاؤه القتل ، او يلقى اشد انواع التعذيب مثل قلع الاظافر وسلخ جلد الراس والجسم وغير ذلك من وسائل التعذيب التى ابتدعت (١) .

(١) عيسى يوسف ، ص ١٥٨ .

حركة الاصلاح الزراعى فى تركستان :

بدات الصين الشيوعية تطبق ما اسمته حركة الاصلاح الزراعى فى تركستان واعلنت ان الهدف من هذه الحركة هو :

تمليك الأرض للمعدمين ، والانتقام للعمال والزارعين والفقراء من اصحاب الأرض وتامين كافة الامكانات اللازمة فى هذا السبيل .

وقد ارتكبت الكثير من الفظائع فى تركستان الشرقية تحت هذا الستار وظهر عند التطبيق ان الحكومة الشيوعية تعمل على الاستيلاء على الأراضى التى يملكها المسلمون لتوزيعها على الصينيين من مدنيين وعسكريين لزيارة كثافتهم وسيطرتهم كذلك ايجاد صراع طبقى دموى بين المسلمين بعضهم البعض . بين اصحاب الأراضى والعمال الاجراء والذين يعملون فى الأرض من جانب آخر (١) .

وقيض على اصحاب الأرض وحكوموا امام مخاكم صينية اسموها محاكم الشعب وكان المسلم يقف امامها مقيدا باغلال وتقدم له قائمة طويلة بالاتهامات ليعترف بها ، واذا رفض يأتون بالعملاء ليشهدوا ضده واذا اصر على موقفه ، يأتون بزوجته واولاده ويسومونهم العذاب وامام هذه الوحشية لا يجد الانسان بدا من الاعتراف بجرائم لم يرتكبها وذنوب لم يسمع بها من قبل .

وكثيرا ما حكم على هؤلاء المساكين بالاعدام امام اعين اهليهم وذويهم وتصدر التعليمات المشددة بالا يبكى احد من اقاربهم ، ولا تقام لهم جنازة ولا يصلى عليهم . ومن ينجو من الاعدام من اصحاب الأراضى كان يلقى بهم فى سجون خاصة ينقلون منها الى معسكرات عمل شاقة تدعى « معسكرات الاصلاح » وبعضهم حكم عليه بالعمل عشر سنوات يجر فيها العربات كالحيوانات . والبعض الآخر يجبر على خدمة الزوج الجديد لزوجته او لابنته (٢) .

---

(١) محمود بيومى ، سابق ، نوفمبر سنة ١٩٨٤ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٥٨ .

وهكذا استمرت حركة التجبر والمصادرة فى تركستان الشرقية تحت ما اسموه «الاصلاح» مصحوبة بالارهاب والتعذيب والظلم وهذه بعض اساليب العقوبة التى حكمت بها « محاكم الشعب » على المسلمين فى تركستان .

(أ) عقوبة الدفن الاجبارى :

وفيها يؤمر المحكوم عليهم بان يحفروا مقابرهم بانفسهم ثم يزجون فيها احياء امام الشاكين لهم .

(ب) عقوبة المخزن البارد :

وفيها يضرب المحكوم عليهم ضربا بشعا ، وبعد ان يصبح بين الموت والحياة يدفن فى ثلاجات خصصت لهذا الغرض حتى تتجمد اطرافه ويلقى حتفه .

(ج) عقوبة التقسيم المتساوى :

وهى ربط المحكوم عليه من ساقيه على ثورين او عربيتين ثم تساقان فى اتجاهين معاكسين حتى يتمزق وينشطر جسده .

(د) عقوبة الولادة السهلة :

وهى عقوبة خاصة بالسيدات صاحبات الأراضى ويشترط فيها ان تكون حاملا ويصعد الشاكى فوق جسدها ويسحقها بقدميه سحقا .

(هـ) عقوبة الاشباع بالماء :

وفيها يوضع المحكوم عليه داخل جوال ويلف به فى النهر وسط مظاهرة من عملائهم وكلما قاوم وطفى فوق سطح الماء قالوا « انه يشرب ماء القرية بمفرده » هكذا عامل الصينيون - اصدقاء العرب

والمسلمين واصحاب السلع الرائجة فى اسـواقنا - المسـلمون فى تركستان الشرقية (١) .

حركة الكوميونات فى تركستان الشرقية :

بعد انتهاء مرحلة ما سمى « بحركة الاصلاح الزراعى » قامت حكومة الصين بضم الأراضى الصغيرة وجعلها تعاونيات بحيث كونوا جماعات تبلغ الواحـدة عشرين شـخصا يعين عليهم رئيس صينى شيوعى ، وبهذه الطريقة اصبحت الأرض كلها فى يد الحزب الشيوعى كما تحول الشعب المسلم الى مجموعة من الاجراء يعملون بالسـخرة فى هـذه التعاونيـات التى اسـتمرت الى ان جاءت حـركة « الكوميونات » .

والكومبون كما يعرفه الشيوعيون « مجتمع انسانى يقـام فى منطقة معينة يديرها الشعب من اجل الشعب الذى يعمل متكاتفا فى سبيل غاية مشتركة » .

والحقيقة المرة كما يصورها المسـلمون فى الصـين ان حركة الكوميونات التى بدأ تطبيقها فى عام ١٩٥٨ ، لم تكن سوى عمليات استعباد بشعة ومخيفة لم يسجل لها التاريخ مثيلا ، وفيها كان يجمع المواطنون فى مكان معين وتبنى لهم عدة ثكنات تتسع الواحـدة منها لبضع مئات من الرجال والنساء ، وهذه الابنية شبيه بثكنات الجيش ، واجبر المواطنون على الاقامة فيهـا ، وقامت السـلطات باحراق الكثير من المنازل لاجبار اصحابها على الانتقال الى الثكنات وبهذه الطريقة امكن توطين مئات الألوف من اهالى تركسـتان من رجال ونساء وشباب وشيوخ فى هذه الكوميونات وكانهم قطعـان اغنام تحت رقابة الجلادين من الشيوعيين (١) .

وتاتى الخطوة التالية فى مرحلة الكوميونات وهى تضـيف

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(١) د. محمد على البار ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

المعتمين داخلها ، فيؤخذ الاطفال من احضان امهاتهم ويذهبون بهم الى ثكنات اعدت خصيصا لهذا الغرض ثم يسندون الى الشيوخ الهرمين الذين دب الوهن فى اجسادهم وظائف من نمط خاص مثل اعمال الطبخ ورعاية الاطفال واعمال النظافة ، ومن يعجز من هؤلاء الكبار عن القيام بالعمل ينقل الى دار العجزة بحجة حمايتهم ، وتتم عملية قتلهم عن طريق اعطائهم ادوية قاتلة ، لا يظهر تاثيرها الا بعد ، مدة ايام وحتى بضعة اشهر ، وحجتهم فى ذلك انهم اصبحوا عاجزين عن العمل والانتاج . واما الباقون فى الكوميون من رجال ونساء فيلحقون بالطبقة العاملة ، ويعين على كل مائة رئيس صينى يسومهم سوء العذاب . ويتم ايقاظ الجمع مع بداية فجر اليوم على اصوات صفارات رجال الشرطة ، ثم يقدم لهم الافطار غاية فى الرداءة ، ثم يساق المواطنون الى اماكن العمل سيرا على الاقدام .

« ودون الدخول فى تفاصيل الحياة اليومية داخل «الكوميونات» فانه يكفى ان نعرف ان العمال المسلمين كانوا مجبرين على العمل ١٨ ساعة يوميا فى درجة حرارة تصل الى الثلاثين تحت الصفر شتاء و ٣٦ صيفا ، دون مراعاة لتقديم الاكل المشبع او الملابس المدفئة او الاحذية المناسبة ، او حتى منحهم القدر الكافى من النوم (٢) .

كان الرجل لا يلتقى بزوجته الاكل اسبوعين ولبضع دقائق ، وفى اماكن تحددها له سلطات الكوميونات ، وعلى الزوجة التوجه فورا الى مركز الصحة وتعطى تقريرا عن نفسها ، ويتم اثبات تاريخ ومدة اللقاء فى دفتر خاص لهذا الامر ، واذا طال اللقاء عن الوقت المحدد ، عوقب الزوج واتهم بانه اعتدى على حقوق غيره ممن ينتظرون دورهم .

---

(١) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٧٥ .

ويمكن القول بصفة عامة ان نظام الكوميونات بهذه الصورة قد ادى الى انقاص عدد المسلمين فى تركستان ، وساهم الى حد كبير فى محاصرة السلطة الشـــيوعية للمســـلمين ، واجهاض ثوراتهم التحررية . كذلك قضى هذا النظام على الحياة الاسرية ، وحـــرم المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية (١) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

رفع الحجاب عن المراة التركستانية المسلمة :

فى سنة ١٩٥١ اصدرت الحكومة الشيوعية قرارا برفع الحجاب عن المراة التركستانية ، وقرض اقصى العقوبات على كل من يخالف هذا القرار ، فكشف البعض ، وثارت الاخريات ، لانهن لم يتعودن على هذه الاوضاع الغربية ، المخالفة لتعاليم الشريعة الاسلامية وكان مصيرهن السجن والتعذيب ، ليكن عبرة للاخريات .

والادهى من ذلك ان الحكومة الشيوعية قررت منح المراة المسلمة حق التطليق ، ليصبح الطلاق فى يدها ، لا فى يد الرجل ، كما اصبح اليمين بالطلاق ثلاثا لا قيمة له والغت الحكومة التشريع الاسلامى للميراث فاصبحت المراة والرجل سواء فى هذا الميدان .

ومن مظاهر الظلم والاستبداد فى تركستان الشرقية تزويج بنات العلماء السابقين وعلية القوم ، بالصعاليك تحت الضغط والارهاب ، احتقارا لشخصية العلماء وذوى المكانة فى الماضى ، وهكذا اصبح المسلم فى تركستان عاجزا عن الدفاع عن كرامته وكرامة اسرته ، واذا عارض هذه الاجراءات فمصيره الموت او السجن والتعذيب .

ولم يكتف الصينيون بذلك ولكنهم حملوا المسلمين على تزويج بناتهم لصينيين من غير ملتهم دون عقد القران ، قاصدين من ذلك الى محاربة الاسلام والنظم الاسلامية فى تركستان الشرقية (١) .

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ٩٢ .

تقسيم الشعب التركستانى الى طبقات متناحرة :

قامت السلطات الشيوعية فى تركستان الشرقية بتقسيم الشعب المسلم الى خمس طبقات : اطلق على الأولى فيها « الظالمون » وهم كبار الملاك ، وهؤلاء صودرت املاكهم ، وقدموا للمحاكمات ـ كما اسلفنا ـ فقضى عليهم اما بالاعدام ، او السجن المؤبد ، وشرد ابناؤهم واما الطبقة الثانية : فهى طبقة الاغنياء وقد لاقوا كذلك الكثير من الاجراءات الاستبدادية ، وكانت تسلية الحكومة تعذيبهم والتنكيل بهم ، فاستعملت معهم اساليب مبتكرة من الوحشية ، وارسلت اليهم المئات من العاملين ، والمعدمين ، الذين يتجمعون حول دورهم ومنازلهم وهم يرقصون ويصيحون ويغنون اغانى كلها سخرية واستهزاء بهم ، ثم يهاجمونهم فى عقر دارهم ويغتصبون ما يملكونه بالقوة ، ثم يقومون بتوزيعها فيما بينهم ، امام اعين الحكومة وعلى مسامعها (١) ولم يكتف الطغاء بهذه الافعال ، بل حكم على البعض من افراد هذه الطبقة بالسجن لمدد طويلة .

واما الطبقة الثالثة فاطلق عليهم «متوسطو الحال» ، وهم الذين اعتقدوا انهم نجوا من ظلمات السجون ، ووحشية الطغيان ، وظلم المحاكمات ، ولكنهم فى الحقيقة لم ينجوا من المتاعب والتعذيب ، بل فرضت عليهم الضرائب فى اشكال مختلفة ، وكانت الحكومة تطلب منهم العمل لرصف الطرق وانشاء الكبارى وغير ذلك من الأعمال الحكومية ، ثم تطالبهم بأجور هؤلاء العمال ، مما جعل البعض يضطر الى التنازل عن املاكه للحكومة لانقاذ نفسه من هذا المصير المؤلم .

والطبقة الرابعة هم صغار الملاك ، الذين لم يحاكموا ولم يعذبوا ولكن الحكومة استولت على املاكهم وتركت لكل منهم فدانا واحدا ، ومع ذلك ارهقتهم بضرائب فوق طاقتهم .

واخيرا تاتى الطبقة الخامسة ، وهم المعدمون ، الذين تعاونوا

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

مع الحكومة فى اغتصاب أموال الأغنياء ، والملاك والقضاء عليهم ، وبعد ذلك استولت الحكومة على ما سلبوه من الطبقات الأخـــرى وتركتهم معدمين كما كانوا (١) .

ويلاحظ فى هذا المجال ان الحكومة الشيوعية لم تكتف بتقسيم المجتمع الى طبقات ، ولكنها لجات الى ما اسمى حركة « السحق والاذابة » ووضعت خطتها لتقضى على الأغلبية المسلمة فى تركستان الشرقية وذلك بتهجير الصينيين الى تركستان وقد بلغ عددهم حتى عام ١٩٥٨ حوالى ٤ ملايين صينى يضاف اليهم جنود الاحتلال ، وكانت تأتى بالصينيين بحجة اســتصلاح الأراضى فى تركســتان ، والافادة من خبرتهم ، ثم تقيم لهم القرى والمدن وتعطى لهـــم كافة الامتيازات .

وعلى الجانب الآخر تتبع سياسة الابادة واعدام الكثيرين من ابناء تركستان ، وتجبر الآخرين على الهجـــرة وترك قراهم ومدنهم لتتمكن فى النهاية من الاحتفاظ بتركستان وتحويلها الى منطقـــة صينية شيوعية بشتى الوسائل (٢) .

الاعتداء على الاسلام وثقافته فى تركستان :

تأكد للشيوعيين ان الاســلام هو العائق الذى يقف امامهم فى تركستان بما يقدم لأبنائه من زاد روحى ومعنوى للجهاد والدفاع عن انفسهم ، ولذلك وضعت السلطات الشيوعية ـ التى ترفض كل فكر دينى ، وتعمل على ازالة الدين الاسلامى من هذه البلاد ـ الترتيبات للقضاء على الاسلام وتحويل تركستان الى منطقة شيوعية ، ووضعت لذلك برنامجا فى اوائل عام ١٩٥٦ لاجبار المســـلمين على تعلم المبادىء الشيوعية ، وافتتحت المدارس المختلفة لاعداد « مناضلين » ملحدين وكلفت هؤلاء الشيوعيين بالواجبات والمهام الآتية :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

(٢) محمود بيومى : رابطة العالم الاسلامى ، سنة ١٩٨٤ .

(ا) اعداد كتب تحارب الدين لتدريسها فى مدارس تركستان الشرقية واعداد مسرحيات تهاجم الدين لتمثل فى هذه المدارس .

(ب) تلقين الأطفال المسلمين المبادىء الشيوعية وتربيتهم على الالحاد منذ صغرهم .

(ج) تنظيم المحاضرات والمناظرات والمعارض الالحادية فى ارجاء البلاد .

(ء) اذاعة البرامج الالحادية المختلفة فى الاذاعة ومهاجمة الدين الاسلامى وعلماء المسلمين والاستهزاء بهم .

(هـ) جمع كل الكتب الدينية والمصاحف واتلافها .

(و) « النضال » ضد علماء المسلمين ومحاربتهم والعمل على القضاء على وجودهم او تحويلهم الى دعاة للشيوعية (١) .

وفى تقرير لباكستانى مسلم هو محمد امين الذى عاش فى الصين بضع سنوات ثم ابعد عنها فى عام ١٩٥٩ ، يقول فيه : « بانه لا مجال لبقاء الاسلام فى الصين الشيوعية وتركستان بعد ان اغلقت المساجد ، وهدم بعضها ، ونم تفريق الأئمة » .

ويقول ان العلماء الذين ما يزالون يمارسون عملهم يجبرون على ادخال تعاليم الماركسية فى خطبهم وكثيرا ما يكون هؤلاء الخطباء من الشيوعيين الذين يحتلون المنابر لنشر الالحاد .

واكد « محمد امين » انه بينما يدعى الشيوعيون التسامح الدينى يحاربون الاسلام بكل هذه الوسائل واخطرها الضغط الاقتصادى ، حيث طبقت نظام البطاقات للحصول على الغذاء ومن يعارض سياستها كانت تسحب منه بطاقته فيصبح عاطلا شريدا وقد يموت هو واسرته جوعا » (٢) .

---

(١) عيسى يوسف الب ، سابق ، ص ١٦٧ .

(٢) شيونغ ، سابق ، ص ٩٤ .

ومن ناحية أخرى استولت الحكومة على اوقاف المساجد والمعاهد الدينية والأوقاف الأهلية ، وكان المواطن التركستانى المسلم لا يستطيع الحصول على وظيفة فى الدولة الا اذا قضى فترة طويلة فى المدارس الشيوعية واثبت ولاءه وطاعتـــه للدولة وحتى تتضح خطورة هـــذه السياسية نجد ان المتخرجين فى مدينة « خوتن » وحدها خلال اربع سنوات ما يقرب من ستة آلاف شخص تعلموا المبـادىء الشـــيوعية ، واصبحوا يجهلون تماما العلوم الدينية الاسلامية ، وحتى مبادئهـــا الأولية وابتعدوا عن الصـــلاة والصوم ، وامتلأت حيـــاتهم بالفوضى والاباحية ، وعدم الاكتراث بالتقاليد الاسلامية .

اشتداد الحملة على الاسلام فى سنوات الثورة الثقافية (٦٦ ـ ١٩٧٦) :

اشتدت الحملة الشيوعية الشرسة على المسلمين فى تركســتان الشرقية ابان سنوات الهوان التى اطلق عليها « الثورة الثقافية » ، واعتبر الدين الاسلامى خارجا على القانون ومحاربتـــه جـزء من سياسة الدولة ، ومنع تعليمه فى المدارس والمســـاجد ، وتم افتتاح زوايا فى المساجد اطلق عليها « زاوية ماو تسى تونج » ووضع فيها تمثال نصفى لماو تسى تونج » واجبر المسلمون على الانحناء امامه وتقديسه باعتباره الاله الحى ، ثم جاءت فترة اغلقت فيها المدارس والمساجد واستخدمت نواد وقاعات للسينما وثكنات ومنازل للمهاجرين الصينيين ، واماكن للتسلية ، واجبر العلماء المسلمون على احـــراق كتبهم فى الميادين العامة ، وثم تفتيش كل البيوت ، وفى حالة العثور على كتب دينية ياخذونها ، ثم يربطونها على ظهور رجال الدين او يعلقونها فى رقابهم ثم يعرضونهم فى الشـــوارع وهم على هـذه الصورة (١) .

وليس هذا فقط بل قاموا بحملة مكثفة فى ارجاء تركستان بهدف « اثبات عدم وجود اله » واجبروا بعض العلماء على المشاركة فى هذه الحملة والا اعدموا وقد رفض الكثيرون هذه المحاولات وفضلوا التضحية بارواحهم فى سبيل الحفاظ على عقيدتهم .

---

(١) عبد الفتاح سعيد : البعث ، ص ٨٦ .

- وفى تلك الفترة اقيمت مناظـــرات بين مروجى الدعـــاية الشيوعية وبعض العلماء المسلمين ومن يظهر شجاعة فى المناقشات يتم التخلص منه على الفور ٠

- اجبار العلماء المسلمين على قول اشياء لا تطيقها انفسهم مثل « انما اتخذنا من لباسنا الدينى هذا وسيلة لخداعكم وعملنا على اقناعكم باشياء لا نؤمن بها ولا بد لنا من ان نقول الحقيقة فليس هناك شىء اسمه الاسلام ٠

- ومن وسائلهم الشيطانية لمحاربة الاسلام اقامة الولائم ظهرا فى شهر رمضان لمراقبة الشيوعيين المحليين لمعرفة ان كانوا حقيقة مخلصين للشيوعية ومعادين للدين وعوقب من رفض حضور هـــذه الولائم او الذى ياتى ولا ياكل ٠

تم اجبار المسلمين فى تركستان على تربية الخنـــازير واكل لحومها فى بعض المناسبات الوطنية (١) ٠

وهناك امور اخرى طبقتها السلطات الشيوعية فى تركستان الشرقية ضمن حملتها لتحويل تركستان الى جزء من المجتمع الصينى الشيوعى من اهمها :

(ا) تدريس التاريخ الصينى فقط وتمجيده وتجاهل التاريخ الاسلامى ، وتعظيم الاباطرة وتلقين اولاد المسلمين فى تركستان بانهم من اصل صينى ٠

(ب) فرض استخدام الكلمات واللغة الصينية بديلا عن العربية والفارسية الموجودة فى تركستان ٠

(جـ) نطق المصطلحات الجغرافية والأســـماء كالمـدن والقرى والجبال والانهار وغيرها باللغة الصينية ٠

---

(١) عيسى يوســـف ، سابق ، ص ١٧٣ ، محمود بيومى : رابطة العـالم الاسلامى ٠

(د) ازالة الآثار الاسلامية التركية فى تركستان الشرقية (١) .

دع الف زهرة تتفتح :

على الرغم من كل هذه المحاولات التى اتبعتها السلطات الشيوعية الصينية فى تركستان الشرقية كان المسلمون هناك متمسكين بدينهم عدا فئة قليلة من ذوى النفوس الضعيفة تعاونت معهم وتأثرت بالماركسية واباطيلها وكان الصينيون اذا ارادوا معرفة من يكن لهم العداء من افراد الشعب لجأوا الى التجسس ثم بدأوا فى سنوات الثورة الثقافية تعديلا فى هذه السياسة حيث اعلنوا « على الشعب ان يعبر بصراحة ووضوح عن رايه وبالتالى نستطيع ان ندرك اخطاءنا ومن ثم نصلحها » .

وفى خلال عام من هذا الاعلان غطوا تركستان الشرقية بدعاية مكثفة لانجاح هذه الحملة وقدموا ضمانات رسمية للكلام ، دون خوف بشعارهم « غنوا كالبلابل » ، تفتحوا كالاف الآزهار ، انتقدوا الحكومة كيف شئتم ولا عقوبة لذلك ، وستتم الاستجابة لرغباتكم ، حتى لو كان الأمر طلب استقلال صريح » وعرفت هذه الحركة باسم « دع الف زهرة تتفتح ، دع الف عائلة تغنى » . .

وقد ادت هذه الحركة الخبيثة الى القبض على آلاف المسلمين التركستانيين الذين فتحوا صدورهم ، وعبروا عن آلامهم ولو بين انفسهم وذويهم (٢) .

وهكذا استمرت هذه الحملة الظالمة والشرسة على الاسلام فى تركستان الشرقية ، وادت الى سقوط آلاف الشهداء ، كما تسببت فى قيام ثورات عديدة ضد النظام الشيوعى .

ثورات المسلمين فى تركستان الشرقية ضد الحكم الشيوعى :

من المسلم به ان النضال بين الدين وبين الالحاد الشيوعى امر

---

(١) سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ١٠٦ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٦٧ .

محتوم وان ما قام به الشيوعيون فى تركستان الشرقية جعل المسلمين ونسبتهم تزيد عن ٩٥ ٪ يقاومون كل المحاولات التى بذلت لنشر الشيوعية فى بلادهم ومحاربة الاسلام . وقاموا بعدة ثورات ، كانت اولاها ، بعد احتلال الصين لتركستان مباشرة ودامت حتى عام ١٩٥١ ، ثم قامت ثورة اخرى فيما بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٥٨ . وفى عام ١٩٥٩ قامت ثورة شعبية ثالثة ظلت مشتعلة حتى عام ١٩٦٣ وقد اخمدت كل هذه الثورات بكل قسوة ، ونكل بالقائمين بها اشد التنكيل . وكلما ازدادت الحكومة الشيوعية فى الصين عتوا وتجبرا كلما كان ذلك ادعى للثورة عليها وقد احصى بعض المؤرخين ثورات الشعب التركستانى المسلم فى الفترة من عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٨ بانها بلغت ٥٠ ثورة مسلحة (١) .

وهذه نبذة مختصرة عن بعض هذه الثورات وليس كلها .

ثورة الجوعى فى هاجيه :

حمل الشيوعيون فى يونيو ١٩٥٥ قوافل سيارات الشحن طعاما نهبوه طيلة اسبوعين من بيوت مسلمى منطقة هاجية ، وعبثا راح الاهالى يسترحمونهم للحصول على شىء من هذا الطعام لا سيما وان موعد الحصاد كان بعيدا . ولما لم تستجب السلطات لطلبهم ، ارتمى الاهالى امام السيارات ، فحرك الشيوعيون سيارات الشحن فوق اجسادهم وقتلوا الكثيرين منهم ، فاثارت هذه البربرية اهالى البلدة وهاجموا الشيوعيون بما وقع تحت ايديهم فقتل اكثر من ٤٠٠ صينى ، وتم انقاذ الطعام المنهوب ، ولكن بعد ان بلغت قائمة الضحايا ثلاثة آلاف مسلم .

بعد هذه الحادثة طلب الصينيون مساعدة السوفيت وقبضوا على آلاف المسلمين ممن اشتركوا فى الثورة ، حيث عذبوا ، وحكم عليهم بالاشغال الشاقة ، واعدم منهم من اعدم بتهمة « الرجعية » والعداء للماركسية (٢) .

وفى كاشغر قام المسلمون بثورة كبيرة فى عام ١٩٥٧ نتيجة

---

(١) د. محمد على البار : مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .

(٢) ابراهيم شيونغ ، سابق ، ص ٦١ .

لاجبار الفتيات المسلمات وكذلك السيدات على العيش مع الشـــباب الشيوعى فى المعسكرات التى اقيمت فى ضواحى المدينة ، وقد بدات تلك الثورة عندما هاجم خمسة آلاف مســـلم مكاتب الشيوعية ومقـر الحاكم العام بعد عمليات الاغتصاب التى وقعت وخلال تلك الثورة تم احراق المكاتب الحكومية والمخازن والمصانع ، وفى نفس العام اشتعلت الثورة الاسلامية فى « بولى » بسبب النقص فى المواد الغذائيـــة والارهاب الشيوعى وقتل خلال هذه الثورة اكثر من مائة سـوفيتى وصينى قبل انسحاب الثوار الى الجبال .

ثورة الكزخ فى اكسو :

هبت ثورة اسلامية قام بها الكزخ والمسلمون فى هاجيه بقيـادة السيد هاشم واستمرت هذه الثورة بضع سنوات اعلن المسلمون خلالها عزمهم اقامة دولة اسلامية مستقلة وقد حققوا انتصارات باهرة على القوات الشيوعية الا ان تفوق القوات الصينية عليهم فى العدد والعدة ادى الى تمكنها من انهاء الثورة بعد ان حكمت بالاعدام على عـــدد كبير من زعمائها ، كما حكمت على البعض الآخر بالاشغال الشاقة ، والتلقين العقائدى بتهمة التآمر لقلب قيادة الحزب الشيوعى ، وتاسيس حكومة رجعية تدعى « الجمهورية الاسلامية » (١) .

ثورة خونين ١٩٥٨ - ١٩٥٩ :

كانت هذه الثورة من اكبر الثورات الاسلامية التى قامت فى فترة الخمسينات قادها عدد من كبار الموظفين واعضـــاء المجلس التمثيلى الشعبى فى المدينة وعدد آخر من باقى المدن التركستانية . ومن بين هذه الاسماء صائبى رئيس بلدية اورمجى وابراهيم ثروت مدير الماليـــة ، وضياء صمدى رئيس جمعية الكتاب المسلمين وعبد الرحمن عيسى مساعد والى ايلى وعبد العزيز مخدوم من علماء المسلمين . وكان مركز الثورة خوتن واشترك فيها اكثر من ٦٠،٠٠٠ الف من المسلمين الذين استولوا على عدد من المخازن العســكرية واغلقوا كل طرق المواصـــلات الى اروجى العاصمة (٢) .

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ٦١ ، سعيد اسماعيل ، سابق ، ص ١٠٦ .

(٢) عيسى يوسف ، سابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وكانت اسباب الثورة مساوىء الحكم الشيوعى فى تركستان واعدام الكثيرين من زعماء المسلمين ، لكن السبب المباشر كان اجبار التركستانيين على استخدام اللغة الصينية بدلا من اللهجة الأوريغورية فى المدارس وفى المحاضرات مما اثار الطلاب والمثقفين ، لذلك تم اغلاق المدارس وقبض على عدد كبير من هؤلاء الطلاب والمعلمين ونظار المدارس .

وقد اذاع الثوار بيانا يقولون فيه : « بانهم يريدون تاسيس دولة مستقلة باسم « دولة تركستان الشرقية الاسلامية » وطالبوا بالاستقلال الكامل لبلادهم . وكان من الممكن لهذه الثورة ان تنجح فى تحقيق الاستقلال ولكن الحكومة الشيوعية فى اورومجى استنجدت بالحكومة المركزية فتم ارسال آلاف من الجنود الصينيين لقمع الثورة والقضاء عليها . وبعد تنفيذ المهمة قبض على آلاف من المسلمين فى اكبر عملية تطهير تتم فى تركستان واعدم زعماء الثورة وكبار الموظفين الذين شاركوا فيها والقى بالآلاف فى السجون او نفوا الى المعسكرات وهناك مات الكثيرون منهم من جراء الارهاب الذى عانوا منه (١) .

ثورة عيد الأضحى فى كاشغر عام ١٩٦٦ :

مع بداية فترة الستينات اشتدت حركة المقاومة الاسلامية للاحتلال الصينى وعمليات الارهاب التى عانى منها المسلمون فى انحاء تركستان الشرقية ، ومع تزايد الخلاف الصينى السوفيتى بدات الصين تتهم السوفيت بتدبير هذه الثورات والتدخل فى شئون تركستان الداخلية وتؤكد احداث تلك الثورات بانها كانت ثورات اسلامية خالصة لا علاقة لها بالسوفيت او غيرهم (٢) .

واعظم هذه الثورات ثورة عام ١٩٦٦ والتى عرفت بثورة عيد الأضحى فى كاشغر حيث تجمع المسلمون فى المدينة امام اكبر مسجد فيها وكان قد اغلق منذ امد طويل بعد الاحتلال الشيوعى ، وطالبت

---

(١) شيونغ ، سابق ، ص ٦٤ .

(٢) عيسى يوسف : سابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

جموع المسلمين بفتح المسجد للصلاة فاعترضت السلطات الشيوعية طريق هذه المظاهرات وفرقتها بالقوة ولكن هذه الجمـــوع الثائرة تمكنت من تحطيم الأغلال الموضوعة على باب المسجد ودخل البعض منهم فحصدتهم القوات الشيوعية ودارت معارك رهيبة استمرت حتى نهاية عام ١٩٦٦ وتحولت الى حرب عصابات شملت انحاء تركستان ٠

وقد اكدت وكالات الأنباء والاذعات الأجنبيـــة ان القتال قـد استشرى فى انحاء تركستان الشرقية وان هذه الثورة شبيهة بثورة عام ١٩٤٠ التى قادها عثمان باتور ٠

وقد استشهد خلال ثورة عيد الأضحى فى شـــهر ديسمبر فقط من عام ١٩٦٦ ٠٠٠ر٧٥ مسلم (١) ٠

وبعد قيام ثورة ، ماو تس تونج » الالحادية المعروفة بالثـورة الثقافية اشتدت حملة الارها ب، وارتفعت الشعارات المعادية للمسلين وقبض على اعداد كبيرة من العلماء ، وطافوا بهم فى الشـــوارع سخرية وتحقيرا ، ووزعت السلطات الصـينية الشيوعية رســائل صغيرة معادية للاســلام ٠

ويقرر بعض المؤرخين ان ضحايا الثورة الثقافية فى تركســتان الشرقية قد زاد عن المليون شخص ، وان حملة الارهاب الدموية ، قد تزايدت بصورة رهيبة فى تلك الفترة ليس فى تركستان وحدهـا ولكن فى الصين باكملها (٢) ٠

وتشير كل التقارير الواردة من تركستان الشرقية الى ان حركة التحرير الاسلامية فى هذه المنطقة لم تتوقف وان المسلمين هنـــاك ينظرون الفرصة المناسبة للقضاء على الاحتلال الصينى ، والانتـقام

---

(١) جريدة الندوة السعودية ، بتاريخ ٢٦ ابريل سنة ١٩٦٧ ٠
(٢) عيسى يوسف ٠٠ ، سابق ، ص ١٨٨ ٠

لارواح الشهداء الذين ضحوا بحياتهم منذ ابتليت تركستان بالحكم الشيوعى فى عام ١٩٤٩ ٠

ومما يؤسف له كثيرا ان قضية اسلامية على هذا المستوى من الخطورة والاهمية لم تلق اهتماما كافيا من المسئولين فى العالم الاسلامى مساند لهم لتحقيق الاستقلال الذى طال انتظارهم له ٠

المـراجـــــع

- ابراهيم شيونغ : (احد زعماء المسلمين فى الصين) ماذا حدث للمسلمين فى الصين الشيوعية (بيروت ١٩٦٢) ٠

- د٠ احمد احمد ابو حاكمة : الحياة والناس والوحدة فى الخليج كتاب العربى ـ نوفمبر ١٩٨٤ ٠

- احمد عطية الله : القاموس الاسلامى ، المجلد الرابع ، النهضة المصرية (القاهرة ١٩٧٦) ٠

- انور الجندى : هزيمة الشيوعية فى عالم الاسلام (القـــاهرة ١٩٨٢) ٠

- بارتولد : (فاسيلى فلاديمر) : تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ـ نقله عن الروسية ـ صلاح الدين هاشم (الكويت ١٩٨١) ٠

- بدر الدين و٠ل٠جى : (مستشار السفارة الصينية فى جـــدة سابقا) : تاريخ المسلمين فى الصين ـ رمضان ١٣٩٤ هـ ٠

- توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ٠ ترجمة د٠ حسن ابراهيم حسن وزميله (القاهرة ١٩٧٠) ٠

- حامد عبد القادر : الاسلام ظهوره وانتشاره ((القاهرة ١٩٦٤)٠

- د٠ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام الســياسى والدينى ٠ ط ١ ، النهضة المصرية ط ٧ (١٩٦٤) ٠

- د٠حسن محمود : الاسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى، النهضة العربية ١٩٦٨ ٠

- د. حسين مؤنس : الإسلام الفاتح ، رابطة العالم الاسلامى - مكة ١٤٠١ هـ .

- ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، جـ ٤ ، ترجمة محمد بدران ١٩٦٦ .

- صالح مهدى عماش : قتيبة بن مسلم . سلسلة الاعلام المشهورين - بغداد ١٩٧٨ .

- د. عبد الحليم عويس : المسلمون فى معركة البقاء - القاهرة ١٩٧٩ .

- عبد الرحمن زكى : المسلمون فى العالم ، آسيا الاسلامية - القاهرة ١٩٧٦ .

- عبد المؤمن السيد اكرم : اضواء على تاريخ توارن (تركستان) مكة ١٣٩٥ هـ .

- د. على جريشة وزميله : أساليب الغزو الفكرى - من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

- عيسى يوسف الب تكبن : (سكرتير عام حكومة تزكستان الشرقية سابقا) قضية تركستان الشرقية ، ترجمة اسماعيل حقى شن - استانبول ١٩٧٨ .

- د. قيصر اديب : الاسلام فى الشرق الاقصى وصوله وانتشاره : ترجمة د. نبيل صبحى - بيروت ١٩٦٦ .

- محمد ثابت الفندى وآخرين : دائرة المعارف الاسلامية (ترجمة) جـ ١٤ ، جـ ١٥ - بيروت .

- محمد تواضع : الصين والاسلام (رئيس البعثات الصينية بالأزهر) القاهرة ١٩٤٠ .

- محمد سعيد اسماعيل : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية - القاهرة ١٩٦٠ .

- د. محمد السيد غلاب وزميله : البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة فى العالم المعاصر (من مطبوعات جامعة الامام محمد ابن مسعود بالرياض .

- د. محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى (جزئان) جده - ١٩٨٣ .

- محمد الغزالى : الاسلام فى مواجهة الزحف الاحمر ، القاهرة ١٩٦٦ .

- محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : المجلد الخاص بيروت - ١٩٧١ - الزعيم محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية . تحقيق احسان حقى - بيروت ١٩٨٣ .

- محمد كمال حسين : انتشار الاسلام فى العالم ، دار الفكر العربى - ١٩٧٦ .

- محمد مكين : تاريخ الاسلام فى الصين ، القاهرة - ١٣٥٥ هـ .

- محمو شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية - بيروت ١٩٨٢

- محمود شاكر : التاريخ الاسلامى ، جـ ٤ بيروت - ١٩٨٢ .

- محمود شاكر : خراسان (من سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية) بيروت ١٩٧٨ .

الدوريات :

- مجلة العربى الكويتية (فهمى هويدى) المسلمون فى الصين ،

الاعداد ٢٦٤ ، ٢٦٥ ٢٦٦ (نوفمبر ١٩٨٠ ، ديسمبر ١٩٨٠ ، يناير ١٩٨١ ٠

- مجلة المجتمع الكويتية : العدد ٣٣٥ ـ السنة الثانية ـ ١٩٧٧ ٠

- رابطة العالم الاســـلامى (تركستان الشرقية) محمود بيومى ، العدد ١٢ صفر ١٤٠٥ ـ مكة المكرمة ٠

- البعث الاسلامى : (عبد الفتاح سعيد) ـ الهند ـ يوليو ١٩٨٤ ٠

- جريدة الندوة : مقالة بعنوان المسلمون فى الصـــين الحمراء ـ مكة المكرمة ١٩٦٧ ٠

- جريدة عكاظ السعودية (مقالة بعنوان الحرس الاحمر يريد هدم الاسلام) يناير ١٩٦٧ ٠

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الاهـــداء	٣
المقـــدمة	٥ ـ٨
الفصل الأول ـ (انتشار الاسلام فى الصين)	٩ ـ٣٤
العلاقات العربية الصينية قبل الاسلام	١٢
الاســـلام فى الصـــين	١٥
انتشار الاسلام فى تركستان الشرقية	٢٠
انتشار الاسلام فى المناطق الداخلية من الصين	٢٥
الاتصالات بين امبراطور الصين والخليفة المنصور	٢٧
الفصل الثـانى : (المسلمون فى الصين من اسرة تانج الى نهاية اسرة منج (٦١٨ ـ ١٦٤٤)	٣٥ ـ٦٠
اسرة ســـنغ (٩٦٠ ـ ١٢٧٥)	٣٧
المسلمون فى عصر اسرة يوان (المغول)	٤٤
السيد الأجل ودوره فى عصر يوان	٥٠
المسلمون فى عهد اسرة « منج »	٥٤
اختيار المسلمين الأسماء الصينية	٥٧
القيادات الاسلامية فى عصر اسرة منج ـ	٥٩
الفصل الثالث : (مسلمو الصين فى مواجهة الاستبداد المانشـــورى	٦١ ـ٩٤

الموضـوع	الصفحة
تقرير دوهلـــد :	٦٨
الحكم المانشورى فى تركستان الشرقية :	٦٩
مساوىء الحكم المانشـــورى	٧٠
ثورات المســـلمين فى الصـين	٧٢
ثورات المسلمين فى قانصـــو	٧٣
ثورة لاننشـــو	٧٤
ثورة المسلمين فى ولاية يونان	٧٦
السلطان سليمان وقيام مملكة اسلامية	٧٩
ماســـاة تاليفـــو	٨١
ثورات المسلمين فى تركستان الشرقية	٨٢
ثورة يعقوب بك	٨٥
الاتصال بالدولة العثمانية	٨٧
موقف بريطانيا من ثورة يعقوب بك	٩٠
نهاية الدولة الاسلامية فى تركستان الشرقية	٩١
الفصل الرابع : (احوال المســلمين فى عصر الجمهورية الصينية) ١٩١١ ـ ١٩٤٩ .	٩٥ ـ ١٢٣
المسلمون فى تركستان الشرقية	٩٩

الموضـوع	الصفحة
ثـــورة قمـــول	١٠١
اعلان الجمهورية فى كاشغر	١٠٢
احوال المسلمين فى الصين الداخلية	١٠٧
الجمعيات الاسلامية فى الصين	١١١
جمعية الأدب الاسلامى	١١٢
جمعية دار المعلمين	١١٣
الجمعية الاتحادية الاسلامية	١١٥
احوال المسلمين الاقتصادية	١١٦
احوال المسلمين الاجتماعية	١١٨
المســـتوى التعليمى	١٢٠
الفصل الخامس : (دور المسلمين فى الصين فى مقاومة الاحتلال اليابانى والتغلغل الشيوعى)	١٢٥-١٤٤
المسلمون فى مواجهة الاحتلال اليابانى	١٢٩
المسلمون فى مواجهة الشيوعية	١٣٠
الدفاع عن « لين جو »	١٣٢
قيام الشيوعية فى الصين	١٣٤
ثـــورة ١٩٣٦	١٣٥

الموضـوع	الصفحة
ثورة عثمان باتور	١٣٦
سياسة الحاكم الصينى الجديد	١٣٨
ثورة على خان	١٤٠
موقف السوفيت من الجمهورية الاسلامية	١٤١
دور المسلمين فى الدفاع عن تركستان الشرقية	١٤٣
المسلمون فى فرموزا	١٤٤
الفصل السادس : (المسلمون فى الصين تحت السيطرة الشيوعية ١٩٤٩ - ١٩٧٦)	١٤٥-١٦٨
الجمعية الاسلامية الصينية	١٤٨
النشاط المريب لجمعية مسلمى الصين	١٥٠
التسجيل والمحاكمـات	١٥٣
سـندات الحـكومة	١٥٤
اغلاق المسـاجد فى الصـين	١٥٦
نظام الكوميونات ونتائجه المدمرة	١٥٨
حمـلة الاصـلاح	١٦٠
المسلمون فى الصين والثورة الثقافية	١٦١
ثورات المسلمين ضد الحكم الشيوعى	١٦٥
انضمام المسـلمين الى ثورة التبت	١٦٧

الموضـــوع	الصفحة
الفصل السابع : (تركستان الشرقية تحت السيطرة الشيوعية)	١٦٩-١٩٣
معركة لاتشو	١٧٠
عثمان باتور والمقاومة	١٧١
سياسة الحكومة الشيوعية فى تركستان	١٧٤
تصفية العناصر المعارضة	١٧٦
السخرة فى تركستان الشرقية	١٧٧
حركة الاصلاح الزراعى فى تركستان	١٧٨
حركة الكوميونات	١٨٠
رفع الحجاب عن المرأة التركستانية	١٨٢
الاعتداء على الثقافة الاسلامية فى تركستان	١٨٣
اشتداد الحملة على الاسلام فى تركستان	١٨٦
ثورات المسلمين فى تركستان الشرقية	١٨٨
ثورة الكزخ	١٩٠
ثورة خوتين	١٩٠
ثورة عيد الاضحى فى كاشغر	١٩١
ثبت المراجع	١٩٥